فى علم اللغة العام

تأليف

أ. د. محمد حسن عبد العزيز   أ. د. محمد حمـــاد

كلية دار العلوم – جامعة القاهرة

٢٠١٣

المحتويات

الموضوع	الصفحة

القسم الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقــدمة

تبين لنا بعد تدريس مقرر (علم اللغة العام) خمس سنوات أنه بحاجة ماسة إلى إعادة النظر في موضوعاته، وفي طريقة معالجتها بحيث يكون ملائما لطلاب التعليم المفتوح، محققا لأهدافه وفق أحدث المعارف اللغوية وطرق التدريس.

ونحمد الله على أن جاء الكتاب على خير ما ينبغي، ونسأل الله أن ينفع به.

المؤلفان

أ.د/ محمد حسن عبد العزيز

أ.د/ محمــد حمــاد

القسم الأول

الوحدة الأولى

(خصائص اللغة الإنسانية)

اللغة ظاهرة إنسانية

الأهداف:

- تهدف هذه الوحدة إلى تعريف الدارس بالخصائص المشتركة بين اللغات الإنسانية، وبوجوه الشبه والخلاف بينها، بما يعينه على فهم طبيعة اللغة بعامة ولغته القومية بخاصة.
- واللغة التي هي موضوع هذه الوحدة هي موضوع علم اللغة العام الذي يدرسها، ومن ثم تهدف هذه الوحدة إلى تأسيس قاعدة فكرية تقوم عليها الدراسة العلمية لعلم اللغة.

العناصر:

- اللغة ظاهرة إنسانية.
  - عناصر الخلاف بين اللغة الإنسانية وأدوات الاتصال عند الحيوان.
- اللغة مكتسبة.
  - النظريات التقليدية في الاكتساب.
  - النظريات الحديثة في الاكتساب.
- اللغة أصوات.
  - العناصر الصوتية في اللغة المنطوقة.
- اللغة نظام.
  - وحدات النظام الصوتي.
  - وحدات النظام الصرفي.

- وحدات النظام النحوي.
- اللغة رمزية.
- خصائص الرمز.
- العلاقة بين الرمز وما يشير إليه.
- اللغة عرفية.
- مفهوم الجماعة اللغوية.
- الألفاظ غير العرفية.

اللغة ظاهرة إنسانية

اللغة ظاهرة إنسانية، وهي في الوقت نفسه - الإنسان؛ لأن اللغة هي نتاج عقله وجسمه معًا، وهي وسيلته الفعالة للاتصال بالمجتمع من أجل حياة يسودها التفاهم والتعاون.

وقد تطلع الإنسان قديمًا إلى أن يكتشف طبيعة هذه الأداة التي يمتلكها، وكان له عنها تفسيرات يختلط فيها الخيال بالواقع والأسطورة بالعلم.

نحن هنا نحاول تقديم تفسير علمي موضوعي يكشف عن خصائصها في معناها ومبناها، وعن علاقتها بالمجتمع متأثرة به مؤثرة فيه.

لقد شاع بين الفلاسفة قديمًا أن ينعتوا الإنسان بأنه حيوان ناطق، يعنون بذلك: أنه وحده القادر على وضع أفكاره في ألفاظ.

وهذا معناه أنه منتج للأصوات، والأصوات معبرة عن أفكاره، والفلاسفة المحدثون يؤكدون على أننا لا نستطيع تخيل فكرة ما بمعزل عن الألفاظ التي تصورها، ولن يكون الفكر المجرد من الألفاظ - إذا أردنا الدقة - فكرًا بأي مقياس.

ويقرر أحد فلاسفتنا المعاصرين أن ناطقية الإنسان تستند إلى ركيزتين هما: ممارسة التفكير وممارسة الحياة في جماعة، ويرى أن البيان والإفصاح باللغة

خطوة في سبيل الكشف عن النفس وعن الغير وعن الكون.

ولا شك أن اختصاص الإنسان باللغة، وتميزه بها عن غيره من الحيوانات، قد أثارت قديمًا وما تزال تثير تطلع الإنسان إلى معرفة طبيعة اللغة الإنسانية، وما يميزها عن صيحات الحيوان وإشاراته.

وإليك أهم القضايا التي أثارها علماء اللغة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم التشريح والطب.

علاقة اللغة بالنواحي الفسيولوجية والتشريحية:

كان يظن قديمًا أن اختصاص الإنسان باللغة يرجع إلى درجة ذكائه العالية، التي ترجع إلى وزن دماغه إلى وزن جسمه وهذا قول خاطئ؛ لأن اكتساب اللغة ما هو إلا تطور بيولوجي لا علاقة له بالذكاء.

لقد تبين للعلماء أن المخ الإنساني ينقسم إلى نصفين متماثلين، يسيطر النصف الأيسر منه على الجانب الأيمن من الجسم، ويسيطر النصف الأيمن منه على الجانب الأيسر، وأن النصف الأيسر من المخ يضم مراكز معينة مختصة بإنتاج الكلام واستقباله، وتفسيره لا نظير لها عند الحيوان.

وتبين كلك أن لدى الحيوان أجهزة للنطق على جانب كبير من الدقة والتعقيد– بل إن لدى بعضها جهاز سمعي يفوق قدرة الإنسان على السمع، بيد أن العلماء أجمعوا على أن الإنسان وحده لديه القدرة على تفسير الرموز الصوتية التي تصل إلى مخه، في صورة إشارات كهربية، إلى معانٍ بفضل ما لديه من خبرات سابقة لوجود مركز للذاكرة بمخه.

وهكذا نتبين أن الإنسان مهيأ فسيولوجيًا وعقليًا لإنتاج الكلام واستقباله وتفسيره.

- **اللغة الإنسانية منطوقة يستخدمها الإنسان في الاتصال بغيره من أفراد المجتمع لنقل أفكاره، والتأثير بها في الآخرين، ودفعهم إلى السلوك المرغوب فيه عند الاتصال.**

وتؤكد البحوث الحديثة أن لدى عديد من الحيوانات أدوات اتصال شبيهة

إلى حد ما، وأنها تستخدم هذه الأدوات في الوفاء بحاجاتها، بيد أن المقابلة بينها وبين اللغة الإنسان ليست على أية حال مماثلة لما لدى الإنسان.

وخلاصة الأمر.. أن الحيوان قد يكون قادرًا على إنتاج أصوات وعلى استخدامها، ولكن ذلك بقدر محدود في أصواته وفي مضامينه وأنها مكرورة وثابتة، ولا مجال فيها للتطور والإبداع، وقد أكدت البحوث الحديثة أن نجاح الحيوان في استخدام الأدوات وحل المشكلات قد يتحقق في ظروف محكومة، وربما لا تتحقق في ظروف حياتها الطبيعية.

عناصر الاختلاف بين لغة الإنسان وأدوات الاتصال عند الحيوان:

١- من المعروف أن النحل مثلا يستخدم أشكالا محدودة من الدورات والرقصات، يهدف بها إلى أمرين هما: تحديد المسافة والاتجاه بين الخلية وحقل الزهور فحسب، ولم يثبت أن لديه أشكالا أخرى تشير إلى كمية الطعام أو لون الأزهار، أو غير ذلك من المعلومات المتصلة بالطعام، أو بغيره من الأغراض، وكذلك الحال مع الحيوانات الأخرى.

وعلى هذا فالأشكال التعبيرية لدى الحيوان محدودة في إطار ضيق، على حين يتسع إطار الأشكال اللغوية عند الإنسان اتساعًا يشمل كل تجارب الإنسان ومعارفه.

٢- حين يصوت الحيوان يكون تصويته رد فعل مباشر لحاجة من حاجاته، أما الإنسان حين ينتج أصواتًا تكون أصواته رد فعل غير مباشر غالبًا، فالمنطوق (قلم) مثلا يستخدمه العربي للإشارة إلى شيء محدد، ويستخدم الإنجليزي لفظًا آخر هو Pencil، وفي أنحاء كثيرة من العالم يستخدم الناس ألفاظًا أخرى مما يعني أنه لا توجد علاقة مباشرة بين المنطوق ومفهومه، أما عند الحيوان فثمة تلازم بين صرخاته ومدلولها.

٣- حين يجري الإنسان اتصالا بغيره ممن يعرف لغته، فهذا يعني أنه يقوم بعملية مقصودة اختار فيها صوتًا بعينه، ليشير إلى مدلول بعينه، ومن ثم فإن لديه إدراكًا بالعلامة المختارة باعتبارها وسيلة لتحقيق هدفه، وقد كان من الممكن أن يستخدم وسيلة أخرى لنفس الغرض، وهذا معناه في

النهاية أن اختيار صوت بعينه عملية رمزية ناتجة عن وعي وقصد.

أما الحيوان فلا يشعر بصيحاته أو إشارته على أنها علامة أو رمز، ومن ثم لا يتوفر لها عنصر الوعي والقصد.

٤- يستخدم الإنسان اللغة في الإشارة إلى أشياء حسية وأفكار ذهنية مجردة، فالعربي يستخدم كلمة (تفاحة) مثلا للإشارة إلى التمرة المعروفة، ويستخدم كذلك كلمة (صداقة) للتعبير عن مفهوم مجرد ناتج عن خبرات أو تجارب اتصل بها على نحو من الأنحاء.

أما الحيوان فمدلول صيحاته أو إشاراته تدل فحسب على الرغبات والحالات الذاتية ولا تمثل إشارة Sign على الإطلاق لأي شيء موضوعي.

٥- يستطيع الإنسان أن يعمم اللفظ الذي يستخدمه في الإشارة إلى أشياء متشابهة، فكلمة (حقيبة) مثلا تشمل جميع الحقائب: حقيبة اليد، وحقيبة الكتب، وحقيبة الملابس... الخ، فإذا ما أراد التخصيص أضاف إلى الكلمة رموزًا لغوية أخرى تحدد مقصوده كأن يقول مثلا: (حقيقة المدرسة).

ولم يتبين علماء سلوك الحيوان هل الصوت الذي يصدره الحيوان مثلا للتحذير من الخطر، يعني خطرًا معينًا، أم أنه تحذير عام من كل الأخطار؟

٦- تستخدم اللغة الإنسانية للإشارة إلى أشياء أو أحداث بعيدة عن المتكلم زمانًا ومكانًا، إذ يستطيع مثلا أن يحكي أحداثًا أو يصف مشاهد مرت به أو بغيره من الناس من زمن بعيد، كما يستطيع أن يتحدث عن تجارب أو مشاهد يتوقع حدوثها في المستقبل.

أما الحيوان فليس لديه هذه المقدرة، لا الإخبار عن أحداث ماضية بعيدة، ولا على وصف تجارب الغير، ولا الإشارة إلى المستقبل.

٧- قد ينطق الحيوان بعض الأصوات في أشكال تشبه الكلمات، وقد تعبر هذه المنطوقات عن حاجة أو على أضعف الفروض - قد تشير إلى

شيء، ومع هذا فهذه الأشكال تختلف عن لغة الإنسان اختلافًا تامًا.

فلغة الإنسان مركبة، أي تتألف من وحدات صغراها الوحدات الصوتية (من الصوامت والحركات) ويتألف من هذه الوحدات الصغرى وحدات أكبر منها هي الكلمات، ويتألف من هذه الكلمات وحدات أكبر منها هي الجملة.

وقد أكدت بحوث العلماء أن صيحات الحيوان لا تتضمن وحدات شبيهة بالوحدات التي تتألف منها لغة الإنسان، وتفتقر إلى التأليف أو التركيب الذي تتصف به لغة الإنسان.

٨- يستطيع الإنسان أن يستبدل كلمة بكلمة في منطوق معين، قد يقول قائل، وهو يرى السفينة التي ينتظرها ظهورها: السفينة قادمة من الشمال، مثل هذا القائل يستطيع أن يستبدل كل كلمة من كلمات المنطوق السابق في مواقف أخرى، إنه يستطيع مثلا أن يقول:

السيارة	
القاطرة	قادمة من الشمال
الطائرة	

ويستطيع أيضًا أن يقول:

	من الشمال
السفينة قادمة	من الجنوب
	من الشرق

وبهذه الطريقة يمكن للإنسان أن يصنع عشرات بل مئات من الجمل، وقد أثبتت البحوث اللغوية الحديثة أن عدد المنطوقات التي يمكن للإنسان أن ينتجها لا حصر لها، أما صيحات الحيوانات والطيور فمحدودة العدد، فالعصفور (الأعظم) وهو من أكثر الطيور تصويتًا له فحسب ما يقرب من ثلاثين صيحة

مختلفة، وهذا معناه أن لدى الإنسان مقدرة هائلة على الخلق والابتكار، أي خلق جمل جديدة وفقًا للمواقف التي تتطلب هذه الجمل، بل قد ثبت أن الطفل الذي لم يتجاوز الرابعة من عمره يستطيع أن يؤلف جملا لم يستخدمها من قبل ويستطيع أن يفهم جملا لم يسمعها من قبل.

٩- وحين يؤلف الإنسان جملا لا يفعل ذلك على هواه، بل يلتزم قواعد صوتية وصرفية ونحوية ومعنوية معقدة، متعارف عليها بين أبناء لغته، ووفقًا للمواقف المتعددة التي تتطلب منطوقًا معينًا، والرجل الذي قال السفينة قادمة من الشمال، ينبغي أن يحدث تغيير صرفيًا في منطوقه عندما يتغير الموقف الذي يراقبه فيقول مثلا: السفينتان قادمتان من الشمال أو يقول: القطاران قادمان من الشمال... الخ.

وليس لدى الحيوان مثل هذه المقدرة، أي تغيير صرخاته وفقًا للمواقف.

١٠- يكتسب الإنسان قواعد لغته من الجماعة التي يشاركها لغتها، وترتبط لغة الفرد بلغة جماعته، مما يكسب لغته تنوعًا عظيمًا؛ نظرًا لتنوع الجهات التي تستخدم اللغة المعينة بفعل عامل الزمان والمكان، وليس ثمة تنوع في أدوات الاتصال عند الحيوان باعتبار الزمان والمكان.

١١- لغة الإنسان مكتسبة أي يتعلمها الأبناء من الآباء، ولا بد للفرد – لكي يكون ناطقًا – أن يعيش في مجتمع، فإذا لم يتوفر له ذلك فسيظل محرومًا من اللغة.

ويتفق الباحثون على أن سلوك الحيوان التعبيري ليس – في الغالب – محصلة تعلم واكتساب بل هو سلوك غريزي يتوارثه أفراد نوعه مثل الأشكال الفسيولوجية والتشريحة الوراثية.

وهكذا نتبين أن أدوات الاتصال عند الحيوان – مهما تنوعت وتعقدت – لا يمكن أن تقاس – بحال من الأحوال باللغة الإنسانية في شكلها ومضمونها، ومع ذلك فلم ينصرف العلماء عن إجراء تجارب جديدة للتعرف على طبيعة هذه

الأدوات باستخدام أساليب حديثة لم تستخدم من قبل، بيد أن هذه التجارب ما تزال في بداياتها، وإلى أن تظهر نتائجها وتتأكد لنقل: إن اللغة ظاهرة إنسانية، وإن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يستخدمها.

تعليم الحيوانات لغة إنسانية:

بذل الإنسان جهودًا كبيرة في تعليم الحيوانات لغة إنسانية، ولعل أشهرها ما يختص بتعليم الطيور والقردة، والتجارب تؤكد أن الطيور وبخاصة الببغاوات تكون قادرة على إنتاج منطوقات تشبه الكلمات والعبارات التي تتألف منها لغة مدربها غير أنها – في الحقيقة – تحكي ما سمعته أو تعلمته، يؤكد ذلك أن أحد العلماء نجح في تعليم ببغاء الإنجليزية، وبعد فترة استعان بمدرب ينطق الإنجليزية بلكنة مجرية، وسرعان ما ظهرت على لسانها هذه اللكنة.

على أن ما هو أوضح من ذلك في تقدير قدرتها على التعلم أنها قد تنجح مثلا: في أن تقول (أهلا) أو (وداعًا) ولكن من المحتمل أن تستخدم كلا منهما في موضع الآخر فتقول للمقبل عليها (وداعًا) وللراحل عنها (أهلا) وهذا يؤكد أنها لا يمكنها أن تستخدم اللغة الإنسانية استخدامًا وظيفيًا.

وقد ينجح المدرب في أن يعلم الببغاء أن تقول – حين ترى قطة تدخل إلى حجرتها: القطة دخلت، بيد أنها بالتأكيد لن تستطيع – حين ترى عددًا منها – أن تقول: القطط دخلت، **وهذا يعني أنها غير قادرة على إحداث تغيير فيما تعلمته من منطوقات ليلائم الموقف الجديد.**

والعلماء متفقون على أن المعجم الذي يمكن أن تتعلمه الطيور محدود جدًّا، وأنها لا تستطيع – على أية حال – تأليف جملة لم تتعلمها من مدربها من مفردات سبق أن تعلمتها.

وقد أجرى العلماء تجارب عديدة على تعليم القردة لغة منطوقة ولكن نجاحهم كان ضئيلا؛ لأن أعضاء النطق عندها غير مهيئة لإنتاج الأصوات الإنسانية، بيد أنهم نجحوا نجاحًا كبيرًا في تعليمها لغة الإشارة باستخدام أشكال

متنوعة من رقائق البلاستيك الملونة (△○ ▭ ...) ونجحت القردة سارة في استخدام هذه الرقائق استخدامًا جيدًا، وفقًا لمد تدل عليه كل رقيقة، ونجحت كذلك في استخدام بعض الرقائق التي تدل على مفاهيم مجردة، مثل: مختلف عن مماثل لـ ....، ونجحت كذلك في استخدام أدوات النفي والنهي والاستفهام، ونجحت كذلك في تأليف وفي فهم كثير من الجمل المعقدة.

ومع هذا النجاح فإن العلماء يشككون في نتائج هذه التجارب، ويرجع ذلك أنها خضعت في تعليمها لجهود مضنية من مدربيها، واستغرق ذلك وقتًا طويلا.

والطفل حين يكتسب لغة أهله لا يتلقى تدريبًا محددًا، بل يلتقط اللغة من أفواه المحيطين به، والطفل يستخدم لغته بعفوية مع من يشاء، وحين يشاء، أما سارة فلم تكن تستخدم الإشارات إلا مع مدربيها وفي الظروف التي تهيأ لها حتى تنجح في ذلك.

ولا شك أن هناك أسبابًا عديدة تفسر عجز الحيوان عن تعلم لغة إنسانية، قد تكون هذه الأسباب فسيولوجية (مثل عجز أعضاء الحيوان عن إنتاج الحركات المناسبة لنطق الأصوات، أو ضعف قدرة الحيوان على التحكم فيها، أو عدم وجود أعضاء معينة مثل الوترين الصوتيين) وقد تكون راجعة إلى عجز المدرب وافتقاره إلى المهارة والصبر الضروريين في نجاح عملية التعلم، وربما كانت الأسباب العقلية أهم هذه الأسباب، فأكثر الباحثين اليوم يرون أن الإنسان يملك عقلا ذا قدرات خاصة، قدرات على التحليل والتركيب لا تتوفر لأي حيوان آخر، ولا نعني بهذا الإنسان الذكي فحسب، بل إن أغبى الناس يتقن لغته تمامًا كما يتقنها أذكاهم.

وعلى الرغم من الجهود التي تبذل في تعليم الحيوانات لغة إنسانية نطمئن مؤقتًا، وحتى يظهر ما يخالف ذلك- إلى أن الحيوانات لا يمكنها أن تتعلم لغة إنسانية، فلم يرق حيوان- مهما بذل في تدريبه- إلى أن يكتسب لغة إنسانية، وأن يستخدمها كما يستخدمها بنو البشر، ولم نجد- فيما انتهى إلينا- وسيلة من وسائل الاتصال لدى الحيوان قد تطورت على نحو معقد كما تطورت لغة

الإنسان، وإذا ما كان لدى الحيوان مقدرة مماثلة لمقدرة الإنسان اللغوية فقد حق لنا أن نعجب لماذا لم يهيئها هذا الحيوان للاتصال حتى اليوم، إن لغة الإنسان في الحقيقة مختلفة اختلافًا نوعيًا عن أدوات الاتصال عند الحيوان.

مقدرة الإنسان المنعزل عن المجتمع البشرى على الكلام:

يتحدث العلماء والمؤرخون عن حالات كثيرة عاش فيها الإنسان منذ ولادته بين الحيوانات، أو بمعزل عن البشر، يرجع أقدمها إلى عام ١٣٣٤م، ويرجع أحدثها إلى عام ١٩٢٠م.

ومن النتائج التي وصل إليها العلماء من دراسة هذه الحالات:

١- أن الإنسان الذي عاش منذ ولادته بين الحيوانات، أو في عزلة من المجتمع الإنساني لا يستطيع الكلام، وليس في مقدوره أن يكتسب لغة كاملة إذا تجاوز الثانية عشرة من عمره.

٢- أن اللغة إنما يكتسبها البشر الذي عاشوا في مجتمعات لغوية، ومؤدى أن هذا الطفل لا يولد مزودًا بلغة معينة أو لديه قدرة على اكتساب لغة معينة، والصحيح أن الطفل يولد ولديه استعداد لتعلم اللغة (أية لغة)، وفي إطار مجتمع معين يكتسب لغة معينة فالطفل الذي يولد في مجتمع يتكلم العربية يكتسب العربية، والطفل الذي يولد في مجتمع يتكلم الإنجليزية يكتسب الإنجليزية ... الخ.

وقد تطلع الناس قديمًا إلى اكتشاف حقيقة اللغة وهل هي طبيعة أو مكتسبة ونشير هنا إلى تجربة طريفة يرويها (هيرودت) عن فرعون مصر (بسماتيك) الذي عزل طفلين منذ ولادتهما وحرمهما من أن يسمعا أي كلام، وبعد شهور وجد الملك أن الطفلين يطلبان الطعام قائلين (باكوس) أي خبز باللغة الفريجية (وهي لغة دولة قديمة في آسيا الصغرى)، وعندئذ ثب أن اللغة الفريجية أقدم من المصرية، وهي تجربة ينقضها العلم بلا شك.

اللغة مكتسبة

ثبت أن الإنسان وحده هو الذي يكتسب لغته من مجتمعه، فالطفل منذ ولادته يبدأ في اكتساب لغة لم يكن له منها شيء أبدًا، وهو يكتسب هذه اللغة ممن يحيطون به من أفراد مجتمعه، وأن هذا الطفل يتمكن من لغته– على الرغم من تعقدها وسعتها– في عمر لا يتجاوز الرابعة من عمره.

وينبغي أن ينمحي من الأذهان أن الطفل يكتسب لغته كما يتعلم الحساب مثلا؛ لأن كثيرًا من الأطفال لا تتوافر لديهم فرص التعلم المنظم، ومع ذلك يمتلكون لغتهم بكفاءة.

إن تعلم القراءة والكتابة والحساب، عملية تعليمية نظامية، أما اكتساب اللغة فعملية طبيعية تمامًا لا تتطلب تعليمًا منظمًا، ولهذا قيل إن اكتساب اللغة عملية نمو لا عملية تعليم.

نظريات في اكتساب اللغة:

أولا– نظرية التقليد:

هي النظرية التقليدية القديمة ومؤداها أن الطفل يستمتع إلى أصوات المحيطين به، ويرى وجوههم وشفاههم وأفواههم وما تقوم به من حركات، ويحاول– بقدر الإمكان – تقليدها.

وللتقليد دور ملحوظ في اكتساب اللغة، ولكنه غير كاف في تعلمها؛ لأن للطفل لغته الخاصة، فالكبار مثلا لا يقولون (أطه إنين)، ولا (بابا شغل) ولا (ماما أكل)، ومن ثم فإن لغة الطفل تختلف تمامًا عن لغة المحيطين به، ومن ثم فلا تقليد.

وهكذا يبدو أن الطفل لا يكتسب اللغة ممن يحيطون به من الأطفال الذين يكبرونه، بل إنه يستخلص ما يمكن أن يكون مناسبًا للمرحلة اللغوية التي يمر بها، وهذا يعني أن لديه استعدادًا فطريًا لاكتساب اللغة، وأن هذا الاستعداد

يتطور في مراحل متدرجة، هذه الاستعداد هو أساس عملية الاكتساب عند علماء اللغة المعاصرين.

ثانيًا- نظرية التدريب والتشجيع:

مؤدى هذه النظرية أن الطفل في مرحلة الاكتساب يخضع لتدريب لغوي متواصل يدعمه تشجيع وتعزيز من الكبار المحيطين به.

تؤكد البحوث المعاصرة أن كل المحاولات التي تبذل لتصحيح لغة الطفل محكوم عليها بالفشل، فالأطفال- في الحقيقة- لا يدركون في أي شيء يخطئون، بل أنهم غالبًا ما يكونون غير قادرين على تصحيح أخطائهم عندما ينتبهون إلى ذلك، وهذا واضح من المثال الآتي:

الطفل: أعربة

الطفل: عأ

الأب: ربة.

الطفل: ربة.

الأب: عأربة.

الطفل: أعربة.

مثل هذا الحوار (وقد حدث بالفعل بيني وبين ولدي حسام حين كان في الرابعة من عمره) نادر الحدوث، فالآباء والأمهات مشغولون عن تصحيح أخطاء اطفالهم، بل إنهم عادة ما يفرحون بمثل هذه الأخطاء فهي مُلَح يتندرون بها في مجالسهم ولا يحرصون أبدًا على تصحيحها.

ثالثًا- نظرية القواعد التقليدية التوليدية:

لم يهتم علماء اللغة التقليديون بموضوع اكتساب اللغة إلا اهتمامًا عرضيًا، أما علماء اللغة المحدثون لا سيما تشومسكي وأتباعه، فقد اهتموا به اهتمامًا بالغًا، وجددوا تجديدًا عميقًا في الطرق التي تعالج بها مشكلاته، وبهذه المعالجة

الجديدة اقتبس علم النفس نماذجه من علم اللغة، وبدأ علم اللغة – في الوقت نفسه – يتناول بعض المشكلات النفسية.

لقد أوضح تشومسكي– في نظريته العامة– أن كل من له لغة معينة يستخدمها في حياته قد اكتسب في ذاته– وبصورة ما نظامًا من القواعد يحدد الشكل الصوتي للجملة ومحتواها الدلالي الخاص.

ويحتج تشومسكي في نظريته عن اكتساب الطفل لغته بأن الأطفال الذين اكتسبوا لغة الأم يصبحون بسرعة قادرين على توليد وفهم عدد لا محدود من الجمل، كما أنه لاحظ أن هذا الاكتساب يمر بمراحل متدرجة ومنتظمة مع كل الأطفال.

واللغويون الذين يفسرون اكتساب اللغة بعامل التقليد أو التدريب والتعزيز لم يتبينوا العامل الحاسم في الاكتساب، وهو أن الأطفال يضعون قواعد لغتهم الخاصة بأنفسهم، هذه القواعد هي التي تحكم أداءهم اللغوي الفعلي، لاحظ مثلا كيف تتطور طريقة الطفل في تأليف الجمل المنفية، وكيف تبدأ بسيطة ثم تتدرج في التعقيد يومًا بعد يوم.

ففي البداية يضيف الطفل إلى الجمل الخبرية المثبتة (لا) أو أي أداة أخرى للنفي في بداية الجملة أو في نهايتها فيقول مثلا:

أطة لأ	ويريد بها	لا أربد قطة
كلت لأ	ويريد بها	ما أكلت (أو لا أريد الأكل)
ننة لأ	ويريد بها	ما نمت (أو لا أريد النوم)

والحق **أنه لم يسمع هذه الجمل ممن يحيطون به (كما تدعي النظريتان السالفتان)**؛ لأن هذه الجمل لا يستخدمها الكبار حتى يقلدها الصغار، وما حدث أن الطفل قد قام ببساطة بتحويل الجمل الخبرية المثبتة إلى جمل خبرية منفية بطريقته الخاصة.

ثم يتقدم الطفل من القواعد البسيطة إلى القواعد المعقدة فيقول مثلا:

كلت؟ لا ما كلتش.

نمت؟ لا ما نمتش.

هذا وأغلب الأطفال المصريين يمرون بهذا النمط من التطور، أو بتغيرات مشابهة، فهل من الصحيح إذن أن ندعي أن الطفل الذي قال: (كلت لأ) قد أخطأ لأن جملته السابقة تخالف لغة المحيطين به؟

أصحاب هذه النظرية يرون أن هذا الطفل وأمثاله لم يخطئوا، وأن جملته السابقة تعكس قواعد مرحلة لغوية من مراحل تطوره، ومن ثم فهم يقررون أن الطفل يجيء كلامه وفقًا لقواعد بسيطة جدًّا، وعامة جدًّا خاصة به يستنبطها بنفسه من المحصول اللغوي الذي يستقبله، وهذا يذكرنا بما سبق أن قلناه من أن الطفل لا يكتسب اللغة، وهو خالي الذهن تمامًا بل أنه يفعل ذلك بوعي كامل.

وأقرب الأمثلة لتوضيح هذه الفكرة ما يجنح إليه الأطفال من "تعميم" حين يستخدمون الأفعال أو الأسماء أو الصفات غير القياسية، كما لو كانت مطردة فيقولون مثلا:

الولد أبيض البنت أبيضة

فالطفل يجيء بتاء التأنيث في وصف المؤنث قياسًا على القاعدة:

بابا طويل وماما طويلة

أو يقول: خروفات وكتبات، قياسًا على بنات وستات، وهذه الأشكال التي نعدها أخطاء تكشف لنا أكثر من غيرها كيف يكتسب الطفل لغته، فالطفل لا يقلد؛ لأن هذه الأشكال في الحقيقة لا يستخدمها أبدًا الآباء أو الأبناء الذين يكبرونه.

وحين يتجاوز الطفل هذه المرحلة اللغوية سوف يتعلم أن هناك استثناء على القاعدة.

عندئذ سوف يقول: (الولد أبيض والبنت بيضا)، أو أن هناك قاعدة أخرى وعندئذ سوف يقول: خرفان وكتب.

وأذكر – فيما يتصل بالجانب الابتداعي من ملكة الطفل اللغوية، أن ولدي حسام الدين حين بلغ الرابعة ابتدع فعلا من كلمة (الجرس) فكان يقول: جَرَّس أي دق الجرس، وما زال يستخدم هذا الفعل وما يتصرف منه حتى اليوم، ومن الواضح إنه قد أخضع الكلمة لقاعدة متوفرة لديه جاء على مثالها دَبَّس وخَرَّم، وهذا آخر يقول عن ذقن أبيه (شوَّاكة)، صاغها على مثال ثلاجة، والأطفال جميعًا يفعلون شيئًا من ذلك، بيد أننا لا نلاحظ سلوكهم اللغوي ملاحظة دقيقة.

ونلخص أهم النتائج التي توصل إليها الباحثون في هذا المجال:

١- لا يتعلم الأطفال اللغة بتخزين كل الكلمات وكل الجمل فيما يشبه أن يكون معجمًا عقليًا هائلا، فعدد الكلمات محدود، إذ لا يوجد معجم يمكنه أن يضم كل الجمل التي يمكن تأليفها من هذه الكلمات، هذه الجمل – في الحقيقة – لا يحدها الحصر.

٢- يؤلف الأطفال جملا لم يقوموا قبلا بتأليف معظمها.

٣- يفهم الأطفال جملا لم يسمعوها من قبل، ولا يتم لهم ذلك بمقارنة الجملة المسموعة بجملة مخزونة.

٤- وعلى الأطفال أن يتعلموا قواعد تسمح لهم باستخدام اللغة استخدامًا خلاقًا، فالطفل الذي يقول: بابا جه وماما جت، قد استقرت في ذهنه قاعدة تمكنه من ابتكار جمل لا حصر لها تأتي مطابقة لها، قد يقول مثلا: خالو جه وعمتو جت، بل ربما يقول: الكلب جه والأطة جت.

٥- لا أحد يعلم الأطفال هذه القواعد، فآباؤهم ليسوا أكثر منهم اهتمامًا بقواعد اللغة بمستوياتها الصوتية والنحوية والدلالية، ويبدو أن الطفل يتصرف في لغته كما يتصرف اللغوي الكفء المزود بنظرية كاملة عن اللغة، حين يستخدم هذه النظريات في وضع اللغة التي يسمعها.

٦- ليس اكتساب اللغة إلا تطورًا بيولوجيًا لا علاقة له بالذكاء، فالطفل الغبي والذكي على سواء في اكتساب نظام لغوي كامل، يتألف من

وحدات لغوية، ومن قواعد لتأليف هذه الوحدات.

٧- يتعلم الطفل اللغة على أية حال سواء تعلمها مباشرة من أفراد أسرته، أم تُرِك وشأنه يلتقطها بنفسه ممن يحيطون به، ولهذا فليس هناك من فائدة تذكر فيما يبذله الوالدان وأفراد الأسرة من جهود في تدريب أطفالهم على التكلم، فالطفل سيكتسب اللغة بطريقة أو بأخرى ما دام يعيش في مجتمع لغوي.

٨- لا يتعلم الأطفال قواعد اللغة المعقدة فحسب، بل يتعلمون كذلك القواعد المعقدة للاستعمال الاجتماعي المناسب للغة، ومن هذه القواعد ما يتصل بالتحيات والمعروفة وبالكلمات المحرم استعمالها، وبصيغ النداء المهذبة، وبالأساليب المتنوعة التي تناسب المواقف المختلفة... الخ.

٩- لقد تبين لنا أن الطفل يكتسب لغته من مجتمعه، وأنه في سن الثالثة أو ما حولها يتمكن منها، بحيث يكون قادرًا على الاتصال الفعال بأفراد المجتمع، بيد أن عملية الاكتساب لا تتوقف عندئذ، إذ إنها كما يقرر (لويس) عملية تدوم ما دامت الحياة في البيت، وفي المدرسة وفي الحياة العملية.

١٠- يكتسب الطفل لغة مجتمعه على مراحل متدرجة، ولا علاقة لهذا بجنس معين أو بلغة معينة، فأطفال العالم جميعًا يمرون بنفس المراحل تقريبًا، وليس صحيحًا مثلا أن الطفل الصيني يستغرق وقتًا أطول أو أن الطفل الإنجليزي يستغرق وقتًا أقل.

اللغة أصوات

الأصوات المنطوقة هي المادة التي تتألف منها اللغة الإنسانية، ومن المفيد أن نذكر هنا أن اللغة – أساسًا – منطوقة، أما اللغة المكتوبة فثانوية، لقد تعلمنا جميعًا الكلام قبل الكتابة، وإذا استعرضنا تاريخ الجنس البشري وجدنا ما يؤكد

هذا، لقد وجدت مجتمعات بدائية لها لغات منطوقة لا تكتب، ولكننا لا نعرف حتى الآن مجتمعًا له لغة مكتوبة لا تنطق.

ولهذه الأصوات جوانب ثلاثة تتوجه إليها جهود اللغويين هي:

أولا: جانب إصدار هذه الأصوات، ويتمثل هذا فيما تقوم به أعضاء النطق من حركات لإنتاج الأصوات.

ثانيًا: جانب انتقال هذه الأصوات في الهواء، ويتمثل هذا في الموجات الصوتية التي تنتشر في الهواء نتيجة لما تقوم به أعضاء النطق من حركات.

ثالثًا: جانب استقبال الأصوات، ويمتد هذا الجانب من اللحظة التي تستقبل فيها طبلة الأذن تلك الأصوات والذبذبات التي تحدثها في أجزاء الأذن المختلفة إلى أن تنتقل عن طريق الأعصاب إلى المخ.

وهذه الجوانب كلها تلقي اهتمامًا كبيرًا من علماء اللغة، غير أن عنايتهم بالجانب النطقي أكثر، وكان هذا الجانب أيضًا محط عناية قدامى اللغويين.

عنايتنا هنا إذًا سوف تتوجه أساسًا إلى اللغة المنطوقة، وهذه اللغة المنطوقة يقوم بإنتاجها ما يسمى مجازًا أعضاء النطق، ابتداء من الحجاب الحاجز حتى الشفتين، فالرئتان والحلق واللسان والأسنان والشفتان... الخ، لها وظائف حيوية أصلية غير الكلام لا تحتاج إلى بيان في هذا المقام. وسوف يكون لموضوع الأصوات مقرر خاص في العام القادم إن شاء الله.

اللغة نظام

اللغة مجموعة من القوانين أو الأنظمة تصف مجموعة لا حد لها من الجمل، كل جملة منها لها معنى يقترن بسلسلة من الأصوات، والجملة تتألف من مجموعة من الكلمات، ومعنى الجملة يتوقف على معاني الكلمات التي تتألف منها، كما يتوقف نطق الجملة على نطق الكلمات التي تتألف منها، والكلمات تتألف من

أصوات، وهذه هي الغاية التي يمكن أن ينتهي إليها الشخص العادي في تحليله.

أما اللغوي فيرى أن كل صوت من هذه الأصوات المفردة أو المستقلة يتركب في الواقع من عدد من الصفات (فالسين مثلا صوت يوصف بأنه مهموس، احتكاكي، لثوي)، هذه الصفات تمثل – طبقًا لقواعد التحليل اللغوي – ذرات الكلام أو الأجزاء الصغرى.

وليست الجملة التي نعدها الوحدة الكبرى للكلام مجرد مجموع من الكلمات، بل هي كذلك بالإضافة إلى الطريقة التي بها تنتظم هذه الكلمات وتتركب؛ ولهذا يقال: إن الجملة كل تنظيمي، والكل التنظيمي دائمًا أكبر من مجموع أجزائه، وأشبه شيء بذلك أن نقارن فرقة من الجيش تتألف من عدد محدد بجماعة من الناس في الشارع لها نفس العدد، فالشأن أن فرقة الجيش تمتاز بأمر إضافي هو النظام الذي يؤلف بين أفرادها، ومن ثم كان للفرقة من الخصائص والتأثير ما ليس للجماعة المذكورة.

خلاصة القول.. إن اللغة نظام بالغ الدقة والتعقيد يتألف من عدد من الأنظمة الفرعية التي تتناول وحدات اللغة المختلفة، هي النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام النحوي، وكل نظام من هذه الأنظمة له وحداته الخاصة، وله قواعده في تأليف الوحدات، ويمكننا التعرف على هذه الوحدات، وملاحظة الصور المسموح بها، وغير المسموح بها، وكل نظام من هذه الأنظمة يعمل من خلال غيره من الأنظمة، ولكننا – مع ذلك – نستطيع أن نميز من أجل التحليل فحسب وحدات كل نظام منها وقواعد التركيب الخاصة به.

النظام الصوتي:

يستطيع الإنسان أن ينتج عددًا كبيرًا من الأصوات، وهو يستطيع كذلك أن يدرك الفروق التي تميز كل صوت منها عن الآخر، ولكن اللغة المعينة (العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية ... الخ) لا تستخدم كل الأصوات التي يمكن أن تنتجها أعضاء النطق، بل تستخدم عددًا محدودًا جدًا منها، والذين يعرفون لغات

أجنبية يدركون هذا بوضوح، فالعرب الذين يعرفون الإنجليزية يعرفون أنها تستخدم بعض الأصوات التي لا تستخدمها العربية (مثل صوت p.v) ويعرفون أيضًا أن العربية تستخدم أصواتًا لا تستخدمها الإنجليزية (مثل صوت العين والغين والحاء والخاء ... الخ).

ومع هذا فهناك قدر مشترك من الأصوات تستخدمه اللغتان مثل M,T,F,D والتي يقابلها في العربية الدال والفاء والتاء والميم.

ومن المهم جدًّا أن نعرف أن الأصوات (أو الوحدات الصوتية Phonemes) التي تستخدمها كل لغة – مهما كان عددها – تتمثل في صور منتظمة يتعارف عليها أصحاب اللغة المعينة، ويستخدم هؤلاء هذا النظام بعفوية ودون إدراك لطبيعته أو قواعده، ولذلك يندهش الكثيرون حين يسمعون متكلمًا بلغة أجنبية لا يعرفونها ويتخيلون أنه ينطق أصواتًا مختلطة لا نظام لها، وهذا تصور خاطئ مرجعه إلى أنهم لا يعرفون وحدات هذه اللغة وقواعد تأليفها، أما الذين يعرفون لغة أجنبية أو أكثر فيدركون أن لهذه اللغات وحدات تختلف قليلا أو كثيرًا عن الوحدات التي تتألف منها لغتهم، وأن لها قواعد في تأليف هذه الوحدات تختلف عن قواعد لغتهم.

ونخرج من هذا بأن لكل لغة إنسانية وحداتها الخاصة ونظامها الخاص، أي أن لكل لغة عددًا محدودًا من الوحدات يمكن أن تجتمع في أشكال خاصة بعدد محدود من الطرق، فالعربية مثلا تستخدم أربعًا وثلاثين وحدة صوتية تتوزع على النحو الآتي:

ثلاث وحدات للحركات القصيرة هي: الفتحة والكسرة والضمة (لا تستخدم العربية رموزًا كتابية أساسية تشير إلى الحركات القصيرة) وثلاث وحدات للحركة الطويلة هي ألف المد وياء المد وواو المد، ووحدتان لأنصاف الحركات هي الواو والياء (تستخدم العربية رمزًا كتابيًا واحدًا لواو المد في نحو "فُول"، وللواو التي هي نصف حركة في نحو "وَعد" وتستخدم رمزًا واحدًا لياء المد في نحو ("فِيل"،

ولليـاء التـي هـي نـصف حركـة فـي نحـو "يَـأس") وسـت وعـشرون وحـدة مـن الـصوامت هـي الهمـزة، واليـاء، والتـاء، والثـاء،والجيم، والحـاء والخـاء، والـدال، والـذال، والـراء، والـزاي، والـسين، والـشين، والـصاد، والـضاد، والطـاء، والظـاء، والعين، والغين، والفاء، والقاف، والكاف، واللام، والميم، والنون، والهاء.

النظام الصرفي:

يتمثل النظـام الـصرفي في الطـرق التـي تُبنـى بها المورفيمات من الوحدات الـصغرى أو الفونيمـات، وقد ذكرنـا من قبـل أن الفونيمات هـي أصـغر الوحـدات التي يمكن أن تبنى منها اللغة، فهي إذن مادة الوحدة الصرفية.

ووحـدة النظـام الـصرفي هـي (المـورفيم Morpheme) ويعـرف بأنـه: أصـغر وحدة ذات معنـى، فالكلمـة (مصر) مروفيم؛ لأنـها أصـغر وحدات ذات معنـى، إذ لا يمكـن أن تنقسم إلـى وحـدات أصـغر منهـا ذات معنـى، أمـا الكلمـة (مـصري) فليست مورفيمًا، إذ يمكن أن تنقسم إلى وحدتين أو مورفيمين هما: (مصر) وياء النسب، ولكل معنى.

والمورفيم من حيث تكوينه قد يكون وحدة صوتية، وقد يتألف من أكثر من وحدة صـوتية، فالشكل (قامتْ) يتألف من مورفيمين الأول: هو قام ويتالف من الوحدات الصوتية ق + ا + م + فتحة والثاني هو: ت.

ويقسم اللغويون المورفيم إلى نوعين: مورفيم حر Free Morpheme، إذا ما صـح وقوعـه منفـردًا ومـورفيم مقيـد Bound Morpheme إذا لـم يـصح وقوعـه منفردًا، بل يكون متصلا بغيره، فالشكل (قامتْ) يتألف من مورفيم حر هو (قام) الذي يمكن أن يقع وحده فـي الجملـة: قام محمد، ومـورفيم مقيد هو: تـاء التأنيث التي لا تأتي بل تجئ متصلة بالفعل.

ويفترق المورفيم عن الفونيم في الوظيفة فالمورفيم وحدة لها معنى، فالمورفيم (بـاب) لـه معنـى، ويتـألف – كمـا هـو واضـح – مـن فونيمـات، لـيس لأي منهـا معنـى، فالبـاء من (بـاب) مثلا لا معنـى لهـا، وإن كانـت لهـا وظيفـة هـي التفريـق

والتمييز كما سبق أن أوضحنا عند الحديث عن النظام الصوتي.

ولكل لغة نظام خاص في بناء كلماتها، فالإنجليزية مثلا تستخدم ما يسمى باللواصق، انظر مثلا إلى استخدام اللاحقة ly – في الكلمات quickly, happily, slowly، انظر أيضًا إلى استخدام السابقة un – في الكلمات unhappy, unusual, unsuitable.

وتستخدم هذه اللواصق بأنواعها المختلفة لأغراض نحوية، انظر مثلا إلى استخدام اللاحقة S في الكلمات boys, books, dogs، وانظر إلى استخدام اللاحقة ed في الكلمات hoped, walked, talked.

والعربية تستخدم كذلك بعض اللواصق، انظر مثلا إلى استخدام (ال) في الكلمات الآتية: الكتاب، القلم، البيت، وانظر أيضًا إلى استخدام الهمزة في تعدية الفعل اللازم نحو قام وأقام وخرج وأخرج ودخل وأدخل، وانظر إلى ياء النسب في نحو مصري وسوري وعراقي، وإلى تاء التأنيث في الأفعال قامت وخرجت ودخلت، وإلى ألف الاثنين في نحو: كتابان وثوبان... الخ.

اللغة العربية اشتقاقية:

وتستخدم العربية وبعض اللغات الأخرى التغييرات الداخلية في بناء الكلمات، فالكلمة كاتب ومكتوب ومكتب وكتاب وكتب... الخ، ترجع إلى أصل واحد هو الجذر ك. ت. ب، وتتألف الجذور في العربية من الصوامت، وهي في الأعم الأغلب ثلاثية، وينسب إلى الجذر معنى عام في كل الكلمات التي تؤخذ منه، ففي الكلمات السابقة كلها معنى الكتابة، غير أن معنى كل كلمة منها تختص بمعنى زائد على هذه المعنى، فكاتب تدل على من أحدث الفعل (الفاعلية) ومكتوب تدل على من وقع عليه الفعل (المفعولية) وكتب تدل على حدث وقع في الزمن الماضي (الفعلية الماوضية).. الخ.

فمن أين جاءت هذه المعاني التي تميز هذه الكلمات؟

تتضمن الكلمات السابقة بالإضافة إلى الصوامت الثلاثة عنصر الحركات،

وهذه الحركات هي التي تشكل ما يسمى بأبنية الكلمات أو صيغها، ويطلق على معنى الصيغة (المعنى الصرفي) ولعل ذلك يتضح من كتابتها على النحو الآتي:

كاتب / Kaatib /

مَكْتَب / ma-ktab /

كَتَبَ / Kataba /

كُتِبَ / kutiba /

يَكْتُبُ / ya-ktubu /

ولعلك لاحظت أن صيغة الكلمة تتحدد بنوع الحركة فتحة أو ضمة أو كسرة وبطولها قصيرة أو طويلة، وهناك عناصر أخرى تشترك في تشكيل بناء الكلمات وإضفاء المعاني الصرفية عليها، وتعرف هذه العناصر في الصرف العربي بحروف الزيادة، ومن أمثلتها (مَ) في مكتب ومكتوب و(يَ) في يكتب.

النظام النحوي:

ويمكننا أيضًا التعرف على النظام الذي تنتهجه كل لغة في القواعد التي تنتظم تأليف الكلمات في عبارات أو جمل، وهذا ما يعرف بعلم النحو، وتقوم الدراسة النحوية على أساسين مهمين:

الأول: هو بيان الوحدات التي تتألف منها العبارة أو الجملة.

والثاني: بيان العلاقة المتبادلة بين هذه الوحدات.

وقد أشرنا من قبل إلى أن الوحدات التي يمكن أن تؤلف عبارة أو جملة هي الوحدات الصرفية أو المورفيمات.

أما العلاقات المتبادلة بين الوحدات فتأتي في شكلين: العلاقات الرأسية والعلاقات الأفقية.

العلاقات الرأسية:

وتقوم هذه العلاقات على أساس أن أشكالا لغوية تشترك في خواص عامة

يصح أن تشغل موقعًا معينًا، ولنأت بمثال لتوضيح ذلك:

تتضمن الجملة الإسنادية أو ما يعرف بالجملة النواة Kernel sentence موقعين هما موقع المسند إليه وموقع المسند، ويتم شغل الموقع الأول منهما بوحدات من طبقة خاصة تسمى أشكال المسند إليه، ويتم شغل الموقع الثاني بوحدات من طبقة أخرى تسمى أشكال المسند.

فالوحدات الآتية يمكن أن تشغل الموقع الأول: محمد، الرجل، هذا الرجل، الذي يقوم، الرجال، ولا يمكن للوحدات الآتية أن تشغل هذا الموقع: كتب، يكتب، اكتب؛ لأنها الوحدات التي تشغل الموقع الثاني.

العلاقات الأفقية:

وهي تقوم على أساس علاقة الوحدة بما يجاورها من وحدات في سياقها ويتفرع عن العلاقة الأفقية العلاقات الآتية:

(أ) الرتبة:

لكل لغة نظامها الخاص في ترتيب الكلمات في جمل أو عبارات، ففي الإنجليزية يقال The good man، ولا يقال The man good، على حين يقال في العربية: الرجل الطيب بتقديم الموصوف على الصفة، ولا يقال الطيب الرجل بتقديم الصفة على الموصوف كما في الإنجليزية.

والرتبة نوعان محفوظة وهي أن تحتفظ أشكال لغوية معينة بمكان ثابت بالقياس إلى ما يجاورها، فالصفة في العربية تتأخر عن الموصوف، والموصول يتقدم على الصلة والمضاف يتقدم على المضاف إليه... الخ، وغير محفوظة حيث يسمح لبعض الأشكال أن تتقدم أو تتأخر بالنسبة لأشكال أخرى، فالحال في العربية مثلا قد يتقدم على عامله فيقال: مبتسمًا حضر محمد أو على صاحبه: حضر مبتسمًا محمد، والمفعول به قد يتقدم على الفاعل فيقال ضرب عليًّا محمد أو على فعله عليًّا ضربه محمد ... الخ.

وللرتبة أهمية كبيرة في الإنجليزية حتى لينبني على تغييرها تغير في العلاقات

النحوية، ففي الجملة Tom hit John يتقدم الفاعل Tom ويتأخر المفعول به John وسوف تغير العلاقات حين يقال John hit Tom فيصبح John فاعلاص ويصبح Tom مفعولا به، وشبيه بهذا في العربية قولنا ضرب موسى عيسى، فالمتقدم هو الفاعل بالضرور؛ نظرًا لأن الفاعل والمفعول هنا معربان بحركات مقدرة، وعلامات الإعراب في العربية تحدد وظائف الكلمات في الجملة،.

(ب) المطابقة:

تتم بين بعض الأشكال في السياق وتكون المطابقة فيما يأتي:

١- العلامة الإعرابية.

٢- الشخص (التكلم والخطاب والغيبة).

٣- العدد (الإفراد والتثنية والجمع).

٤- النوع (التذكير والتأنيث).

٥- التعيين (التنكير والتعريف).

وتتم المطابقة في العربية بين المبتدأ والخبر وبين الصفة والموصوف... الخ، فيقال مثلا: محمد قائم، وفاطمة قائمة، والرجلان قائمان، والفتاتان قائمتان، والرجال قائمون، والبنات قائمات... الخ.

ويقال مثلا: رجل قائم، والرجل القائم، وفتاة قائمة، والفتاة القائمة، ورجلان قائمان، والرجلان القائمان... الخ.

ولا يمكن بحال مخالفة هذه المطابقة فلا يقال مثلا: محمد قائمة أو قائمان ... الخ، وتختلف قواعد المطابقة باختلاف اللغات، فالمطابقة بين الصفة والموصوف في الإنجليزية في العدد وفي النوع غير مرعية فيقال: The good man, The good girl, The good men.

(جـ) الإعراب:

نظام يتألف من مجموعة من العلامات الشكلية تقوم بدور كبير في بيان

المعاني النحوية، وتختلف اللغات فيما بينها في الاعتماد عليه، فالإنجليزية غير معربة على حين تعتمد العربية الفصحى عليه، وكانت اللاتينية لغة معربة، وما تزال بعض اللغات التي تفرعت عن اللاتينية تستخدم بعض الحالات الإعرابية.

ونظام الإعراب في العربية يتألف من أحوال إعرابية وهي: الرفع والنصب والجزم والجر، ولكل من الحالات السابقة علامات فعلامات الرفع قد تكون الضمة أو الألف أو الواو، وعلامات النصب قد تكون الفتحة أو الألف أو الياء أو الكسرة ... الخ.

ولكل موقع من المواقع الإعرابية حالة معينة، فالفاعل مثلا مرفوع، والمفعول به منصوب، والمضاف إليه مجرور... الخ.

اللغة رمزية

الأصوات هي مادة اللغة، وهذه الأصوات رموز، أي بدائل تستخدمها في الإشارة إلى شيء ليس هو الأصوات نفسها.

فالأصوات التي تمثل الكلمة "وردة" هي وسائل للإشارة إلى الوردة نفسها، وليس ثمة علاقة ضرورية أو طبيعية بين أصوات هذه الكلمات والوردة نفسها، وكل ما حدث أنه في وقت ما من تاريخ اللغة العربية ربط المتكلمون بهذه اللغة، بين هذا اللفظ وهذا الشيء.. وقد كان من الممكن أن يستخدموا لفظًا آخر أو يستخدموا هذا اللفظ للإشارة إلى شيء آخر.

إن العلاقة بين الأصوات المعينة، والأشياء التي يشار إليها به علاقة اعتباطية.

وحين يتعرض الإنسان لما يؤلمه أو يؤذيه قد يطلق صيحة، هذه الصيحة هي رد فعل لما أحس به، والعلاقة بين الصيحة والألم علاقة مباشرة فليست الصيحة بديلا عن الألم بل هي رد فعل له.

أما الكلمة (ألم) مثلا فهي علامة غير مباشرة يستخدمها من يتكلم العربية للإشارة إلى إحساس ما، ويستخدم من يتكلم الإنجليزية كلمة أخرى هي Pain

لنفس الغرض، ويستخدم من يتكلم الفرنسية كلمة ثالثة.. وهكذا؛ لأنه لا توجد علاقة مباشرة بين العلامة المستخدمة (لفظ ألم أو Pain... الخ) وما تشير إليه (الألم نفسه).

اللغة إذن علامات غير مباشرة، أو رموز للإشارة إلى الأشياء، فما هي العلامات والرموز، وما العلاقة بينهما وبين الأشياء؟

العلامات Signs والرموز Symbols:

من الواضح أننا في حديثنا العادي لا نفرق بينهما، ولكن علماء السيميوطيقا- وهو العلم الذي يدرس كل أشكال العلامات والرموز عند الإنسان والحيوان والآلات - يفرقون بينهما.

إن كل ما في الكون من ظواهر ينبئنا أو يعلمنا بشيء ما، فالدخان الذي يتصاعد من النار علامة على وجود نار، إنه يعلمنا بوجود النار رغم أننا لا نراها.

ولكن النار تصبح رمزًا إذا ما اتفق عدد من الناس على أن تكون للتحذير من عدو قادم، واللون الأخضر والأحمر والأصفر لا يعني شيئًا غير اللون ذاته، ولكن هذه الألوان حين تستخدم لتنسيق حركة السيارات والمشاة تعني شيئًا آخر غير اللون ذاته، أي تصبح رموزًا للسير أو التوقف أو الاستعداد.

فالرمز يتطلب وجود طرفين: مرسل وهدفه الإعلام أو الإخبار، ومستقبل يتلقى الرمز.

أما العلامة فلا تتطلب بالضرورة وجود الطرفين معًا، فرؤية المارة وهم يتدثرون بمعاطفهم علامة على برودة الجو، ولكنه ليس رمزًا؛ لأنه ليس ثمة طرف يقوم بإخبارنا بذلك، وظهور سحاب كثيف علامة على مطر متوقع، ولكن ليس ثمة مرسل يقوم بإخبارنا بذلك، وتسمى هذه العلامات بالعلامات الدالة indexical.

رأينا سلفًا أن صيحات الحيوان تعد ردود أفعال مباشرة لما يشعر به أو ما يحتاج إليه، وهذا يعني أنها علامات لا رموزًا، ولدى الإنسان مواقف معينة تعد ردود أفعال أو علامات فحسب، فالبكاء علامة على الحزن، واحمرار الخدين

علامة الخجل، واصفرار الوجه علامة على الخوف... وهذه كلها علامات دالة على حالات من الانفعال ولا يقصد الإنسان إلى استخدامها رموزًا.

الرمز إذن يتطلب قصدًا، أما العلامة فلا تتطلب ذلك بالضرورة، وانظر إلى علامة المرور التي تمثل طفلين يعبران الطريق، هذه العلامة ليست رمزية؛ لأنها تقدم لنا صورة فعلية لما يعتقد أنه مصدر خطر أمام السائقين، ولا يحتاج هؤلاء السائقون إلى من يلقنهم معناها.

وانظر إلى علامة المرور التي تمثل مشعلا يعني المعرفة ويشير إلى وجود مدرسة عبر الطريق، هذه العلامة رمز؛ لأن العلامة بين المشعل والمعرفة اعتباطية؛ ولأن السائقين يحتاجون إلى من يفسرها لهم.

الرمز إذن.. لا يمثل الشيء الذي يشير إليه، أما العلاقة فقد تكون تمثيلا لما تشير إليه.

ونلخص الآن أهم خصائص الرمز:

١- يتطلب الرمز وجود مرسل يهدف إلى الإخبار بشيء ومستقبل يتلقى الرسالة.

٢- العلاقة بين الرمز والمرموز إليه علاقة اعتباطية، فليس ثمة علاقة ضرورية بينهما.

٣- يتطلب الرمز قصدًا من المرسل ووعيًا باستخدام الرمز ووسيلة لتحقيق مراده.

٤- لا يمثل الرمز الشيء الذي يشير إليه، بل يعني شيئًا غير ذاته، ولهذا يحتاج إلى تفسير.

ومن الواضح إذن أن العلامة أعم من الرمز، فكل رمز علامة، وليس كل علامة رمزًا.

العلاقة بين الرمز اللغوي وما يشير إليه:

الأصوات التي تستخدمها اللغة هي رموز تشير إلى أشياء خارج البيئة

اللغوية، والعلاقة بين الأصوات والأشياء علاقة اعتباطية، وهذا معناه ببساطة أنه ليست هناك علاقة مباشرة أو ضرورية بين وحدات اللغة والأشياء أو الأفكار أو التجارب التي تعبر عنها.

ويؤكد ما سبق أن عقد اتصال – من خلال الكلام وحده – بين متكلمين يستخدمون لغات مختلفة مستبعد، إذ ليس هناك علاقة حتمية بين الأصوات التي تستخدمها كل لغة، والرسالة التي تحملها هذه الأصوات، حتى وإن كانت الرسالة متطابقة في كلتا اللغتين.

ففي العربية تستخدم كلمة (تفاحة) للإشارة إلى الثمرة المعروفة، وتستخدم الإنجليزية كلمة أخرى هي apple، وتستخدم الفرنسية كلمة أخرى هي bomme، وهكذا تستخدم كل لغة كلمة مختلفة، ولو كانت هناك علاقة طبيعية أو مباشرة بين الأشياء التي تتحدث عنها اللغة وبين الكلمات التي تستخدم تمثيلها لكانت لدينا لغة واحدة فحسب.

ولكن كيف يتم الربط بين الرمز (الألفاظ) والمرموز إليه (الأشياء)؟

لقد ألقت التجارب التي قام بها العالم الروسي (بافلوف) ضوءًا جديدًا على هذه العملية فقد اعتاد (بافلوف) أن يحدث صفيرًا وقت تقديم الطعام لكلبه، ومن ثم حدث ترابط وثيق بين منظر الطعام ورائحته وطعمه، وبين الصوت الذي يصاحب تقديم الطعام بانتظام، كل هذه الانطباعات الحسية كونت جزءًا من خبرة عامة متكررة،وبعد أن اطمأن (بافلوف) إلى استقرار هذه القرائن الحسية عمد ذات يوم إلى إحداث الصفير دون إحضار الطعام، فوجد أن الكلب قد أظهر كل علامات توقع الطعام، وكان اللعاب إحدى هذه العلامات، كل الذي حدث هو أن جزءًا من الخبرة قد انفصل عن بقية الأجزاء، وكان هذا الجزء وحده كافيًا لاستدعاء بقية القرائن.

وغاية الأمر أن الربط بين الرمز والشيء يحدث عن طريق الخبرة المتكررة.

اللغة عرفية

عندما نتأمل في لفظ من ألفاظ اللغة يظهر لنا أن اعتباره رمزًا اعتباطيًا أمر واضح جدًّا، لقد كان من الممكن أن نستخدم كلمة أخرى للتعبير عن نفس الشيء، لقد أطلق العرب يومًا لفظ (قلم) على الأداة التي يكتبون بها، وقد كان من الممكن أن يستخدموا لفظًا آخر، فليس بين هذا اللفظ وهذه الأداة علاقة ضرورية، كل ما هناك هو هذا الاختيار العشوائي للفظ.

ونحن جميعًا نستخدم ألفاظ لغتنا وتراكيبها وفقًا لاتفاق بيننا على ذلك، ومن ثم فإننا نستخدم اللغة بطريقة عرفية، فلو قلت مثلا: السيارة منطلق أو قلت خرجت محمد، أو قلت: الكتاب المكتبة في... الخ أكون قد خالف عرف المتكلمين بالعربية.

إن هذا الاتفاق ليس عملا صريحًا أو واضحًا (فلم يجتمع الناس مثلا في مؤتمر ليتفقوا على استخدام كلمة أو جملة ما) إنه بحسب اتفاق في السلوك والعمل. إن المتكلمين في مجتمع معين يستخدمون نفس الكلمات للإشارة إلى نفس الأشياء، ويستخدمون أنواعًا من التراكيب للتعامل بها في مواقف مشابهة، إنه العرف الضمني الذي يكون ويقر الأنظمة اللغوية، وكل منا يكتسب لغته من مجتمعه المعين، ويتلقى في أحضانه كل القواعد التي تنظم لغته.

غير أن كلمات اللغة كلها ليست عرفية، فهناك عدد من الكلمات تكون أصواتها دليلا من دلائل معناها، ويعرف هذا في اصطلاح اللغويين onomotopia أي استخدام كلمات يوحي لفظها بمعناها، ومن هذه الكلمات العربية حفيف وخرير وأزيز، ومثل قهقة وتأوه، ومثل هذه الكلمات يستطيع الأجنبي الذي لا يعرف مدلولها أن يخمن هذا المدلول إلى حد ما.

ومن أمثلة ذلك أن كلمة (بابا) و(ماما) تكاد تكون واحدة في عدد كبير من لغات العالم.

والرأي الذي نميل إليه هو أن كلمات اللغة في الأعم الأغلب اعتباطية، أما الكلمات التي يطلق عليها onomotopia فهي قليلة في كل اللغات، وقد تختلف من لغة إلى لغة، ولا يصح أن نتخذ منها أساسًا لظاهرة مطردة.

وخلاصة القول فيما سبق:

١- أن اللغة تتألف من أصوات، وأن هذه الأصوات رموز تستخدم للإشارة إلى أشياء خارج اللغة.

٢- أن اللغة اعتباطية فليست هناك علاقة طبيعية بين الألفاظ والأشياء التي تمثلها.

٣- أن اللغة عرفية: فالأفراد الذين ينتمون إلى مجتمع لغوي معين يستخدمون اللغة المعينة بطريقة واحدة متفق عليها فيما بينهم.

ملخص الوحدة الأولى

أولا- اللغة ظاهرة إنسانية:

- الإنسان حيوان ناطق أي مصوت ومفكر في آن، بعبارة أخرى يضع أفكاره في ألفاظ.
- ناطقية الإنسان تعني أمرين: ممارسة التفكير والحياة في جماعة.
- البحوث الحديثة تؤكد اختصاص الإنسان باللغة.
- الاختلاف بين لغة الإنسان وأدوات الاتصال عند الحيوان اختلاف نوعي.
- عناصر الاختلاف بين لغة الإنسان وأدوات الاتصال عند الحيوان.

١- أشكال الاتصال لدى الحيوان محدودة العدد، محصورة المجال.

٢- الأصوات والإشارات عند الحيوان رد فعل مباشر.

٣- لا تتضمن صيحات الحيوان وحدات مستقلة.

٤- لدى الإنسان مقدرة هائلة على إنتاج جمل لا حصر لها.

٥- لغة الإنسان لها قواعد معقدة متعارف عليها بين أصحابها.

٦- لغة الإنسان مكتسبة من المجتمع، وأدوات الاتصال عند الحيوان غريزية.

٧- الإنسان قادر على استخدام الألفاظ على سبيل التعميم والتخصيص.

٨- يستخدم الإنسان لغته للإشارة إلى أشياء أو أحداث بعيدة عنه زمانًا ومكانًا.

ثانيًا- اللغة مكتسبة:

- النظريات التقليدية في تفسير الاكتساب.
- الفرق بين الاكتساب والتعلم.
- النظرية الحديثة في تفسير الاكتساب.

- الطفل عامل إيجابي في اكتساب اللغة.
- الطفل يكتسب لغة المجتمع الذي يقدر له أن يعيش فيه.
- اكتساب اللغة تطور طبيعي تدريجي يمر به كل طفل لا علاقة له بجنس معين أو لغة معينة.

ثالثا– اللغة أصوات:

- اللغة منطوقة غالبا.
- اللغة المكتوبة ثانوية.
- الجانب الصوتي في اللغة.
- إصدار الصوت.
- انتقال الصوت.
- استقبال الصوت.

رابعا– اللغة نظام:

- اللغة مجموعة من أنظمة تصف مجموعة لا حد لها من الجمل.
- الجملة وحدة كبرى تنقسم – على سبيل التبسيط – إلى كلمات، والكلمة تنقسم إلى حروف، والحروف هي الوحدات الصغرى للغة.
- وحدات النظام اللغوي: لكل نظام وحداته، وله قواعده في المسموح به وغير المسموح.

(ج) النظام الصوتي:

- تعريف الوحدة الصوتية Phoneme.
- تتعدد وحداته في كل لغة.
- وحداته في العربية ٣٤ وحدة.

(د) النظام الصرفي:

- تعريف الوحدة الصرفية Morpheme.
- بناء الوحدة الصرفية بالاشتقاق.
- بناء الوحدة الصرفية باللصق.

(هـ) النظام النحوي:

- تعريف العبارة والجملة.
- العلاقات الرأسية والأفقية.
- فروع العلاقات الأفقية: الإعراب، التضامّ، الرتبة، المطابقة.

خامسًا- اللغة رمزية:

- مفهوم الرمز والفرق بينه وبين العلامة.
- اعتباطية الرمز.
- خصائص الرمز.
- العلاقة بين الرمز اللغوي وما يشير إليه وكيف تكتسب.

سادسًا- اللغة عرفية:

- الجماعة اللغوية.
- طبيعة الاتفاق على استخدام اللغة.
- بعض ألفاظ اللغة ليست عرفية.

[?] أسئلة على الوحدة الأولى

أمثلة محلولة:

س١: ماذا يعني أرسطو بقوله: إن الإنسان حيوان ناطق.

(أ) حيوان ينتج أصواتًا فقط.

(ب) حيوان يفكر فقط.

(ج) حيوان ينتج أصواتًا ويفكر معًا.

الحل: (ج)

س٢: اللغة خاصة إنسانية بسبب:

(أ) درجة ذكاء الإنسان العالية.

(ب) لدى الإنسان مركز بالمخ مسئول عن إنتاج الكلام واستقباله وتفسيره.

الحل: (ب)

س٣: (اللغة مركب من وحدات)..

هل يمكن تقسيم زقزقة العصفور إلى وحدات؟

الحل: (لا).

أجب عما يلي:

س٤: (حين يجوع الإنسان يصوت قائلا: أنا جائع، هات الطعام).

(أ) أصوات الإنسان السابقة رد فعل للإحساس بالجوع ( )

(ب) أصوات الإنسان السابقة رد فعل غير مباشر. (√)

ضع علامة (√) أو (X) بين القوسين.

س٥: أجب بلا أو نعم:

(أ) هل يمكن للحيوان أن يعبر عن حدث وقع في الماضي؟ (لا)

(ب) هل لدى الحيوان قدرة على التعبير عن حدث مستقبل؟ (لا)

س٦: أجب بلا أو نعم:

هل تتغير أصوات الحيوان من وقت إلى وقت ومن مكان إلى مكان؟ (لا)

س٧: ضع العلامة (√) أو (X) بين القوسين:

(أ) الإنسان قادر على إنتاج جمل لم يسمعها من قبل (√)

(ب) الإنسان قادر فحسب على إنتاج الجمل التي سمعها من قبل (X)

س٨: (يكتسب الطفل اللغة كما يتعلم قواعد الجمع والطرح والضرب والقسمة) (X)

أجب بلا أو نعم.

س٩: يخضع الطفل لتدريب منظم متواصل على النطق. (لا)

أجب بلا أو نعم.

س١٠: ما يسمى أعضاء النطق عند الإنسان للنطق فحسب. (لا)

أجب بلا أو نعم.

(أ) اللغة العربية اشتقاقية فقط. (X)

(ب) اللغة العربية لصقية. (X)

(ج) اللغة العربية واشتقاقية تعرف اللصق. (√)

أمثلة يجيب عنها الطالب:

س١: ما الاعتبارات التي تصنف وفقًا لها الأصوات.

(أ) ....

(ب) ....

(ج) ....

س٢: ضع العلامة (√) أو (X) بين القوسين:

(أ) اللغة نظام من وحدات مستقلة بعضها عن بعض. (   )

(ب) اللغة نظام من وحدات متعالقة باطراد ( )

(ج) اللغة نظام من وحدات غير مطردة. ( )

س٣: ضع العلامة (√) أو (X).

(أ) عدد الصوائت أو الحركات في اللغة العربية ألف المد وياء المد، وواو المد. ( )

(ب) عدد الصوائت أو الحركات في اللغة العربية ستة. ( )

س٤: لا يسمح النظام الصوتي في العربية بأن تشبه وحدة صوتية وحدة أخرى في كل الصفات.

أجب بلا أو نعم. ( )

س٥: (العلاقة بين الوحدات الآتية: السيارة، القطار، الكتابة في (الجملة) السيارة مسرعة، القطار قادم، الكتاب مفيد.

(أ) علاقة أفقية. ( )

(ب) علاقة رأسية. ( )

(العلاقة بين الوحدات الآتية: القطار، قادم، من، الشمال) في الجملة (القطار قادم من الشمال).

(أ) علاقة أفقية. ( )

(ب) علاقة رأسية. ( )

ضع العلامة (√) أو (X):

س٦: (الرتبة بين الفعل والفاعل والمفعول به في اللغة العربية):

(أ) محفوظة. ( )

(ب) حرة. ( )

س٧: (الرتبة بين المضاف والمضاف إليه في اللغة العربية).

(أ) محفوظة. (   )

(ب) حرة. (   )

ضع العلامة (√) أو (X):

س٨: أجب عما يأتي بلا أو نعم.

(أ) الفتحة والضمة والكسرة أحوال إعرابية في النظام الإعرابي في اللغة العربية. (   )

(ب) الرفع والنصب والجر علامات في النظام الإعرابي للغة العربية.(   )

(ج) الفاعل والمفعول والحال مواقع إعرابية. (   )

س٩: ضع علامة (√) أو (X) بين القوسين:

(أ) الرمز لا يتطلب وجود مرسل أو مستقبل. (   )

(ب) لا بد من وجود نية للاتصال عند المتكلم ووعي بعملية الاتصال(   )

(ج) "يحمر الوجه خجلا" أيعد هذا اتصالا رمزيًا؟ (   )

(د) يصلح متكلم واحد ليكون ممثلا لجماعة لغوية. (   )

س١٠: ضع العلامة (√) أو (X) بين القوسين مع بيان السبب:

(أ) لا يمكن للحيوان أن يتعلم لغة إنسانية. (   )

السبب..

(ب) – هل أخفقت القردة (سارة) في تعلم لغة إشارية؟ (   )

السبب..

(جـ) هل يمكن لطفل معزول عن المجتمع بعد سن العاشرة أن يتعلم لغة إنسانية. (   )

السبب..

س١١: أجب بلا أو نعم على ما يأتي:

(أ) يؤلف الأطفال جملا لم يسبق لهم أن استعملوها. ( )

(ب) الطفل الصيني يستغرق وقتًا أطول في اكتساب لغته عن غيره من الأطفال. ( )

(جـ) الأم تعلم أطفالها قواعد لغته. ( )

(د) – الطفل يستخرج قواعد لغته بنفسه مما يسمعه من المحيطين به. ( )

(هـ) قد يعجز الطفل في مرحلة من مراحل الاكتساب عن نطق كلمة ما، ثم يتمكن من نطقها فيما بعد. ( )

س١٢: أجب عما يأتي بنعم أو بلا.

(أ) الصفة تطابق الموصوف في العربية. ( )

(ب) قد يكون المبتدأ معرفة والخبر نكرة. ( )

س١٣: بين المورفيمات المقيدة والمورفيمات الحرة فيما يأتي:

(الطلبة يذاكرون دروس علم اللغة)

أجب عما يأتي بنعم أو لا..

س١٤: تاء التأنيث في العربية مورفيم.

(أ) حر. ( )

(ب) مقيد. ( )

ضع العلامة (√) أو (X) بين القوسين..

س١٥: صيحات الحيوان يعدها العلماء..

ردود فعل مباشرة. ( )

ردود فعل غير مباشرة. ( )

الوحدة الثانية

اللغة في المجتمع

الأهداف:

تهدف هذه الوحدة إلى التعرف على وظيفة اللغة من حيث هي تعبير عن أفكار ومشاعر، وتوصيل لها إلى المتلقين، وتأثير بها عليهم، مع الاهتمام بوظيفتها الاجتماعية للتفاهم بين أفراد المجتمع وقضاء مصالحهم، ولأهمية علاقتها بالمجتمع، فإن هذه الوحدة تهدف إلى بيان علاقتها بالجنس والقومية.

العناصر:

- وظائف اللغة.
  - اللغة معبر، وموصل، ومؤثر.
- اللغة سلوك جمعي له وظائفه.
- اللغة والعِرق.
  - التطورات الحديثة في علوم الوراثة.
  - تصنيف اللغات وفق العرق.
  - الأدلة على نفي العلاقة بين اللغة والعرق.
- اللغة والقومية.
  - مقومات القومية: اللغة، التاريخ المشترك، العرق.
  - الأقليات العرقية واللغوية ومشكلاتها في العالم العربي.
- اللغة والسياسة.
  - اللغة السياسية وخصائصها ووظائفها.
- لغة الحديث ولغة السياسة.
  - خصائص لغة الحديث ولغة السياسة.

وظائف اللغة

يلخص أولمان وظائف اللغة بقوله: الكلام معبر وموصل ومؤثر، فالكلام معبر؛ لأنه يعبر عن أفكارنا ومعارفنا، وموصل؛ لأنه ينقل أفكارنا ومعارفنا إلى الغير، ومؤثر؛ لأنه أداة نستخدمها للتأثير في الغير.

والقول الذي يقصر وظيفة اللغة على أنها أداة للتعبير عن الأفكار والعواطف ونقلها إلى الغير يحتاج إلى نظر، فهذه الوظائف هي بالفعل من وظائف اللغة، ولكنها ليست وحدها، فهناك وظائف أخرى جديرة بالاعتبار ومن الخطأ إغفالها عند الحديث عن وظيفة اللغة.

ولنبدأ أولا بمناقشة آراء القائلين بأن اللغة أداة للتعبير عن الأفكار والعواطف يقول (هرمان بول): إن الوظيفة الأصلية للغة أن تكون أولا وقبل كل شيء وسيلة لنقل العواطف والمعلومات أو سواهما من الأمور.

ويقول (سابير): اللغة وسيلة إنسانية صرفة – غير غريزية لنقل الأفكار والعواطف والرغبات بطريق نظام من الرموز الصادرة اختيارًا عن الإنسان.

واللغويون الذين يقولون بذلك يشايعون علماء المنطق والفلاسفة الذين يحصرون همهم في اللغة باعتبارها وسيلة للتعبير عن الأفكار، وعلاقة اللغة بالفكر علاقة قوية، فوجود اللغة ضروري لإمكان التفكير، كما أن للغة تأثيرًا كبيرًا على الطريقة التي يفكر بها أفراد المجتمع الذي يستخدم اللغة، ومن ثم فإن اللغويين يقررون بأن كلا منهما يعتمد على الآخر.

بيد أن المقرر كذلك أن اللغة ليست مجرد أداة للتعبير والتوصيل، فهي مع ذلك ذات وظيفة بالغة الأهمية، إنها ظاهرة اجتماعية وأداة لقضاء الحاجات، إنها استجابة لنزعة الإنسان الفطرية في أن يثبت وجوده الاجتماعي، وأوضح الأمثلة على ذلك لغة التحيات، وألفاظ التجمل والتلطف التي تشيع في المناسبات الاجتماعية.

فعندما تلقي تحية الصباح على مجموعة من زملائك يجلسون في انتظار

محاضراتهم لا تعني من تحيتك معناها الحرفي، بل تبغي من ورائها أن تنضم إليهم وتشاركهم مجلسهم.

وحين تجلس في قطار في سفر طويل، وتقول لجارك: الجو حار اليوم: أليس كذلك؟ لا تبغي أن تخبره بحرارة الجو أو تطلب رأيه فيه، إنك لا تبغي إلا إنشاء علاقة اجتماعية، وتلبية حاجة ملحة لهذه العلاقة.

ولو تعطلت سيارتك في الطريق الزراعي، واحتجت إلى من يعينك في إصلاحها ووجدت جماعة من الفلاحين مشغولين في حقولهم، فماذا تفعل لدعوتهم إلى مساعدتك؟ هل تتوجه إليهم بطلب المساعدة مباشرة أم تتجمل في الطلب وتسبق بالتحية المناسبة، إنها في هذا الموقف أداة لقضاء مصلحة أو تحقيق غرض.

إن اللغة في هذه المواقف وأشباهها ليست إلا وسيلة لخلق العلاقات الاجتماعية وتوثيقها أو تلبية رغبة البشر في الاجتماع الإنساني.

والعلاقة بين اللغة والموقف الذي يقال فيه يؤكد الوظيفة الاجتماعية للغة، فلو دخلت على مجموعة من الأصدقاء يجلسون في مقصف الكلية، وقلت لهم "العواف" مثلا لسخروا منك وهزئوا بك؛ لأن هذه التحية ليست مناسبة لهذا الموقف وليست ملائمة لهؤلاء الأشخاص.

ولو كنت من أبناء الريف مثلا وأردت أن تودعهم عند سفرك وقلت لهم: "باي باي" لأنكروا ما تقول إنكارًا شديدًا.

وربما كانت كلمة "ابن حرام" كلمة قاسية حين يقصد بها معناها الحرفي، ولكنها قد تقال في بعض المواقف للإعجاب بعمل يقوم به شخص يتمتع بذكاء كبير أو بقوة عظيمة.

وقد تثير كلمة (ابن أمه) ثائرة الكثيرين منا، ويرى فيها عيبًا لا ينبغي أن يتصف به، على حين أن معناها الحرفي لا غبار عليه، وهي تعبير عن علاقة طبيعية.

وتستخدم اللغة كذلك في التأثير على الغير، إن الخطباء والصحفيين ورجال

الإعلام، وغيرهم ممن ترتبط أعمالهم أو تتصل حياتهم بالاتصال بالناس يستخدمون اللغة للتأثير في السامعين أو القراء، ودعوتهم إلى الاقتناع برأي سياسي، أو دعوى اجتماعية، وقد تكون أداة لدفعهم لشراء سلعة أو الإسهام في مشروع أو الامتناع عن عمل... الخ.

ونشير هنا إلى أهمية هذه الوظيفة في حياتنا المعاصرة، ونرى كيف يستخدمها الإعلام في السيطرة على الناس وتوجيههم لتحقيق مصالح محددة.

وتستعمل اللغة في التعبير عن المشاعر من حزن وسعادة، وحب وكراهية... الخ، إن اللغة في هذه الحالات وسيلة للتنفيس عما بداخل النفوس، وقد يقتصر دورها على هذا، وقد تكون دعوة إلى إشراك الغير في نفس الحالة، ويتمثل هذا في بعض الأعمال الأدبية من شعر أو نثر، واللغة هي الوعاء الذي يحفظ تجارب الأمة وثقافتها وتراثها، وهي الوسيلة التي يتم عن طريقها هذا التراث من جيل إلى جيل، وتمثل اللغة المكتوبة دورًا كبيرًا في حفظ هذا التراث.

إننا لا نعيش الحاضر بوجدان معاصر فحسب، بل نعيش فيه بجزء من ماضي المجتمع الذي ننتمي إليه، بجزءمن تاريخه وثقافته وتجاربه، ذلك الجزء الذي يحيا في نفوسنا بفضل هذه الأداة الخطيرة: الكتابة، إن الشعوب التي لم تكتشف هذه الأداة ولم تستخدمها قد فقدت جزءًا كبيرًا من تاريخاه وتراثها.

إن اللغة أداة متعددة الأغراض وإن كانت وظيفتها الأساسية هي تحقيق التعاون بين البشر.

اللغة والمجتمع

يكتسب الطفل لغته من مجتمعه الذي يعيش فيه، ومنذ ولادته حتى وفاته يصير عضوًا في هذا المجتمع، وقد يكون عضوًا في مجتمع آخر، وبعد أسابيع قليلة من ولادته يبدأ في الصباح لتقضي له حاجة من حاجاته أو تشبع رغبة من رغباته، وبعد شهور يكتشف عالم الأشياء والأسماء ويدرك أن لكل شيء اسمًا، وأن قضاء حاجاته العملية أو الاشتهائية يتصل اتصالا وثيقًا باللغة، ويستمر هذا

الاتصال ممتدًا في حياته طفلا في البيت أو تلميذًا في المدرسة، أو طالبًا في الجامعة أو عاملا في مصنع، أو في غير ذلك من الهيئات، وعضويته الفعالة في هذه المجتمعات ترتبط بقدرته على الاتصال، وسيطرته على اللغة التي هي أعقد أدوات الاتصال وأغناها، ولهذا كان اكتساب الفرد للغة عملية ممتدة امتداد حياته، أو قل إنها عملية نمو متصل، وهذه العملية تتوقف على عوامل كثيرة بعضها يرجع إلى طبيعة الفرد نفسها، وبعضها يرجع إلى طبيعة الجماعات أو المؤسسات التي يكون عضوًا فيها.

والمجتمع حريص أشد الحرص على أن يجعل الفرد عضوًا فيه، وأن يصبغ هذا الفرد في فكره وفي سلوكه بصبغته، واللغة هي الأداة التي يستخدمها المجتمع لتحقيق هذا الهدف، ومن الواضح أن المجتمع بكل أشكاله يقوم بهذا الدور، فالبيت والمدرسة والنادي والمصنع والمتجر، ما هي إلا بيئات يتلقى فيها الفرد أنماط السلوك وقواعد اللغة، وبهذه الطريقة يكتسب الفرد شخصيته الاجتماعية فيكون عضوًا فعالا، كما يكتسب لغته فيتحدث بها وفقًا لعرف الجماعة التي ينتمي إليها.

دوافع اكتساب اللغة:

ويدفع الفرد إلى اكتساب لغته وإلى تنميتها نوعان من الدوافع: الدوافع التعاملية، والدوافع التنفيسية.

يقول لويس: إن ملاحظة الطفل ومراعاة الاستعمال اليومي للغة في المجتمع لتوضح أن الدافعين التعاملي والتنفيسي توأمان يتم بهما تطور اللغة عند الطفل ويظلان الوظيفتين الجوهريتين للغة في المجتمع.

وتخدم الوظيفة التعاملية في أكثر صورها تطورًا ما يمكن أن يسمى النشاط العملي للمجتمع في عمومه ولأعضائه فرادى، ومدى هذا النشاط واسع جدًّا، فهو يشمل العمل اليومي المباشر من أجل تحقيق الحاجات الاقتصادية كما يشمل التنظيم السياسي للجماعة للمحافظة على شخصيتها في عالم تسود فيه الحروب، ويشمل أيضًا التطبيق العملي للسيطرة على العالم المادي، ويستطيع الفرد

بواسطة اللغة أن يستعين بإمكانيات المجتمع من أجل تحقيق هذه الأهداف، كما تستطيع الجماعة بها أن تنظم سلوك الأعضاء من أفرادها.

أما الوظيفة التنفيسية فتمتد عند نموها الكامل من المحادثة اليومية إلى أعلى مستوى من التفاهم والتعبير الجميلين.. وتبدو الأشكال العليا للوظيفة التنفيسية في التبعير الجمالي فكل الفن الأدبي تنفيس طالما حركته الدوافع الجمالية كالشعر والقصة والمقالات والدراما، وفي كل المراحل الراقية للوظيفة التنفيسية تؤثر اللغة في خلق شركة في الفكر أو في الإحساس أو في كليهما أكثر مما تؤثر في تنظيم الجماعة من أجل العمل فيما يخص البيئة الطبيعية أو الاجتماعية.

اللغة والسلوك الجماعي:

حين يتركز التفكير حول الذات يكون تفكيرًا فرديًا، هذا التفكير هو ما يطلق عليه الكلام الداخلي، ولكن عندما يفكر الفرد مع غيره يكون التفكير جمعيًا، هذا التفكير هو ما يطلق عليه الكلام الخارجي أو اللغة، ويأتي هذا التفكير مصطبعًا بصبغة الجماعة التي تشترك فيه، فاللغة إذن هي وسيلة التفكير الجماعي أو السلوك الجماعي على اعتبار أن التفكير أو النشاط ما هو إلا سلوك.

والسلوك الجماعي الذي يحدده تفكير الجماعة عن طريق اللغة يحقق وظائف أربعة هي: تذكر التجارب الماضية، والشعور بالبيئة الحاضرة المباشرة، وتوقع الأحداث المستقبلة والتخطيط لها، والتوجه العملي المباشر.

أما التذكر فيتمثل في استحضار الأحداث والتجارب الماضية للمجتمع وما يتصل بها من تقاليد وأعراف، ويظهر هذا في صورة أساطير أو خرافات وهو ما يشيع في المجتمعات البدائية، أما المجتمعات الحديثة فيلعب التذكر دورا أكبر ويتمثل في صور أكثر ثباتا، وقد يسرت الكتابة لهذه المجتمعات أن تحتفظ بتاريخها وتراثها الذي يتمثل في تقاليدها وأعرافها وفنونها مسجلا لا تنال منه الأيام أو السنون، وقد ظهرت وسائل أكثر دقة تقوم بهذا العمل مثل أجهزة تسجيل الصوت والصورة.

والشعور بالبيئة يرتبط بالأحداث والتجارب الماضية كما يرتبط أيضا بالأحداث والتجارب التي يقابلها المجتمع في حياته المعاصرة.

وتوقع الأحداث والتخطيط لها ربما يكون لهما دور أقل أهمية في المجتمعات البدائية ولكن لهما دورًا بالغ الأهمية في المجتمعات الحديثة، ويكفي أن نشير إلى هذا الدور في تنظيم الحرب أو النشاط السياسي أو الاقتصادي، ولتتخيل معي اجتماعا عسكريا للإعداد للحرب، أو مؤتمرا سياسيا لمناقشة مسألة دستورية، أو اجتماعا في مصنع لمناقشة مشكلة تتصل بالإنتاج، إن هذا كله لا يتم إلا في إطار اللغة التي تحقق الاتصال المنشود.

أما الوظيفة الرابعة وهي التوجيه العملي فتتعلق بالنشاط أو السلوك الذي يشترك فيه أعضاء الجماعة ليحصلوا على نتيجة عملية ذات أهمية حيوية بالنسبة لهم.

ولتتخيل معي ماذا يقول ضابط لجنوده عند الإعداد لاحتلال موقع أو ماذا يقول رئيس العمال عند إنجاز مهمة معينة...إلخ.

إن اللغة في المجتمعات الحديثة وثيقة الصلة بكل أشكال السلوك الجماعي، ويتمثل هذا على السواء عند استحضار تاريخ هذا المجتمع أو تجاربه الماضية أو عند الاتصال المباشر بالأحداث أو التجارب اليومية أو عند التخطيط لأحداث مستقبله أو عند مباشرة العمل وتوجيه القائمين به.

اللغة والعرق

التوزيع العرقي للشعوب:

العرق أو الجنس race جماعة من البشر، لهم صفات جسدية مشتركة تنحدر إليهم من أصل قرابي واحد، ويمكن الاعتماد على هذه الصفات في التمييز بينهم وبين جماعات عرقية أخرى.

ويوزع علماء الأنثروبولوجيا البشر إلى مجموعات عرقية وفقًا لهذه الصفات

الجسمية، وأغلب هذه الصفات وراثي، ولكن بعضها قد يكون ناتجًا من آثار البيئة التي تعيش فيها الجماعة، وثمة تصنيفات عديدة للأعراق البشرية أو السلالات، لعل أشهرها تصنيف (فردريك بلومنباخ) ١٧٥٢م - ١٨٤٠م القائم على أساس لون البشرة، وهي الأبيض القوقازي، فالأصفر المغولي والأسود الإثيوبي، والأحمر الأمريكي، والأسمر والأصفر الملاوي.

ويشير المصطلح أيضًا - من الناحية البيولوجية إلى اشتراك الجماعات العرقية في بعض (الجينات) أو (الموروثات) التي تؤدي إلى توزيع متميز للخصائص الفيزيقية التي تتحدد عن طريق الوراثة.

وقد تبين أن النتائج والتصنيفات التي افترضها الأنثروبولوجيون مضطربة ومتعارضة، وأن توزيع الأعراق في العالم يتباين تباينًا كبيرًا وفقًا للمعيار المعتمد: لون البشرة، أو شكل الرأس... الخ، ومن ثم كان التصنيف تحكميًا إلى حد بعيد، ومن ثم توجد بعض التنوعات والاختلافات داخل العرق الواحد.

التطورات الحديثة في علوم الوراثة:

تقدمت علوم الوراثة في العقود الأخيرة من القرن العشرين تقدمًا عظيمًا، وظهرت حقائق بالغة الأهمية في موضوع العرق وانتقال الصفات بين الأشخاص والأعراق، والتي تتم عن طريق (الكروموزومات) لا عن طريق الدم كما كان يُعتقد قديمًا.

تتكون أجسامنا من بلايين الخلايا، يختلف بعضها عن بعض في التركيب والوظيفة، وتتكون الخلية - بصورة عامة - من قسمين رئيسيين هما: النواة والسيتوبلازم، وتعد النواة مركز إدارة أعمال الخلية، فهي تسيطر على كل الفعاليات الحيوية، وتحتوي على النسخة الأصلية للمعلومات الحيوية المتوارثة من الآباء والأجداد والتي تحدد طبيعة الخلية ووظيفتها، وهي تحتوي على خيوط دقيقة تعرف بالكروموزومات، وتتركب أساسًا من المادة الوراثية المسماة بالحامض النووي (الديؤكسي رايبوزي) (DNA) ويضم هذا المركب الكيميائي بين طياته كل المعلومات اللازمة لتكوين خلايا الكائن الحي وتحديد علمها.

اللغة والعرق:

وجد تصنيف (بلومنباخ) طريقه إلى بعض علماء اللغة أواخر القرن التاسع عشر، فقد ربط (ماكس مولر) بين اللغة والعرق، وقسم لغات البشر وفقًا لصفات جسدية، فهناك لغات الشعوب المجعدة الشعر، وهناك لغات الشعوب الملساء الشعر... وغير ذلك من فروع، وقد أطلق (مولر) الصفة Aryan (وهي من الكلمة السنسكريتية arya بمعنى نبيل أو عريق) على جماعات محددة من البشر وعلى لغاتهم، وهي مجموعة من الشعوب عاشت منذ عهد بعيد في وسط آسيا، وزعم (مولر) أن هذه الشعوب هي مهد البشرية، وينسب إليها صفات جسمية مثالية كالشعر الأملس والرأس الطويل والقوام الطويل... الخ، وقد تبنى مفهوم (مولر) عن مزايا العرق الآري عدد من الكُتاب الإنجليز مثل: توماس كارليل وريتشارد جرين.. وغيرهما، وقد أسهم الدبلوماسي والمثقف الفرنسي (آرثر جوبينو) في القرن التاسع عشر بمؤلفه (مقال عن التفاوت بين سلالات البشر) في نشأة العنصرية الألمانية، لقد كان يعتقد أن الأوربيين بعامة وسكان وسط أوروبا بخاصة هم الجنس الأرقى وراثيًا والأكثر ذكاء.

وقد اتخذ الحزب النازي هذه الأفكار العنصرية ذريعة لاستعمار الشعوب غير الآرية؛ لأنها أقل رقيًا وتحضرًا من الشعوب الآرية.

والعنصرية Racism مذهب يقوم على أساس وجود علاقة بين الأعراق والثقافات، وعلى تفوق أعراق على أعراق أخرى نتيجة لصفات بيولوجية وراثية وعوامل بيئية.

الشعوب البدائية واللغات البدائية:

انتشر بين الكتاب والأنثروبولوجيين واللغويين المذهب العنصري، في نهاية القرن التاسع عشر، والنصف الأول من القرن العشرين، ووصفوا بعض الأمم بأنها بدائية ووصفوا لغاتها كذلك بأنها بدائية يقول أحدهم: ففي الأمم البدائية الضعيفة التفكير المنحطة المدارك تغزر الكلمات الدالة على المحسات والأمور

الجزئيـة وتتعـدم أو تقـل الألفـاظ الدالـة علـى المعـاني الكليـة، وتخلـو دلالات المفردات من الدقة والضبط فيكثر فيها الخلط واللبس والإبهام، وتخلو القواعد أو تكاد تخلو من ظواهر التصريف والاشتقاق وربط عناصر الجملة والعبارة بعضها ببعض، ويضيق متن اللغة فلا يتسع لأكثر من ضروريات الحياة.

ويستـشهد علـى مـا ذكـره مـن أن علمـاء (الإثنوجرافيـا) يقـررون أن عقليـات السكان الأصليين بأمريكا واستراليا وأفريقيا لا تكاد تدرك المعاني الكلية في كثير من مظاهرها، وأن هذا القصور العقلي كان لـه صدى كبير في لغاتم، فلا نكاد نجد في كثير منها لفظًا يدل على معنى كلي، ففي لغة الهنود الحمر مثلا يوجد لفظ للدلالة على شجرة البلوط الحمراء وآخر للدلالة على شجرة البلوط السوداء. وهكذا ولكن لا يوجد أي لفظ للدلالة على شجرة البلوط، ومن باب أولى لا يوجد أي لفظ للدلالة على الشجرة على العموم.

ثـم يقول عن الشعوب الهنديـة الأوروبيـة: وعلـى العكس مـن ذلك الشعوب الهنديـة – الأوروبيـة حيـث ينـشط التفكيـر ويعمـق الإدراك ويـدق الحـسن وتتجـه العقول إلـى التأمل الفلسفي، وتميل إلـى تفسير ظـواهر الكـون والمجتمـع الإنـسان تفسيرًا علميًـا يربطهـا بأسـبابها وقوانينهـا، ففـي هـذه الـشعوب تكثـر فـي اللغـات الألفاظ الدالة على المعاني الكلية والتراكيب المعبرة عن الحقائق العامة، وتغرز أزمنة الأفعال وتطول الجمل، وتتعدد أجزاؤها، وتتنوع الروابط، وتختلف دلالاتها فتتسع للتعبير عن دقيق الوجدان وعميق الإدراك وحقائق الفلسفة والعلوم.

وعلماء الوراثة يقررون وجود فروق واضحة ومؤكدة بين المجموعات البشرية في صفات تعتمد، لحد ما على الجينات مثل لون الجلد وشكل العين... الخ، وقد يكون لبعض الفروق بين المجموعات في هذه الصفات ما له أهمية خاصة في إضفاء مزايا عرق على عرق.

بيـد أنهـم ينبهـون إلـى وجـوب التفريـق بـين التوريـث البيولـوجي والثقـافي، فالفروق العرقية قد تكون بيولوجية الأصل تتوارثها الأعراق عن طريق DNA،

وقد تكون سلوكية يتعلمها الفرد من الآخرين، والصفات الوراثية صفات ثابتة جدًّا على مر الزمن على عكس السلوك المحدد اجتماعيًا أو المنقول بالتعلم الذي يتغير بمرور الزمن.

ومن وجهة نظر اجتماعية قد تؤدي الاختلافات الجسدية وتحت ظروف معينة إلى نوع من الشعور أو الوعي بالعرق وإلى الاعتقاد بسمو عرق ودنو آخر، وقد تنسب الاختلافات الثقافية المتعلمة إلى اختلافات عرقية، ولهذا يفضل علماء الاجتماع المصطلح جماعة إثنية أو عرقية ethenic group على المصطلح عرق أو جنس race الذي يحمل معاني عنصرية، ومن ثم فهم لا يرون أي ارتباط ضروري بين السمات الفيزيقية التي تتحدد وراثيًا والقدرات العقلية أو الخصائص الثقافية لعرق من الأعراق.

وعلماء اللغة لا يرون أيضًا أية علاقة ضرورية بين العرق واللغة؛ لأن اللغة عنصر ثقافي يكتسبه الفرد من نشأته في مجتمع معين، فالطفل الزنجي أو العربي الذي يولد في إنجلترا وينشأ فيها ويعيش بين أبنائها في ظروف طبيعية سوف يتكلم الإنجليزية كأحد أبنائها، والعكس أيضًا صحيح، ويتكلم الإنجليزية أو الفرنسية اليوم شعوب متباينة كالزنوج الأمريكيين والهنود الحمر والأفريقيين الذين اتخذوا من هاتين اللغتين لغة رسمية.

وقد انتشرت العربية بين شعوب متنوعة فقد استخدمت في فارس والهند، كما استخدمت في أفريقيا بين الزنوج، ولهذا ينبغي أن نفصل فصلا واضحًا بين الصفات الجسدية لمجموعة من الناس وبين اللغة التي يستخدمونها وينبغي ألا ننساق وراء الدعاوى المضللة التي تقول بسمو جنس على جنس أو لغة على لغة، وما قد يظهر بين اللغات من تفاوت في الأداء ليس مرجعه إلى خصائص بدنية أو عقلية، بل مرجعه إلى عناصر ثقافية وحضارية يمكن تحصيلها.

والمقرر بين اللغويين اليوم أن اللغة والفكر صنوان، وأن فكر كل أمة ينعكس على لغتها، وأن لغتها تعبر عن فكرها، وإذا كان ثمة شعوب تمر اليوم

بمرحلة عقلية دون المرحلة التي وصل إليها الغربيون، فليست هذه بحالة ثابتة، لقد وجدوا في ظروف بيئية واجتماعية انتهت بهم إلى هذه المرحلة، وحين تغيرت الظروف بدأ اتصالهم بالحضارة الغربية يؤتي ثماره، وظهرت قدراتهم التي لا تقل عن قدرات الغربيين في كثير من المجالات.

وقد يبدو في بعض هذه اللغات شيء من القصور في معالجة قضايا الفكر العامة، وقد تكون بعيدة عما يموج به العالم من تيارات ثقافية واجتماعية، وقد يظهر فيها عناية خاصة بتفاصيل موضوع معين، وعجز عن التعبير في موضوع آخر، ولكن ذلك مما يتغير بتغير الظروف، وفي كل لغة وسائل أكثر من حاجة أصحابها لتعويض هذا القصور واستدراك هذا النقص.

وليس من الإنصاف أن نستغرب عناية شعب ما بموضوع معين تجعله يدقق في التعبير عما نراه نحن لا يحتاج إلى تدقيق، إن هذه العناية وهذا التدقيق يعكسان اهتمام الشعب بهذا الموضوع وارتباط حياته به، إنه من المعقول جدًّا أن نجد عند الإسكيمو عشرات من الألفاظ تدل على أنواع مختلفة من الثلج، فهذه حياته ومجال اهتمامه، وليس من الإنصاف أن نتهم لغته بالقصور؛ لأنها لا تتضمن أو لا تتسع لألفاظ الحضارة المعاصرة التي تعكس في الحقيقة اهتمامات العالم الغربي.

وفي لغات ما يسمى الشعوب البدائية يقول اللغوي الكبير (فندريس):

إن منهم من يتكلم لغات على درجة من التعقيد لا تقل عما في أكثر لغاتنا تعقيدًا، ومنهم أيضًا من يتكلم لغات على درجة من البساطة تحسدهم عليها أكثر لغاتنا بساطة، فهذه وتلك ليست إلا نتيجة تغيرات تغيب عنها نقطة البدء التي صدرت عنها.

إنجليزية السود:

لاحظ اللغويون والأنثروبولوجيون أن الذين يتكلمون الإنجليزية في أمريكا من الزنوج والهنود الحمر أو من اليهود والأسبان والصينيين، قد يظهر في

كلامهم بعض الخواص اللغوية التي تميز كلامهم عن كلام البيض، ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما يطلق عليه في أمريكا Black English أو BE.

وهي من أبرز أمثلة التباين اللغوي بين الجماعات العرقية في العالم الذي يتكلم الإنجليزية، وتعد مثلا واضحًا لتأثير الطبقة اللغوية السفلى على اللغات أو النوعيات المتكلم بها هذه الأيام.

وعلى أية حال فإن الفرق بين إنجليزية السود والبيض واضحة وواسعة الانتشار، ولها أهمية بالغة في المجتمع الأمريكي، وقد لوحظت هذه الفروق منذ وقت طويل وقد كتب عنها سائحون ومؤرخون منذ القرن الثامن عشر، وكان الناس آنذاك يعتقدون أنها راجعة إلى فروق عقلية أو طبيعية متأصلة بين هاتين المجموعتين العرقيتين، لقد اعتقدوا بأن إنجليزية السود منحطة وفاسدة، ومن ثم فلا بد من وجود نقص أو عيب في الذين يتكلمونها.

وعلى الرغم من أن هذه النظرة لا أساس لها في العلم أو في الواقع فقد كان لها – نظرًا لانتشارها بين الناس – تأثير سلبي في تاريخ دراسة اللغة الإنجليزية في أمريكا.

واللغويون اليوم متفقون على وجود فروق لغوية بين كلام السود وكلام البيض، وليس ثمة دليل علمي على أفضلية إحدى النوعيتين على الأخرى، والمناخ السياسي والاجتماعي السائد الآن يشجع على دراسة هذا الموضوع ومناقشته.

ومنذ عدة سنوات شغل علماء اللغة والأنثروبولوجيا بهذا الموضوع، وكشفت بحوثهم عن حقائق اجتماعية ولغوية لها أهميتها في دراسة المجتمع الأمريكي المعاصر.

ويستخدم مصطلح (BVE) وهو اختصار للعبارة Black Vernacular English: – بشكل عام ليشير إلى إنجليزية غير معيارية تنطقها الطبقة الدنيا من السود في الأحياء الخاصة بهم في مدن الشمال الأمريكي، وفي مناطق أخرى.

ومصطلح (إنجليزية السود) أو (BVE) من حيث هو مصطلح لغوي غير

دقيق حيث يفترض أن كل السود الأمريكيين يتكلمون هذه النوعية من الإنجليزية وليس هذا هو الحال في الواقع، فثمة بيض أمريكيون يتكلمونها، وثمة سود أمريكيون يتكلمون الإنجليزية الأمريكية المعيارية.

كيف ظهرت إنجليزية السود:

على الرغم من أن (BVE) أصبح موضوعًا أكاديميًا يشغل الدوائر اللغوية من حيث إنه نوعية لغوية مستخدمة بالفعل ولها أهميتها في المجتمع، فما يزال يشوبه بعض الشوائب.

فعلى حين لا نجد خلافًا بين اللغويين في وجود فرق بين إنجليزية السود والنوعيات اللغوية الأخرى نجد خلافًا في طبيعة هذه الفروق وفي تحديد منشئها.

تدعي إحدى النظريات أن الخصائص اللغوية المميزة لإنجليزية السود موجودة أيضًا في كلام البيض، وبخاصة في الولايات الشمالية من الولايات المتحدة الأمريكية، ومعظم هذه الخصائص – وفقًا لهذه النظرية راجع تاريخيًا إلى لهجات بريطانية قديمة أو لهجات البيض الأخرى.

ومن المحتمل أن العزل العنصري، ونمو الجيتو الأسود الذي كان يعني أقل درجة ممكنة من الاتصال بين السود والبيض أدى إلى تطور مستقل للإنجليزية التي تتكلمها كل مجموعة على حدة، بعبارة أخرى كانت كل نوعية تنمو وتتجدد مستقلة عن الأخرى.

من أمثلة إنجليزية السود:

ثمة صفات لغوية عديدة فارقة بين إنجليزية السود والبيض نكفتي منها بالمثال الآتي:

– لا يستخدم كثير من المتكلمين السود ضمير الغائب S – مع صيغة الفعل المضارع فيقولون: She like go، ويقولون أيضا: it come, he go .

ويفسر بعض اللغويين هذه الظاهرة بأنها منحدرة من لهجة نوعية إنجليزية كان البيض يستخدمونها، ويفسرها بضعهم بأنها منحدرة من إنجليزية هجين كانت

منتشرة بين السود.

وهكذا تؤكد البحوث اللغوية لإنجليزية السود أنها ليست خروجًا على قواعد الإنجليزية المعيارية أو انحرافًا عنها، بل هي فروق تتمثل في قواعد مطردة ليس فيها من عيب إلا أنها تخالفها – إن كانت المخالفة عيبًا – ولعل هذا ينفي نافيًا قاطعًا أنها غير منطقية أو أنها بدائية.

مصاعب في الترجمة:

يجد المترجمون كثيرًا من المصاعب حين يترجمون من لغات إفريقية أو هندية فما سبب ذلك.

لقد كان الأنثروبولوجي الشهير (مالينوفسكي) يعتقد أن مصاعب الترجمة ترجع إلى حد بعيد إلى فروق في طبيعة اللغات، وأن الحاجة إلى استحضار المقام أكثر إلحاحًا عندما يتصل الأمر باللغات البدائية، وقد كان في ذلك يقول (بالمر) على خطأ بين: ربما يكون في عالمنا اليوم بدائيون تنقصهم المعرفة والمهارة التين تتوفران عند الشعوب المتحضرة، ولكن ليس بين اللغات لغة بدائية، ربمالا يتوفر لبعض اللغات معجم يمثل مظاهر الحياة في المجتمع الصناعي الحديث، ولكن هذا النقص يعكس في الحقيقة اهتمامات هؤلاء الناس، ولا يرجع ألبتة إلى الطبيعة البدائية لهذه اللغات، وقد نجد عند هؤلاء الناس البدائيين اهتمامات لا تعني المتحضرين ومن ثم لا نجد لها كلمات في معاجمهم.

اللغة والقومية

القومية . الأمة . الدولة:

تحرير القول في هذه المصطلحات الثلاثة ضروري لبيان علاقة اللغة بالقومية، ومن المفيد – قبل التعريف بهذه المصطلحات – أن نبين أن:

١– مصطلح القومية في مفهومه المعاصر مصطلح حديث نسبيًا، فلم يتناوله علماء الاجتماع والسياسة بالدراسة إلا منذ أواخر القرن الثامن عشر.

٢- مصطلح القومية- كمصطلح سياسي واجتماعي- مصطلح غامض يعسر تعريفه جامعًا مانعًا، ومفهومه يختلط بمفهوم مصطلحين آخرين هما: الأمة والدولة.

الأمة:

جماعة سياسية مستقلة ذات إقليم محدد يشترك أعضاؤها في الولاء لمؤسسة واحدة، وينبني على ذلك إحساسهم بالوحدة وبأنهم يكونون مجتمعًا.

ولا يلزم لقيام الأمة أن تكون ذات أصل مشترك أو لغة واحدة أو دين واحد، أو عنصر واحد، وإن كانت الأمم تتكون عادة معتمدة على تاريخ مشترك وثقافة متشابهة.

والأمة قد تضم عددًا من الدول كالأمة العربية مثلا التي تضم الدول المنضمة إلى جامعة الدول العربية، وقد تضم أممًا مختلفة كالهند وكندا، وفي الأمة الواحدة قد تتعدد الديانات والثقافات واللغات كالهند والصين.

الدولة:

مجموعة دائمة ومستقلة من الأفراد يعيشون في إقليم معين تربطهم رابطة سياسية مصدرها الاشتراك في الخضوع لسلطة مركزية تكفل لكل فرد التمتع بحريته ومباشرة حقوقه، والوضع الطبيعي أن ينتمي السكان في دولة معينة إلى أمة واحدة، وفي العالم اليوم أوضاع مخالفة لذلك كالولايات المتحدة التي تضم عدة أمم، وكالأمة العربية التي تضم عدة دول.

القومية:

الولاء لأمة معينة، والانتساب إليها بالميلاد أو بالجنسية، وهي علاقة اجتماعية عاطفية ناشئة عن الاشتراك في الثقافة والتاريخ واللغة، والعرق والأرض.

والولاء لأمة قوامة الشعور بالانتماء إليها، اي أن الفرد يشعر بأنه جزء لا يتجزأ من كيانها، والوعي بأهمية هذا الانتماء فيشعر بالاعتزاز بالانتساب إليها، والشعور بأنها متميزة عن غيرها من الأمم.

موقف المفكرين المعاصرين من القومية:

ينظر عدد كبير من المفكرين والسياسيين وعلماء الاجتماع إلى القومية باعتبارها حقيقة واقعية، ويعترفون بتأثيرها القوي في نهضة الشعوب، وإن اختلفوا في تعريفها وتحديد مقوماتها.

وبعض السياسيين يرى أن القومية ليست إلا شعارًا يرفعه بعض القادة والزعماء ليجمعوا الناس حولهم ويضمنوا ولاءهم وخضوعهم لنظام الحكم الذي يتولون أمره، وهم يرون أيضًا أن الدولة لا القومية ذات مفهوم واقعي يسهل تحديده، وقيام العلاقات بين الناس وفقًا لقوانينه.

ولسنا هنا في مجال تفصيل القول بشأن هذا الخلاف، ويكفي فحسب أن نشير إلى أن الذين ينكرون القومية يتغاضون عن قوة لها تأثيرها في التاريخ الحديث، فما زالت كثير من الشعوب تشعر بروابط قوية تتجاوز الحدود السياسية التي ترعاها القوانين الدولية، وعلى الرغم مما يعانيه العالم العربي في التاريخ المعاصر من عوامل الفرقة والخلاف، وعلى الرغم من التشاؤم الذي يسيطر على كثير من الناس من جراء ذلك، فإن الشعور العام الذي يسيطر على مشارع الناس ويؤثر في اتجاهاتهم العامة وفي نظرتهم إلى المستقبل – يكاد يجتمع على أن العرب – على اختلاف دولهم – يحسون برابط قوي يجمعهم وبأمل واحد يحدوهم، وليس من الإنصاف أن نتغاضى عن هذه المشاعر النبيلة أو نقلل من أهميتها وتأثيرها في مسار تاريخ العرب الحديث سلبًا أو إيجابًا.

مقومات القومية:

اختلف علماء السياسة والاجتماع في المقومات التي تعتمد عليها القومية، فيرى بعضهم أن التاريخ المشترك هو الدعامة الأساسية في نشأة القومية، ويرى آخرون أن المصالح الاقتصادية هي عماد القومية، ونحن نميل إلى رأي القائلين بأن القومية تستند إلى دعائم متعددة، وربما كان أشهرها العرق والدين والثقافة واللغة، ومع أن هذه المقومات تتفاوت في تأثيرها من قومية إلى أخرى، فإن اللغة

المشتركة هي أهم هذه المقومات وأبعدها أثرًا في نشأة القوميات في تاريخ العالم المعاصر،بل إن نشأة الدول في العصر الحديث ترتبط إلى حد كبير باستعمال لغة قومية واحدة، وتنص أغلب دساتير العالم على اللغة القومية التي يتخذها الشعب لغته الرسمية.

اللغة القومية:

وتمثل اللغة أكبر الأدوار في حياة الشعوب فهي الأساس في شعور الجماعة بانتماء بعضهم إلى بعض، ولهذا يعدها بعض الدارسين تعبيرًا آخر عن القومية.

يقول (هردر) في العلاقة بين اللغة والقومية: إن اللغة القومية بمنزلة الوعاء الذي تتشكل به وتحفظ فيه وتنتقل أفكار الشعب، إن اللغة تخلق العقل أو على الأقل تؤثر في التفكير تأثيرًا عميقًا وتسدده وتوجهه توجيهًا خاصًا، ولغة الشعب تتمثل في كل روح الشعب نفسه، إن لغة الآباء والأجداد بمثابة مستودع لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين، إن قلب الشعب ينبض في لغته، إن روح الشعب يكمن في لغة الآباء والأجداد.

ويقول (ماكس نوردو): إن الفرد يندمج في المجتمع باللغة، وبها وحدها، يصبح عضوًا في الشعب الذي يتكلمها، وباللغة وحدها يتلقى كل التراث الفكري والشعوري، والأخلاقي، والاجتماعي، للأمة سواء ما انحدر عن قرائح الكتاب والشعراء والمفكرين السالفين والمعاصرين.

والقائلون بهذه العلاقة الوثيقة بين اللغة والقومية يرون أن القوميات التي نشأت في أوروبا في القرن التاسع عشر قد قامت على أساس اللغة، فقد وحدت ألمانيا وإيطاليا على هذا الأساس، وقد قام استقلال اليونان وبلغاريا وألبانيا والمجر على أساس أن لكل دولة من هذه الدول لغة قومية متميزة.

وثمة علماء آخرين يعترضون على هذه النتائج، ويرمون أصحابها بالتطرف، ويرون أن دور اللغة في نشوء القوميات الأوروبية دور ثانوي، ويسوقون أمثلة عديدة لتأييد وجهة نظرهم، ففي بلجيكا مثلا لغتان مختلفتان هما

الفرنسية والفلمنكية تعيشان متجاورتين دون أن يكون لهما تأثير في نشأة الدولة أو في توجيه شئونها، وفي سويسرا أربع لغات، فتنتشر الإيطالية على حدودها مع إيطاليا، والفرنسية على حدود فرنسا، والألمانية على حدود ألمانيا، واللغة الرابعة هي اللغة الرومانشية وهي لغة من أصل لاتيني، وليس لهذه اللغات تأثير يذكر على مجريات الأمور في سويسرا، ويرون أيضًا أن الولاء السياسي للدولة الرومانية – قديمًا – ثم للسلطة الروحية للكنيسة المسيحية كان أشد سيطرة على الناس من اللغات المتعددة التي كانت تستخدم آنذاك، وكذلك كان الحال في الدولة العثمانية التي كانت تسيطر على شعوب يدينون لها بالولاء، مع اختلاف قومياتهم ولغاتهم.

ولا يُسلم القائلون بتأثير اللغة في نشوء القوميات بكل هذا، ويرون أن الوضع في بلجيكا وسويسرا وضع خاص كان محصلة لعوامل كثيرة – لا مجال لتفصيل القول فيها هنا، كما يرون أن سقوط الدولة الرومانية وانهيار الإمبراطورية العثمانية كان من جراء اختلاف اللغات فيها، وقد كان انفصال الدول عن كل منهما من آثار الاختلاف.

الأقليات العرقية واللغوية:

منذ ظهور الحركات القومية في أوروبا في القرن الثامن عشر، والتي تولد عنها ظهور الدول الأوروبية المعاصرة، ومنذ ظهور الدول المستقلة حديثًا في أفريقية وآسيا في القرن العشرين ومشكلات الأقليات اللغوية والعرقية والثقافية تهدد وحدة هذه الدول وتعكر استقرارها، بل إن العالم اليوم في بداية القرن الحادي والعشرين يموج بحركات ثورية تقوم بها أقليات عرقية للانفصال، أو لتحقيق مطالب سياسية أو اقتصادية، وأغلب هذه الحركات تتخذ اللغة أساسًا لهويتها التي تميزها عن الأغلبية التي تعيش في حدودها، أو ذريعة لمطالبها، ومن أنشط الحركات الانفصالية هذه الأيام الحركات التي يقوم بها البربر أو الأمازيغ في الجزائر والمغرب.

من مظاهر الاعتزاز باللغة القومية:

الاعتزاز باللغة القومية كان من أمضى الأسلحة التي شهرتها الدول المستعمرة في وجوه مستعمريها الذين حاولوا فرض لغاتهم على هذه الشعوب، وحين نجحت هذه الشعوب في الحصول على استقلالها كان من أهم مطالبها الاعتراف بلغاتها القومية لغات رسمية، ومع ذلك فما تزال هذه اللغات تمثل لغات وظيفية رسمية كالإنجليزية في الهند وجنوب أفريقيا وسري لانكا... الخ.

ومن أوضح الأمثلة على تأثير اللغة في بناء الدول أن إسرائيل قد رأت بعث اللغة العبرية – التي كانت قد ماتت – إلى الحياة مرة أخرى، وكانت في ذلك مدركة لأهمية الوحدة اللغوية في ترسيخ وحدة اليهود الذين جاءوا من كل مكان ويتحدثون لغات مختلفة.

ومن مظاهر اعتزاز الأمم بلغاتهم القومية أن أصحابها فقد يتخذون مواقف عدائية نحو ما في لغاتهم من كلمات دخيلة، ومن أوضح الأمثلة على ذلك موقف الفرنسيين حكومة وشعبًا من تسلل الكلمات الإنجليزية إلى الفرنسية بتأثير الثقافة الأمريكية المعاصرة، وموقف بعض الهيئات المعنية باللغة العربية الفصحى كمجمع اللغة العربية بالقاهرة من الألفاظ الأجنبية التي انتشرت في أجهزة الإعلام، بل وعلى ألسنة الناس من كل الطبقات.

ونستخلص من كل ما سبق في هذا الموضوع:

١- اللغة من أهم مقومات القومية من حيث إنها الأداة المشتركة التي تجمع الناس على شعور واحد وفكر واحد وهدف واحد، ومع ذلك فليست المقوم الذي ينفرد بالتأثير.

٢- كان لبعض العوامل السياسية والاقتصادية تأثير كبير في نشوء بعض القوميات وبعض الدول الحديثة، وبعد أن تحققت نتائجها جعلت من اللغة أساس شخصيتها القومية، وتميل معظم دول العالم – في الوقت

الحاضر – إلى تنحية بعض العوامل المؤثرة في الشعور القومي كالجنس والدين والطبقة الاجتماعية – ولكنها تؤكد أهمية العامل اللغوي وتحرص على أن تكون لها لغتها القومية التي تساعد على توحيد أفكار الناس واتجاهاتهم.

٣– دور اللغة العربية في مستقبل العرب دور على جانب كبير من الأهمية، فهي أهم المقومات التي تقوم عليها القومية العربية، وتحقيقها لهذا الدور مرهون بما يقوم به المفكرون واللغويون من جهود في التقريب بين لهجاتها وفي تدعيم دور الفصحى المشتركة في الربط بين شعوبها.

التعدد اللغوي:

نلاحظ في عديد من الدول التي تتعدد أعراق سكانها أن عددًا كبيرًا من السكان يتحدثون بلغتين أو أكثر بدرجة واحدة من الكفاية.

ويطلق على هؤلاء مصطلح (bilinguals مزدوجو اللغة) إذا أتقنوا لغتين فحسب، و Multi Linguals متعددو اللغة إذا أتقنوا أكثر من لغتين، والصفة ذاتها تطلق على المجتمع فيقال مجتمع مزدوج اللغة أو متعدد اللغة.

والغالبية العظمى من دول العالم لديها أكثر من لغة يُتحدث بها في إطار حدودها ومن ثم فهي مجتمعات متعددة اللغة، ومع هذا فربما لا يلاحظ كثير من الناس مثل هذه الظاهرة، فالشخص العادي يتصور مثلا أن الفرنسيين يتحدثون بالفرنسية، والإنجليز يتحدثون بالإنجليزية، والمصريون يتحدثون بالعربية.. الخ، وليس هذا صحيحًا تمامًا، فبعض الفرنسيين يتحدثون بالبريتونية، وبعض الإنجليز يتحدثون بالولزية أو الغالية، وبعض المصريين يتحدثون بالنوبية.

ويطلق على تلك الجماعات التي تتحدث بلغة أخرى غير لغة الأم مصطلح أقلية لغوية، والغالب أن تكون اللغة الأخرى هي اللغة الوظيفية المسيطرة أو لغة الأغلبية في البلد الذي يعيشون فيه، وفي بعض الأحوال وحيث تكون الأقليات اللغوية كبيرة نسبيًا يكون في الدولة أكثر من لغة وظيفية أو رسمية كالحال مثلا

في كندا (حيث الفرنسية والإنجليزية) وفي سويسرا (حيث الفرنسية والإيطالية والألمانية والرومانشية).. الخ.

وفي بعض أحوال أخرى، وحيث تكون الأقلية أصغر أو أقل تأثيرًا فإن لغتها من غير المحتمل أن تكون لغة رسمية، ومن ثم يضطر المتحدثون بها إلى استخدام اللغة الرسمية، وهذا هو الحال في إنجترا مثلا حيث تستخدم الغالية في بعض المناطق في إسكتلندا والويلزية في ويلز.

مشكلات التعدد اللغوي:

التعدد اللغوي يثير مشكلات اجتماعية كبيرة للأفراد والجماعات وبخاصة للأفراد والجماعات التي تنتمي إلى أقلية عرقية، كما يثير مشكلات أكثر تعقيدًا للحكومات وللهيئات القومية المعنية بمختلف أنواعها.

فالأفراد والجماعات التي لا تستخدم لغة الأغلبية لغة أمٍّ لها يُضطرون إلى اكتساب لغتين- على الأقل- بكفاية واحدة لكي يكونوا أعضاء كاملين في المجتمع القومي الذي يعيشون فيه.

واكتساب أطفال الأقلية اللغوية لغتين أو أكثر قراءة وكتابة مشكلة خطيرة، تؤثر حتمًا على كفاءتهم اللغوية، ومن ثم كفاءتهم الوظيفية، ولكن المشكلة تكون أقل خطرًا حين يكون بين اللغتين قرابة لغوية كالحال بين الفريزية والهولندية اللتين تنتميان إلى فصيلة لغوية واحدة، وتكون أكبر خطرًا حين تنتمي اللغتان إلى فصيلتين مختلفتين كالحال بين الفرنسية والألمانية مثلا.

اتجاهات حل المشكلة:

ثمة سياسات تعليمية تتبناها الحكومات والمؤسسات التعليمية المعنية، إما بالسماح للأطفال بتعلم لغة الأغلبية والأقلية على سواء، وإما بتجاهل لغة الأقلية، ولكل اتجاه مزايا وعيوب لا يتسع المقام للحديث عنها، ويغلب الآن – كسياسة عالمية – الدعوة إلى احترام حقوق الأقليات بتعلم لغاتهم والحفاظ على ثقافتهم الخاصة.

والأقليات اللغوية تمثل مشكلة معقدة ودائمة للحكومات، وحجمها يتوقف على حجم المطالب السياسية والثقافية واللغوية التي تسعى الأقلية إلى تحقيقها، وعلى موقف الأغلبية منها.

ومشكلة الأقلية اللغوية مشكلة خطيرة ومعقدة، إذا ما رأت الحكومةُ المعنية أن اللغة تتجمع حولها مشاعر سخط الأقلية الطامحة إلى مزيد من السلطة والاستقلال، أو تكون ذريعة إلى الانضمام إلى دولة مجاورة تشترك معها في العرق أو الثقافة أو اللغة.

ثمة عدد كبير من دول العالم العربي يضم عددًا من الأقليات العرقية واللغوية، ومن أهم هذه الدول: السودان، والجزائر، والمغرب، وقضية اللغة العربية في هذه الدول تتعلق بتحقيق الوحدة الوطنية؛ لأن هذه الدول تضم عدة أعراق ولغات وثقافات متباينة بدرجات متفاوتة، وتمتد شعوبها وقبائلها إلى خارج حدودها السياسية، هذا إلى جانب عدم الاستقرار الذي لازمها منذ استقلالها.

الوضع في السودان:

الوضع في جنوب السودان مضطرب، على الرغم من استقلاله عن دولة السودان، وما تزال حرب دائرة بين كردفان ودافور، والحكومة المركزية والموقف اللغوي أشد اضطرابًا حيث تنتشر عشرات من اللغات بين السكان المختلفي الأعراق والثقافات.

الوضع في المغرب والجزائر:

البربر (الأمازيغ) جغرافيا وتاريخيًا:

استقر البربر في شمال إفريقية منذ عهد بعيد،ويدعي بعضهم أنهم من العرب، ويدعي آخرون نسبتهم البعيدة إلى حام بن نوح، والبربر متفرقون في مساحة شاسعة من الأرض، ويختلفون فيما بينهم في التقاليد والأعراق، وفي الحديث بلهجات بربرية مختلفة.

والمجتمع البربري – في عمومه – مجتمع إسلامي يهتدي بمبادئ الإسلام وشرائعه وثمة حركات انفصالية تنتشر في المغرب والجزائر، وتلقى هذه الحركات دعمًا من بعض المؤسسات الفرنسية، وهدف هذه الحركات هو إحلال الفرنسية محل العربية لتكون اللغة الرسمية في المناطق التي تتحدث باللهجات البربرية.

واللغة البربرية فرع من اللغات السامية – الحامية، وثمة خلاف بين لهجاتها وبخاصة في المجال الصوتي.

وعلاقتها بالعربية قديمة منذ الفتح العربي لبلادهم، وتكتب اللغات البربرية بالحروف العربية.

وقد تعرضت الجزائر لأحداث عنف بين الحكومة الجزائرية والمتظاهرين الأمازيغ في منطقة القبائل ذهب ضحيتها حوالي خمسين شخصًا، وجرح ما يقرب من سبعمائة آخرين.

ويطالب البربر بالحكم الذاتي والاعتراف بلغتهم وثقافتهم القومية، وأن تكون الأمازيغية لغة للتعليم إلى جانب العربية، وتجاوبت الحكومة الجزائرية مع هذه المطالب بيد أنها لم توافق على منحهم الحكم الذاتي حرصًا منها على وحدة الدولة.

اللغة والسياسة

تعريف السياسة:

السياسة مصطلح يشير إلى العمليات التي ينطوي عليها السلوك الإنساني، والتي يتم عن طريقها إنهاء حالة الصراع بين الخير العالم ومصالح الجماعات، وغالبًا ما يتضمن ذلك استخدام القوة.. إن القوة هنا تمارس من خلال عملية الحكم، وفي إطار الدولة، وقديمًا عرف الفلاسفة علم السياسة بأنه: علم تدبير المدينة والأمصار والقرى، وفي التراث الإسلامي تعرف السياسة الشرعية بأنها الإمامة العامة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا.

الاتصال السياسي والاتصال اللغوي:

الاتصال السياسي: بث الرسائل التي لها تأثير، وبما أن السياسة عبارة عن كلام فإن عملية الاتصال اللغوي تهيمن على السياسة على نحو أو آخر.

خصائص اللغة السياسية:

تؤدي اللغة دورًا رئيسيًا في عملية التنشئة الاجتماعية، كما تسهم في صنع الشرعية للنظام السياسي، إن السياسيين يقبضون على السلطة في المجتمع لأسباب منها أنهم يتحدثون إلى الشعب ويقنعونه، ويحققون أهدافهم في السيطرة عليه؛ لأنهم يوظفون بنجاح الرموز اللفظية وغير اللفظية في نشاطهم الاتصالي.

عناصر الخطاب السياسي:

١- **مضمون الخطاب:** هو قضايا المجتمع واهتماماته مثل البطالة، أسعار النفط، الحرب والسلام ..الخ.

٢- **المرسِل:** يقوم به عادة أفراد متميزون توفر لهم مراكزهم القدرة على صناعة الأحداث والسياسات كالوزراء، والأحزاب، وأعضاء المجالس الشعبية والمحلية.

٣- **المتلقي:** هو الجمهور المستهدف من هذا الخطاب.

٤- **وسيلة التوصيل:** من أهمها وسائل الإعلام، وأجهزة الاتصال الشخصية (فيس بوك) و(تويتر) ... الخ.

ونشير هنا إلى ما قامت به هذه الأجهزة في الإعداد لثورة ٢٥ يناير وفي توجيهها، وحشد الشعب لتأييدها.

وظائف اللغة السياسية:

١- نشر المعلومات:

يقوم السياسيون بتوضيح طبيعة السياسات التي ينتهجونها، ويحرصون على نشر أنشطتهم عبر وسائل الإعلام، لاستجلاب مشاعر الجماهير الإيجابية نحوهم.

٢– ترتيب الأولويات:

ويقصد به قدرة الاتصال على تحديد الاهتمام الشعبي بقضايا المجتمع والتأثير فيما يفكرون فيه.

٣– التفسير والربط:

يعد جذب الانتباه إلى قضايا معينة أهم أهداف السياسة، حيث يوضح مزايا هذه القضايا، ويفسر دعوته إليها، كما يدعم أعماله واقتراحاته بربطها بأهداف وسياسات ناجحة، وبذلك يصنع الحقائق ويشكلها، ومن طريف هذه الوظيفة أن الرئيس السادات كان يكثر من الاستشهاد بالقرآن الكريم لتبرير مواقفه، فإثر توقيعه لاتفاقية (كامب ديفيد) ١٩٧٩م، استشهد بقوله تعالى: (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا) وحين عورض معارضة شديدة شبه موقفه بموقف نوح – عليه السلام– في قوله: (رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا).

ويدعم السياسيون مواقفهم بتعريفات وأوصاف لغوية متحيزة، فالنخب السياسة الأمريكية المتحيزة لإسرائيل تصورها على أنها (دولة ديمقراطية تحيط بها دول عربية معادية، وجماعات أصولية متوحشة، أما الإسرائيليون فـ (محبون للسلام، مقاتلون بواسل...) على حين يطلقون على الفلسطينيين الذين يدافعون عن أرضهم المغتصبة وأهليهم بأنهم إرهابون، انتحاريون).

٤– تصور الماضي والمستقبل:

يستعيد السياسيون أحداث الماضي ليثيروا مشاعر الزهو والإعجاب أو البهجة والأمل، أو الحزن والإحباط، ويعدون الناس بعيش رغيد وخير مديد في ظل سلطانهم، وكثيرًا ما كان الرئيس السادات حين يوجه خطابه إلى الذين يقللون من دور مصر في المنطقة (بحضارة السبعة آلاف سنة) و(بأول حياة نيابية) في العصر الحديث، وكان في أقسى الظروف يبشر بعهد من (الرخاء والسلام).

٥– الحث على العمل:

تعمل اللغة السياسية على تعبئة المجتمع ودفعه إلى العمل، وقد كان من

شعارات ثورة يولية ١٩٥٢م (الاتحاد والنظام والعمل).

الرموز السياسية:

هي تلك الكلمات أو الأفعال أو الصور أو الأحداث التي تثير الولاء، أو التشجيع على الطاعة أو تؤكد دعوى أو تبررها أو تعد بالإخلاص.

وقد يصبح الأشخاص رموزًا لشعوبهم إذا جسدوا أحلامهم وأمانيهم في الحرية والبناء والحياة الكريمة، عمر المختار مثلا كان رمزًا للمقاومة الليبية ضد الاستعمار الإيطالي، وكان عبد الناصر رمزًا لجلاء الإنجليز عن مصر، ولمقاومة الاستعمار في أفريقيا، وعلى الوحدة العربية للعالم العربي.

الطمأنة بالرموز:

تشكل الرموزُ السياسية الحقائق، وتدفع إلى العمل لتحقيق الأهداف، ويستخدمها السياسيون ليطمئنوا الناس أن مشكلاتهم يجري حلها.

أساليب تحقيق الطمأنة بالرموز:

أ- التمويه أو ما يعرف في البلاغة العربية بتحسين القبيح، أي باستخدام عبارات ملطفة وغير مباشرة بوصف شيء بغيض أو منفر. يصف زعيم سياسي سعيه لتسوية أو صلح مع عدو بلاده بأنه (سلام الأقوياء) و(سلام الشجعان) أو (سلام بشرف).

وأطلق العرب على هزيمة ١٩٦٧م اسم النكسة، وأطلقوا على هزيمة الجيوش العربية ١٩٤٨م اسم (النكبة).

والولايات المتحدة كثيرًا ما تمارس هذا الأسلوب، فغزو إسرائيل الهمجي للبنان ١٩٨٢م (سلام جليل) ومجازر ومحارق المسلمين في البوسنة على يد الصرب (تطهير عرقي) والقنابل التي تصبها الطائرات على المدنيين (قنابل ذكية).

ب- الإطراء:

هو المبالغة في المدح، وكثيرًا ما نجده في الدعاية السياسية، ومن أمثلته ما

قاله الرئيس بوش الأب عام ١٩٨٨م: "في المستقبل المنظور لن تستطيع أمة أو مجموعة أن تتقدم لتولي زمام قيادة العالم".

جـ- الاستعارة:

وهي تفسير مفهوم غريب وغامض من خلال ربطه بشيء واضح ومألوف، فيوصف رجال الأمن بأنهم (العيون الساهرة) والجيش بأنه (الذراع الطويلة) ويوصف المستغلون لقوت الشعب بأنهم (القطط السمان) وتوصف أجهزة الأمن القمعية بأنهم (زوار الفجر).

الرموز السياسية والثقافة:

يكشف العمل السياسي عن فعالية الرموز السياسية التي تكتسب قوتها من كونها جزءًا من الثقافة، والقيم، والعواطف المشتركة للمجتمع، كما تكتسب قوتها من كونها تقدم في إطار اجتماعي أوسع كالجماعة.

وهناك نمطان رمزيان شائعان مستمدان من الثقافات المحلية، ولهما تأثير بارز في رسم المشهد السياسي هما: الأساطير والطقوس.

الأساطير:

تعرف الأساطير بأنها مسلمات مجتمعية ننزع إلى تصديقها بلا دليل، ويستخدم السياسيون الأساطير عندما يريدون نسبة الأخطاء أو المشكلات إلى قوى خارجية أو مؤامرات أجنبية.

ومن أشهر الأساطير التي استخدمها النازيون أسطورة (القائد الملهم) إنه رجل واحد بمنأى عن أي نقد، إنه دائمًا على حق، وسيكون أبدًا على حق، وقد استجاب الشعب الألماني لهذه الأسطورة فأوردتهم أعظم المهالك في التاريخ الحديث، وما أسوأ المصير الذي انتهى إليه هو ونظامه بقيام الثورة الليبية.

وما أكثر الألقاب التي يطلقها الحكام العرب على أنفسهم أو تطلقها أجهزة الحكم عليهم من أمثال (الزعيم الخالد) و(الرئيس المؤمن) ومن أحدث هذا الألقاب ما ذكره أحدهم عن نفسه بأنه (قائد أممي، وعميد الحكام العرب، وملك

ملوك أفريقيا وإمام المسلمين).

الطقوس:

وتُعرف بأنها نشاط يربط أعضاءه رمزيًا في عمل مشترك لافتًا انتباههم إلى اتصالهم بعضهم ببعض، ومصالحهم المشتركة بطريقة لا تقاوم.

وتوصف أيضًا بأنها سلسلة متصلة وثابتة من الأفعال والأقوال الرسمية.

والطقوس بهذه الطريقة تصل الفرد بالمجتمع، وتعزز الوحدة والروح الجماعية، ويمثل لها بالنداءات اللفظية الموحدة والمناشدات والشعارات التي يرفعها المرشحون السياسيون لاستجلاب تأييد الشعب لبرامجهم.

وللطقوس- كما للأساطير- جوانبها السلبية والإيجابية، وقد كان (جوبلز) العقل المدبر للدعاية النازية خلال الحرب العالمية الثانية، ومن أقواله المأثورة قوله عن خسارة ألمانيا للحرب العالمية الأولى: ... لا أنها كذلك فقط.. الحرب هي البرهان العظيم على إراداتنا للحياة، وقوله: إذا نجحنا في صياغة نوع جديد من الألمان فإننا سنشكل الألفية المقبلة، أنا مؤمن بنا نحن الألمان.. الخ، واعتلى الزعيم عبد الناصر منبر الجامع الأزهر وأطلق عبارته النارية (سنقاتل، سنقاتل)، والتي كان لها سحرها في مقاومة العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م، وقد كان من العبارات المأثورة عند قيام ثورة ١٩٥٢م، العبارة (الاتحاد والنظام والعمل).

السلطة بين السياسة واللغة:

لم تعد اللغة في عصرنا أداة للتفكير أو للتعبير أو للتأثير، أو لقضاء المصالح، وعقد الصلات الاجتماعية فحسب، بل أصبحت في ذاتها سلطة تتحكم فيمن يستعملها وأصبحت أيضًا أداة يتحكم فيها الذين يمارسون السلطة.

إن ذلك التطور الذي آل إلى انتصاب اللغة سلطة داخل سلطة السياسة، قد مر بحطات كبرى، المحطة الأولى نشأة الصحافة، والثانية ظهور البث الإذاعي،

والثالثة ظهور البث التلفزي، والرابعة استحداث الإنترنت.

وقد أوصلنا هذا التطور إلى أن "الجميع اليوم على يقين بقوة سلاح اللغة، بل بجبروت توظيف الإنسان لها، وعلى يقين بتحكمها المطلق في التواصل والمعرفة.

إن تصنيع الواقع يمر عبر تصنيع الخطاب، ولتكن أيضًا لدينا قناعة أخرى، إن السلطة الجديدة في عالم السياسة الكونية هي - بعد السلطة الدستورية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية ثم السلطة الإعلامية - سلطة صناعة الخطاب المطبوخ بحذق ومهارة داخل ورشات إنتاج الخطاب.

الإلهاء باللغة وقضاء الأوطار - الرفيعة والوضعية- من وظائف اللغة في عالمنا المعاصر، والتخييل والمجاز والإيهام من وسائلها ومقصد من يستعملها المخاتلة والمكر والخداع والمناورة، والاعتبار الأكبر لهذا هو النجاح.

ومن أوضح صور الإلهاء باللغة استخدام مصطلحات تدسها إسرائيل في الإعلام العالمي، فهم يطلقون عبارة (أجهزة الأمن الإسرائيلي) ومنها (الموساد) للإيهام بأنها أجهزة طبيعية في دولة طبيعية، والصواب أن يقال (أجهزة التجسس الإسرائيلية) أو (الشرطة الإسرائيلية) وعبارة (حرب التحرير) يعنون بها حرب ١٩٤٨م، وهي عبارة تعني أن أرض فلسطين أرض يهودية حاربوا لتحريرها من أهلها المغتصبين.

الصورة الشعرية المنغومة للغة السياسية:

وتبلغ المصطلحات السياسية والشعارات أوج قوتها، حين لا تتوقف صياغتها على الصور الشعرية من تخييل ومجاز وتكنية، بل تتوسل كذلك بالسجع والجناس والحلي اللفظية.

إن التناغم الصوتي في الكلام والناتج عن السجع والجناس وتماثل الأوزان بين العبارات والجمل تتجلى في تهيئة اللاوعي لدى المتلقي كي يفترض أن هناك انسجامًا في المضمون، وأن تواؤما يقوم بين الموق السياسي واللغة المستخرة للإفصاح عنه.

ومن أمثلة ذلك:

١- (الاستقلال التام أو الموت الزؤام) وهو من شعارات المصريين في أثناء الاحتلال البريطاني.

٢- (الصراع العربي صراع وجود لا صراع حدود) تصريح لفاروق الشرع للرد على محاولات أمريكا للسلام مع إسرائيل في مؤتمر مدريد مع تغيير الحدود.

٣- (مصر سنية المذهب شيعية الهوى)، تصريح للدكتور مصطفى الفقي للتخفيف من تصريح للرئيس مبارك في الفتنة بين السنة والشيعة في العراق، حيث قال:"إن أهل الشيعة في العراق أكثر وفاء لإيران منهم لوطنهم".

٤- ومن أطرف العبارات التي أطلقت على (تاتشر) رئيسة وزراء إنجلترا والمشهورة بـ (المرأة الحديدية) عبارة (ميتران): (هي امرأة لها فم مارلين مونرو ونظرة كاليجولا) (مارلين مونرو) هي الممثلة الجميلة الشهيرة و(كاليجولا) هو الإمبراطور الروماني السفاح.

٥- ولعل من أحدث العبارات المنغومة عبارة الدكتور مفيد شهاب في مؤتمر القمة في الدوحة مارس ٢٠٠٩م (المصارحة قبل المصالحة).

أمثلة للتأمل من تاريخ العرب السياسي:

صناعة الخطاب السياسي قديمة العهد منذ أصبح الإنسان كائنًا سياسيًا، ومن أمثلتها في تاريخ العرب قصة التحكيم بعد انتهاء معركة صفين بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، حين اتفق المحكمان أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص على خلع موكليهما، فبادر أبو موسى بخلع صاحبه علي وقد استدرج إلى المبادرة، قال عمرو بن العاص: لقد ثبت معاوية كما ثبتت خاتمي هذا في يدي، وراحت الصياغة التعبيرية تدوي بصورتها البلاغية عبر أرجاء الزمن لتكون اللغة شاهدًا على صنع التاريخ.

عندما سمع علي بن أبي طالب من يقول (الحكم لله يا علي) أجاب قائلا: (كلمة حق أريد بها باطل) كان علي- رضي الله عنه- يدرك أن للكلام- في بعض الأحيان- ظهرًا وبطنًا، وأن هذه العبارة ظاهرها فيه الحق وباطنها شق عصا الطاعة وتفريق جماعة المسلمين، وأصبحت عبارة علي مثلا يرمز إلى الأمر (المبيت بليل) و(الجدل الخفي) و(قدرة الإنسان على تطويع اللغة لأهداف سياسية).

وثمة حادثة أخرى على هذه العلاقة بين اللغة والسياسة، لما أراد معاوية بن أبي سفيان أخذ البيعة لابنه يزيد كتب في سنة خمس وخمسين إلى سائر الأمصار أن يفدوا عليه فوفد من كل مصر وفد، فجلس في أصحابه وأذن للوفود فدخلوا عليه، وقد تقدم أصحابه أن يقولوا في يزيد، فتكلم جماعة منهم ثم قام (يزيد بن المقفع) فقال: أمير المؤمنين هذا "وأشار إلى معاوية"، "فإن هلك فهذا" وأشار إلى يزيد "فمن أبى فهذا" وأشار إلى سيفه "فقال معاوية: "اجلس فأنت سيد الخطباء".

في هذا المثال الحي المتدفق تصنع فيه اللغة الحدث بلا منازع.

لغة الحديث ولغة الكتابة

أهمية الكتابة والحديث:

يتحقق الاتصال اللغوي بين أفراد المجتمع بشكلين متميزين: أحدهما اللغة المنطوقة أو لغة الحديث، واللغة المكتوبة أو لغة الكتابة.

وربما كانت اللغة المنطوقة أو لغة الحديث من حيث أداؤها لوظيفة الاتصال أهم من لغة الكتابة، وأوسع انتشارًا، فالإنسان العادي ينتج من الحديث أكثر مما ينتج من المكتوب، كما أن المجتمع اللغوي المعين قد يكون بين أفراده أميون (تتفاوت نسبتهم من مجتمع إلى آخر) لا يستخدمون الكتابة، وهذا هو السبب في أن كثيرًا من علماء اللغة المعاصرين يعطون اهتمامًا كبيرًا للغة المنطوقة ويعدونها الشكل الأساسي على حين يوجهون إلى اللغة المكتوبة اهتمامًا أقل، ويعدونها ثانوية.

ويرجع هذا الاهتمام إلى بداية القرن الحالي، وقبل ذلك كانت لغة الكتابة تحظى بكل الاهتمام، وكان مرجع ذلك إلى أنها تفضل اللغة المنطوقة بميزتين ظاهرتين: أولاهما أن اللغة المكتوبة تنتقل من مكان إلى آخر وعبر مسافات بعيدة، والثانية أنها تكاد تكون ثابتة لا تتعرض للتغير المستمر الذي يصيب اللغة المتحدثة، ولهذا أمكن تسجيلها ونقلها عبر أجيال متعاقبة من البشر، وأصبحت شكلا يمكن أن يتعلمه أفراد المجتمع المعين، على حين لم يتوفر للغة الحديث الظروف التي تثبتها على حال معينة تسمح بتسجيلها.

وقد فشلت كثير من الجهود التي حاولت تسجيل لغة الحديث في أشكال مكتوبة، (فقد فشلت مثلا المحاولات التي كانت ترمي إلى استخدام الحروف العربية في تسجيل العامية المصرية، كما فشلت كذلك محاولات بعض كتاب الرواية الإنجليزية في تسجيل لهجة لانكشير، غير أن تطور الاجهزة التي تسجل الأصوات وتنقلها من مكان إلى آخر (المسجل، والهاتف والمحمول، والراديو، والتليفزيون) وانتشار هذه الأجهزة بين الناس ورخص ثمنها جعل من الممكن تسجيل لغة الحديث وانتقالها من مكان إلى آخر عبر مسافات بعيدة، ومع ذلك فلا يزال للغة الكتابة أهمية كبيرة وبخاصة في المجتمعات التي تنتشر فيها الأمية على اعتبار أنها أكثر الأشكال اللغوية وفاء بتحقيق المراد في كثير من الحالات.

الكتابة ضرورية للتفكير العلمي:

ومن ميزات الكتابة أنها جعلت الدراسة العلمية للظواهر ممكنة، إن تفسير الظواهر أو الحقائق المقررة وتصنيفها يستحيل دون الكتابة أو القراءة، أما أهل الثقافات الشفاهية الأولية تلك التي لم تمسها الكتابة بأي صورة فيتعلمون كثيرًا، وعندهم قدر كبير من الحكمة التي يمارسونها ولكنهم (لا يدرسون) إنهم يتعلمون بالتلمذة على ذوي الخبرة، وبالاستماع وبإجادة الأمثال، وطرق التأليف بينها، وبالاشتراك في نوع من التأمل الجمعي في الماضي.. الخ إنهم يتعلمون بكل هذه الطرق وليس بالدراسة بمعناها الدقيق.

أضف إلى ذلك أن الكتابة كانت وراء نشأة ونمو لغة علمية خاصة، لقد نما العلم الحديث في تربة اللاتينية، وقد كان العلماء والفلاسفة في زمن (نيوتن) مثلا يكتبون ويمارسون تفكيرهم المجرد باللاتينية، على الرغم من أنهم ما كانوا يستعملونها في حياتهم العامة.

وتُرجم علم اليونان والفرس والهند إلى العربية الفصحى، واستخدمت هذه العربية المكتوبة في تطوير هذه العلوم في شتى الأماكن وبين شعوب لا تنطق العربية، وأصبحت العربية إبان ازدهار الحضارة الإسلامية لغة عالمية للعلم والتجارة والسياسة، ولعديد من أشكال الاتصال الإنساني.

الكتابة ودورها في ظهور اللغة المعيارية وتقنين قواعدها:

وثمة أمر آخر أن الكتابة دعمت اختيار لهجة من اللهجات لتكون لغة معيارية، وأسهمت في وضع قواعدها وتسجيل معجمها، وكانت اللاتينية مثلا نتيجة مباشرة للكتابة، وقد كانت الكتابة داعمًا للعربية الفصحى، وبفضلها توحدت الأمة العربية في لغة واحدة، وبفضلها انتشرت في كل مكان وصل إليه الفتح الإسلامي.

وقد كان من الضروري الاحتفاظ باللاتينية في أوروبا؛ لأنها كانت تضم مئات من اللغات واللهجات، ولم يكن ثمة سبيل لترجمة العلوم والآداب إلى هذه اللغات واللهجات، ومن ثم أصبحت اللاتينية لغة العلم، واقتضت السياسة العملية أن تُعلم اللاتينية في المدارس، ومن ثم قُضي عليها أن يقتصر استخدامها فيها، وهكذا أصبحت اللاتينية العالية لغة تتحكم فيها الكتابة تحكمًا تامًا، بينما تطورت الفروع المحكية وأصبحت لغات كالفرنسية والإيطالية والأسبانية.

عيوب الكتابة عند أفلاطون:

لا شك أن ظهور المطبعة وتطور إمكاناتها، وظهور الحاسب الآلي وتطور استعمالاته، قد أعطى للكلمة المكتوبة قوة فوق قوتها، ولكن ذلك لا ينُسينا أن بالكتابة عيوبًا تحدث عنها المفكرون لعل أطرفها وأهمها ما ذكره أفلاطون إذ رأى أن:

١- الكتابة غير إنسانية، إنها نتاج مصنوع.

٢- الكتابة تدمر الذاكرة، وتؤدي إلى كثرة النسيان؛ لأن الكاتب يعتمد على مصدر خارجي، أما الكلام فينشط الذاكرة (ولعل هذا يذكر بما يوجهه الناس إلى الآلة الحاسبة بأنها تضعف العقل؛ لأن صاحبها يعتمد عليها مصدرا للمعرفة).

٣- النص المكتوب لا يستجيب للسائلين.. فإذا ما استجوبت نصًا مكتوبًا فلن تحصل على شيء إلا على الكلمات نفسها التي وردت فيها.

٤- الكتابة لا يمكن أن تدافع عن نفسها، على عكس الكلام، فالكلام والفكر الحقيقيان يوجدان دائمًا في الأساس في سياق من الأخذ والعطاء بين أشخاص حقيقيين أما الكتابة فسلبية خارجة عن السياق، تحيا في عالم غير حقيقي أو غير طبيعي.

اللغة المنطوقة أسبق وجودًا من اللغة المكتوبة:

قد نختلف أحيانًا في النطق الصحيح لكلمة من الكلمات، وقد نحتكم في ذلك إلى النصوص المكتوبة التي تهدينا إلى الصواب، وقد يفهم البعض أن ذلك يعني أن اللغة المكتوبة هي الأساس، وهذا غير صحيح لأمرين:

أولهما: لقد ثبت تاريخيًا أن الإنسان استخدم اللغة المنطوقة أولا منذ ما يقرب من خسمين ألف سنة، ثم اخترع الكتابة بعد ذلك، ويؤكد هذا أن في العالم مئات من اللغات المنطوقة لم يتوفر لها شكل كتابي حتى اليوم، وأول كتابة حقيقية نعرفها كانت في بلاد الرافدين، وهي ما يعرف بالكتابة المسمارية حوالي ٣٥٠٠ ق م، ثم الكتابة المصرية حوالي ٢٠٠٠ ق م.

ثانيهما: أننا نكتسب اللغة المنطوقة أولا من المجتمع الذي ننتسب إليه، ولا محيص عن اكتسابها ما دام الطفل يعيش في مجتمع لغوي، أما الكتابة فنتعلمها بعد أن نستوفي اللغة المنطوقة تمامًا ونتعلمها في

المدرسة، وفقًا لمنهج مخطط.

غير أن الكلمة المنطوقة ما زال لها حضور وحياة؛ لأن النصوص المكتوبة لا مندوحة عن ارتباطها بعالم الصوت موطنها الطبيعي كي تُعطي معانيها، وقراءة النص ما هي إلا تحويله إلى صوت، ومن ثم لا تستغني الكتابة عن النطق أبدًا، وتعرف الكتابة بأنها نظام تصنيفي ثانوي يعتمد على نظام أولي سابق هو اللغة المنطوقة، فاللغة المنطوقة يمكن أن توجد من غير كتابة، أما الكتابة فلم توجد قط دون نطق.

خصائص لغة الحديث ولغة الكتابة:

أ- من حيث الشكل:

من الواضح أن لغة الكتابة موحدة ومتجانسة على حين نجد لغة الحديث متنوعة، وغير متجانسة يقول (نيدا): إن كتابة اللغة تجعلها أكثر انتظامًا؛ لأن الكتابة تدخل عنصرًا واعيًا في عملية الاتصال.

إننا - في العالم العربي مثلا - نكتب بشكل واحد تقريبًا على حين نتكلم لهجات مختلفة، بل إننا في القطر الواحد نجد اختلافات لهجية نتيجة اختلاف المناطق الجغرافية أو الطبقات الاجتماعية.

وقد تكون الفروق بين لغة الحديث ولغة الكتابة قليلة لا تستحق الاهتمام، ولا تؤثر في التفاهم بين أفراد المجتمع اللغوي الواحد، وقد تكون كبيرة تستأهل الاهتمام وتؤثر في التفاهم، وهنا ينشأ ما يطلق عليه الثنائية diglossia، والثنائية موجودة في لغات كثيرة فهي موجودة في الألمانية واليونانية، والعربية، ويعاني المتكلمون بالعربية من هذه الثنائية فهم على اختلاف أقطارهم يستخدمون في الحديث لغة لا يكتبونها، ويستخدمون في الكتابة لغة لا ينطقونها إلا نادرًا، ويطلق على الشكل الأول (العامية) منسوبة إلى قطر بعينه فيقال العامية المصرية أو العراقية..الخ، ويطلق على الشكل الثاني (الفصحى) بإطلاق.

ب- من حيث الوظيفة:

من المقرر أن لغة الحديث تفي بأغراض لا تصلح لها لغة الكتابة فهي لغة الحياة اليومية لغة البيع والشراء، حين نذهب إلى السوق، لغة المقابلات حين نتقابل في الشارع أو في المنتديات وعندما نجلس للثرثرة... الخ، وهي اللغة التي يتلقاها الطفل من أمه ومن أقرانه في بيئته.

أما لغة الكتابة فتصلح لأغراض أخرى فهي أداة المفكرين والعلماء حين يؤلفون، وهي لغة الأدباء حين ينتجون... الخ، وهي اللغة التي يتلقاها التلميذ في مدرسته ويتعلم قواعدها من أساتذته.

جـ- من حيث الخصائص اللغوية:

لغة الحديث انفعالية ولغة الكتابة منطقية:

لا شك أن لغة الحديث لها خصائص لغوية تختلف عن لغة الكتابة، وقد أوجز (فندريس) الفرق بين الشكلين بقوله: إن لغة الحديث في الغالب لغة انفعالية ولغة الكتابة في الغالب منطقية".

ولا يعني هذا أن لغة الحديث غير منطقية وأن لغة الكتابة غير انفعالية فكل شكل منهما يتضمن عناصر منطقية وانفعالية.

وعلى سبيل المثال حين تقابل صديقًا لم تتوقع رؤيته فقد تقول له مندهشًا: أنت! هنا!، أو عندما ترى حادثًا مؤلمًا يصيب شخصًا فتصيح راثيًا لحاله: يا عيني، ولكنك حين تريد التعبير عن هذين الموقفين كتابة فقد تقول: يدهشني أن أراك هنا، أو نحو ذلك، وقد تقول أرثى لهذا المسكين أو نحو ذلك، ولعلك قد لاحظت أن لغة الحديث في الموقفين السابقين أحفل بالعناصر الانفعالية من لغة الكتابة.

العناصر اللغوية الحاملة للانفعال:

وقد كان للسمة الانفعالية الغالبة في اللغة المنطوقة آثار واسعة ومميزة لبنيتها وللعناصر المصاحبة لها وللمواقف الصالحة لاستخدامها.

وتحفل اللغة المنطوقة بعناصر محددة أقدر من غيرها على الوفاء بالجانب

الانفعالي، وأفعل في التأثير في السامع، مع أن هذه العناصر نفسها موجودة في اللغة المكتوبة، مثال ذلك في العربية ما يعرف بالأساليب الإنشائية: أسلوب التعجب، والنداء، والقصر، والاختصاص، وأساليب الطلب أمرًا أو نهيًا أو استفهامًا، بل إن العناصر الخبرية وهي أقرب إلى تحقيق وظيفة التعبير عن الأفكار ونقلها قد توظف في لغة الحديث للتعبير عن المشاعر.

انظر مثلا إلى ما يطلق عليه في العربية اسم الفعل من نحو أوه وأف... الخ.

إن هذه الأشكال تحمل شحنة عاطفية عظيمة تجعلها ذات تأثير كبير على السامع، والفرق واضح بين هذه الأشكال وما يساويها في المعنى من أشكال أخرى وتأمل معي حين يتألم شخص فيقول: أوه! وكيف يؤثر على سامعه، وحين يتأمل آخر ويقول: أتوجع، وكيف يترك سامعه حائرًا فيما أصابه أو يما يعنيه.

العناصر الصوتية والإشارية المصاحبة للحديث:

ويزيد الطاقة الانفعالية في لغة الحديث ما يصاحب المنطوق من عناصر صوتية يتوسل بها المتكلم لإحكام السيطرة على عملية الاتصال، إن هذه العناصر تنفخ في المنطوق قوة وحيوية وروحًا، بل إنها هي التي قد تحدد معناه وتصرفه إلى مقاصده التي يهدف المتكلم إلى تحقيقها.

هذه العناصر هي: تنغيم الجملة، أو نبر الكلمات، أو سرعة الأداء أو بطئه، أو التوقف عنه لحظة ثم استئنافه... الخ.

إن كل وسيلة من هذه الوسائل يقابلها ألوان مختلفة من العواطف والرغبات.

وإليك بعض الأمثلة التي تكشف عن الدور الذي تمثله هذه العناصر في لغة الحديث وتكشف أيضًا عن عجز اللغة المكتوبة عن أداء هذا الدور.

انظر مثلا حين تقول لصديق لك: "المشوار طويل"، فتطيل من مدة الواو، فكأنك تريد بمدها الإيحاء بطول المشوار.

وانظر حين تقول:"السؤال صعب"، فتضغط على عين الكلمة الأخيرة، فكأنك

بهذا توحي إلى السامع بأنه بالغ الصعوبة، ولا تستطيع الكتابة أن تعبر عن هذا المعنى أو ذاك.

وحين يقول قائل: إنها جميلة جدًّا، بنغمة معينة يعني تقرير واقع وهو جمال الفتاة التي يتحدث عنها، ولكن حين يقولها بنغمة أخرى، قد يعني أنها ليست جميلة أبدًا، وقد يعني أنها جميلة حقًا ولكنها ليست ذكية أو غير ذلك من المعاني، والأمر كذلك حين نصف فتاة ونقول:إنها ذكية جدًّا، قد نعني – إذا ما قلنا الجملة السابقة بنغمة معينة – أنها ليست جميلة.

وقد تتأدب مع شخص يتكلم بصوت عال وتقو له: آسف جدًّا، إذ أقاطعك، ألا يكون جميلا منك أن تخفض صوتك قليلا، بنغمة معينة فتعني ما تقول حقًا، وبنغمة أخرى فتوبخه وتهزأ به.

وقد تقول لصديق "لا أريد قهوة" بنغمة معينة فيفهم أنك تريد شايًا، وقد يكون هذا هو مرادك وربما لا يكون.

وقد يستخدم المتكلم التنغيم ليجعل السامع يذهب في تفسير المراد مذاهب، قد يقول قائل: إنها جميلة جدًّا، ولكن ..." وينغم الكلمة جدًّا بنغمة خاصة ويقف على الكلمة (لكن) وقفة مميزة فيوحي إلى المتكلم بما يريد.

وقد تكون النغمة وحدها هي الأساس في التمييز بين الإخبار والاستفهام فحين نقول مثلا: "ظهر الحق"، بنغمة هابطة تكون إخبارًا، وبنغمة صاعدة تكون استفهامًا، والنغمة أيضًا قد تجعل الاستفهام إخبارًا، وتجعل الخبر استفهامًا.

وقد بذلت جهود كبيرة لكي تقوم الكتابة بما تقوم به العناصر الصوتية المصاحبة للحديث، فوضعت علامات الترقيم المختلفة كالنقطة، والفصلة، والشرطة، وعلامة التعجب، والاستفهام... الخ وقد نجحت هذه العلامات جزئيًا.

وثمة عناصر أخرى تصاحب المنطوق، مثل تعبيرات الوجه وحركات الجسم والإشارات التي تؤكد ما يلفظه المتكلم أو تنفيه أو تصرفه إلى معان خاصة.

والأدباء المبدعون يحاولون دائمًا أن يجعلوا الشكل المكتوب من اللغة يوصل نفس الرسالة الأصلية التي ينقلها الشكل الكلامي المطابق له، ولذلك يستخدمون المفردات التي تنبض بالحياة، ويكثرون من استخدام الصفات ليزيد من فعالية الكلمات، ويكثرون أيضًا من استخدام الأفعال، بحيث يوحون بفيض الحركة والحيوية، بل ويعمدون كثيرًا إلى استخدام المحسنات كالجناس والسجع وغيرهما، لتكون بديلا عن تلك العناصر الصوتية المصاحبة للكلام المنطوق.

الموقف الاجتماعي بين لغة الحديث والكتابة:

وعلى الرغم من أن العناصر الصوتية تقوم بدور كبير في تحديد المعنى المقصود من المنطوق، فإن للموقف أو للسياق الذي يقع فيه دورًا لا يقل أهمية في تحقيقه، وفي هذا يختلف المنطوق عن المكتوب.

إن الكتابة تخلق لغة طليقة من السياق، أو هي خطاب مستقل، خطاب لا يمكن مساءلته أو معارضته على نحو ما يحدث في الخطاب الشفاهي؛ لأن الخطاب المكتوب منفصل عن مؤلفه.

وعلى الرغم من أن الكلمة المكتوبة تعد بديلا عن الكلمة المنطوقة، فإن الكلمة في موطنها الشفاهي الطبيعي جزء من حاضر وجودي حقيقي، والمنطوق إنما يصدر من شخص حقيقي حي إلى شخص أو أشخاص آخرين حقيقيين أحياء في لحظة زمنية معينة، في موقف حقيقي يتضمن دائمًا ما يتجاوز مجرد الكلمات.

أما الكلمات في النص المكتوب فتقف بذاتها، أضف إلى ذلك أن من يؤلف نصًا أو يكتبه يكون – عند إنتاجه – منفردًا عنه، الكاتب غالبًا معزول عمن يوجه إليه خطابه، إن جمهور الكاتب في الحقيقة جمهور متخيَّل، والقارئ أيضًا معزول عن الكاتب، وعليه أيضًا أن يتخيل الكاتب، وهكذا تبين لنا كيف تُحيل الشفاهية المعنى إلى السياق في معظم الأحوال في حين تركز الكتابة المعنى في اللغة نفسها.

وهذا الفرق الكبير يُلقي على الكاتب عبئًا ثقيلا من العناية بما يكتب ومعاودة النظر فيه على خلاف ما يحدث في حال الحدث المنطوق.

إن الكلمات المكتوبة تشحذ التحليل، إذ يُطلب من الكاتب مثلا – لكي يكون واضحًا دون إشارة أو تعبير بالوجه أو تنغيم أو غير ذلك من الخصائص المصاحبة للكلام، ودون الاعتداد بمستمع حقيقي – أن يستخدم الكلمات بحذر وفعالية، بعبارة أخرى أن تكون دقيقة وواضحة في ذاتها دون اعتماد على سياق خارجها، إن الكتابة – كما يقول بعضهم – عذاب.

إن الكاتب يفاضل بين كلمة وأخرى، ويختار ما يراه مناسبًا لما يريد، والكلمات حين تدون – لا تتلاشى كما في الكلمة حين تنطق ومن ثم يمكن محوها واستبدالها، وليس ذلك ممكنًا في المنطوق حيث لا سبيل لمحو كلمة منطوقة، وحتى إذا ما أمكن تصحيحها فإنها لا تُزيل دائمًا سوء التعبير أو الخطأ، ومن ثم فهي سلبية الأثر، وتجعل المتكلم غير مقنع، ومن ثم لا يلجأ إليها إلا عند الضرورة، على العكس من ذلك الكتابة، فإجراء التصحيحات فيها يتم في حرية وفي نطاق واسع، وأنى للقارئ أن يعرف أنها أجريت.

لغة الحديث مُطْنبة:

ومما يميز التعبير الشفاهي الإطناب، يشير (نيدا) إلى هذه السمة ويقول: يبدو الشكل المكتوب في أغلب الأحوال أقل إطنابًا من اللغة المنطوقة، فهو يتجه إلى أن يكون أكثر إيجازًا ودقة وأكثر اقتصادًا، وتتراكم فيه نسبة أقل من المفردات الفائضة التي تتطاير داخله وخارجه في الكلام العادي.

والإطناب قد يكون محمودًا في الحديث الشفاهي إلى الجماهير، فليس في إمكان كل فرد من الجمهور فهم كل كلمة يتفوه بها المتكلم.. ومن صالح المتكلم أن يقول الشيء نفسه أو ما يعادله مرتين أو مرات، أضف إلى ذلك ما قد يتوافر في إعادة جملة ما من قوة التأثير أو في التعبير عنها بما يرادفها من استعراض لبلاغة المتكلم وتفننه، والثقافة الشفاهية تشجع الذلاقة والمبالغة وطلاقة اللسان.

معجم لغة الحديث ولغة الكتابة:

لكل فرد من أفراد المجتمع ذخيرة لغوية من المفردات يحتفظ بها في ذاكرته،

ويستدعيها متى احتاج إليها، ولا شك في أن رسم الكلمة أو صورتها وترديده فيما نكتبه أو نقرؤه يساعد على تذكرها واستدعائها.

ومن الوسائل التي يُستعان بها على التذكر في الثقافات الشفوية أن نفكر داخل أنماط حافزة للتذكر صيغت بطريقة قابلة للتكرار الشفاهي في شكل إيقاعي متوازن أو في جمل متكررة أو متعارضة أو في كلمات متجانسة أو مسجوعة أو في عبارات وصفية أو عبارات مصكوكة أو منتمية إلى حقول أو مجالات موضوعية محددة (الطعام، الملابس، ... الخ) أو في أمثال واقوال جارية في الاستعمال.

وللإيقاع أهمية بالغة في التذكر؛ لأنه من الناحية الفسيولوجية يساعد عليه، والعبارات الجاهزة والأمثال تقوي الإيقاع كما تساعد على التذكر، ومن ثم تجري على ألسنة الناس وفي آذانهم من مثل (سبع صنايع والبخت ضايع) وغالبًا ما تكون هذه العبارات متوازنة إيقاعيًا.

وقد لاحظ (أونج) أن معجم اللغة المنطوقة محدود جدًّا بالقياس إلى اللغة المكتوبة، فالإنجليزية المعيارية مثلا تربو مفرداتها المسجلة على مليون ونصف مليون كلمة على الأقل في متناول المستعملين، وعدد كبير منها له معان قديمة، في حين لا يكون لأي لهجة شفاهية ما يزيد على عدة آلاف فضلا، عن أنه ليس لمستعملها معرفة حقة بالتاريخ الدلالي لها، فالمنطوقات ليست إلا أصوات نستطيع أن نستعيدها فحسب، وليس ثمة مرجع نستشيره بخصوصها.

وبين العربية المنطوقة والمكتوبة اليوم قدر مشترك من المفردات، ولكن قد تختص إحداهما بألفاظ ترادفها ألفاظ أخرى في الثانية، بعبارة أدق قد يغلب استخدام لفظ ما في الكتابة، ويغلب استخدام مرادف له في الحديث والعكس صحيح، وهذا مثال لذلك.

لغة الكتابة		لغة الحديث	
جواد	(شعرية)	حصان	(عامة)
منزل	(شعرية)	بيت	(عامة)
فؤاد	(شعرية)	قلب	(عامة)
		ألب	(عامة)
خبز		عيش	(عامة)
حذاء		جزمة	(عامة)
إبل		جمال	(عامة)
يقذف		يرمي	(عامة)
سائل	(قرآنية)	يحدف	(عامية)
شحاذ		شحات	(عامية)

عناصر الجملة بين لغة الحديث والكتابة:

ومن الفروق الملحوظة بين لغة الحديث، ولغة الكتابة أن لغة الحديث تتألف من جمل أو أجزاء جمل يتوالى بعضها إثر بعض وفقًا لانفعالات المتكلم، ودون روابط تربط بعضها ببعض على نحو ما هو معروف في لغة الكتابة، بل إن مفهوم الجملة بالمعنى النحوي لا يتحقق في لغة الحديث دائمًا، فقد يقتصر المتكلم على بعض الكلمات ويستغني عن كلمات أخرى، فليس ضروريًا أن تستوفي الجملة كل عناصرها الضرورية، والمتكلم يعتمد على العناصر الصوتية كالتنغيم والنبر وطريقة الأداء على استكمال هذه العناصر، ويعتمد أحيانًا على الإشارة التي تصحب الكلام.

وربما يتوقف فهم السامع لما يقول على عناصر أخرى موجودة في الموقف الذي يدور فيه الحديث، مثل مكان الحديث وهوية المشتركين فيه وموضوع الحديث.

ويشير باحثون آخرون إلى فقدان الروابط التركيبية التي تؤلف الجمل الكبرى، والاعتماد في الربط على واو العطف فحسب، ويشيرون أيضًا إلى شيوع العبارات المصكوكة واللوازم الخاصة بالمتكلم.

وهذا نص مسجل لأحد سكان القاهرة يعكس بعض صفات اللغة المنطوقة، أو لهجة القاهرة على سبيل التحديد جرى في لقاء معه بحضور باحثة أمريكية تدرس الخصائص اللغوية الاجتماعية للهجة القاهرة، والنص إجابة عن سؤال عن أسلوبه في تربية أولاده، جرى اللقاء في شتاء عام ١٩٨١م بمنزله.

"وبالطريأة دي يعني، الحمد لله عندنا في مصر يعني، المحبة موجودة والأخلاء وحب الناس لبعضها يحبو يكونوا أريبين من بعض يحبو يتعاونوا يعني واحد مريض يحب يزوره، يعني يكونوا كويسين، يعني طبعا التعليم في بلادنا زاد وده بيخلي طبعا الأولاد يطلعوا متنورين ومتعلمين أكتر، وبيتهيأ لي أن التلميذ أحسن من الجاهل وده بيكون يعني كويس وبياخد طريأه في الحياة وبيتهيأ لي كمان يعني مع علمه ده بيحترم والديه وبيحترم الدولة اللي هو عايش فيها يعني وطنه".

المحادثة:

المحادثة أو الحوار من الموضوعات التي يشترك في دراستها علم اللغة وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الأنثروبولوجيا، بل وعلم السياسة.

وقد كان علم النفس السلوكي ينظر إلى الحوار أو المحادثة على أنها جمع بين مثير واستجابة، بيد أن علم الاجتماع تجاوز هذه النظرة الضيقة وعُني بالبحث في الطرق التي يبنى بها الحوار، وكيف يتبادل المشاركون فيه الأدوار، وكيف تكون أفعالهم واستجاباتهم.

وقد أصبح موضوع الطرق التي تجري بها المحادثة جزءًا هامًا من علم اللغة الاجتماعي وبخاصة حين تأخذ شكليًا نمطيًا، لقد اهتم العلماء اهتمامًا بالغًا بالطرق التي يستخدم فيها الكلام لإنشاء العلاقات أو تنميتها، ولإنجاز المصالح والأهداف، ونظروا في القواعد التي تنظم المحادثة وتفسر وقائعها، وفي الطرق

التي تختلف بها من ثقافة إلى ثقافة، وهذا الموضوع الأخير خصه الأنثروبولوجيون بفرع من فروتع الأنثروبولوجيا هو الإثنوجرافيا.

الحديث أو الكلام مهارة:

الحديث أو الكلام نشاط يتطلب جهدًا، فالتاجر الذي يعقد صفقة، والمشتري الذي يساومه، والمحامي الذي يترافع عن موكله، والمدير الذي يوجه مرءوسيه، وغير هؤلاء ممن يستخدمون الكلام في تحقيق أغراضهم يبذلون جهدًا، بل إننا – في كثير من المواقف بعيدًا عن العمل الذي نعمله أو الهواية التي نمارسها – نبذل جهدًا حين نشكر شخصًا على عمل أو نعتذر عن عمل، حين نستقبل شخصًا أو نودعه، حين نجلس لنتسامر أو لنتنافس بل حين نتشاجر، إلى غير ذلك من المواقف التي نستخدم الكلام فيها، كل هؤلاء وهؤلاء ينشدون النجاح فيما يهدفون إليه، ودرجة النجاح تتوقف على مقدار الجهد المبذول، وعلى مهارة المتكلم، والمهارة تتطلب معرفة بأفضل الطرق وأنسبها لتحقيق الهدف، كما تتطلب درجة من الدرية والمران، (وعلى عناصر أخرى كدرجة الذكاء الفردي).

ولا شك في أن الكلام قد يكون أكثر نجاحًا في موقف منه في موقف آخر، ويتفاوت الناس غالبًا في إتقانه، ويصدق على التفاعل الاجتماعي ما يصدق على الكلام، ومن ثم فمن المفيد أن ننظر إلى سلوك المشاركين في الاتصال على أنه أداء منظم ومهارة مثل المهارات الأخرى: قيادة السيارات والعزف والرقص... الخ.

ومع ذلك ينبغي أن نضع في الاعتبار أمرين:

١- أن النجاح في الكلام يتباين حسب الوظيفة التي يؤديها، وحسب الجوانب الأخرى للموقف، فبعض الناس مثلا يتميزون بالمهارة في (المناظرات الفكرية) على حين لا يمهرون في المواقف التي تتطلب (التواصل الودي) والعكس أيضًا صحيح.

٢- من الصعب تقدير درجة النجاح إلا بالقياس إلى قدرة المتكلم على

تحقيق نواياه، وللمتكلمين نوايا متباينة في أية لحظة من لحظات الكلام.

وتدور النوايا في مجالين: النوايا الدائمة مثل الرغبة في المحافظة على حسن العلاقة بالمخاطب، والمؤقتة مثل الرغبة في إسعاده أو تخويفه...الخ.

وتتضمن المهارات المطلوبة للحديث الناجح كل المهارات الخاصة بالتفاعل الاجتماعي، بالإضافة إلى المهارات اللغوية الخاصة باستخدام مفردات اللغة وعباراتها.

وتتباين هذه المهارات بين المهارات الخاصة: متى ينبغي استخدام الألقاب والكُنى مثل سيدي، أبو أحمد.. الخ، عند المخاطبة وفي بعض المواقف الخاصة، كيف يعقد صفقة تجارية من خلال الهاتف عبر الأطلسي بتكلفة باهظة، والمهارات اللغوية: العادية مثل اختيار الاسم المناسب لمسمًى محدد.

وربما يكون وراء نجاح بعض الناس في الاتصال في مواقف محددة أنهم اكتسبوا هذه المهارة من المواقف الفعلية التي مروا بها، ولعل هذا مما يؤكد أن الكلام عمل اجتماعي؛ لأننا في الحقيقة نتعلم قواعد استخدام الكلام ومهاراته من الآخرين بنفس الطريقة التي نتعلم بها الكلام نفسه.

فنحن نتعلم مثلا كيف نحصل على تذكرة للدخول إلى المسرح مثلا من مشاهدة الآخرين (أو سماعهم) حين يفعلون ذلك، وكذلك نفعل حين نخطب فتاة مثلا، فعلينا أن نستخدم ما درج عليه الناس في هذا الموقف من أفعال وأقوال.

سيكلوجية المحادثة (الحوار):

الحوار أو المحادثة من أهم أشكال التفاعل الاجتماعي ويحرص المشاركون فيه على أن يكون صورة طيبة لأشخاصهم، وأن يحقق أغراضهم، ومن ثم فإن علماء علم النفس الاجتماعي تقرر عندهم أن المحاور أو المتكلم غالبًا ما يُجري حوارًا داخليًا مع ذاته محاولا من خلاله تخيل الأسئلة التي يتوقع أن يطرحها المشاركون في الحوار، كما يحاول أن ينتقي الأجوبة التي يراها أكثر ملاءمة وإقناعًا.

ويحرص هؤلاء العلماء على دراسة العوامل التي تجعل الحوار نافعًا لأطرافه محققًا لأهدافه، ومن الشروط التي يرونها مشجعة عليه، المعرفة أي معرفة

المحاور بموضوع الحوار وقوانينه ووسائله، والإرادة أي الرغبة في الحوار، ويستتبعها الرغبة في الإصغاء، والقدرة: أي امتلاك المستوى اللازم للاشتراك فيه ومتابعته، وإليك تفصيل هذه الشروط:

أ- المعرفة، وتتضمن:

١- معرفة قوانين الحوار، الحوار وسيلة شفهية لتبادل المعلومات والمشاعر، ومن قوانينه معرفة لغته، وهي لا تقف عند اللغة المنطوقة بل تتجاوزها إلى وسائل التعبير اللفظي وغير اللفظي، بل إن علماء النفس ينبهون إلى أهمية الوسائل غير اللفظية التي يرونها أقدر على التعبير عن المشاعر والاتجاهات.

٢- معرفة أكبر عدد من وسائل الاتصال، ومن ذلك معرفة لهجات أو لغات المشاركين في الحوار، ومعرفة العوامل المؤثرة في الاتصال بهم، ومعرفة وسيلة الاتصال الخاصة بكل شخص، والقدرة على تقديرها وبخاصة ردود الأفعال الظاهرة على الوجه.. الخ.

٣- المعرفة الواسعة، وليس المقصود بها ما يحصله الفرد في مؤسسات التعليم فحسب، بل ما يحصله من خلال الانفتاح على الكون وعلى الناس.

ب- الإرادة:

ينبغي على من يرغب في الحديث أن يشارك فيه بفعالية، وتخضع الإرادة لعدد من الظروف الذاتية والموضوعية، ولكن من حيث المبدأ ينبغي توافر الحافز إليه، فقد يكون الحوار قائمًا بالفعل ولا نرغب في الاشتراك فيه، أو لا نبدي حماسًا له، وعلى أية حال فلا بد من توافر عنصرين في الحوار الفعال: إرادة الاتصال (قبول الآخر) وإرادة الاستقبال (الإصغاء إلى الآخر) فالمتكلم يتحفظ في حديثه أو يتوقف عنه إذا ما أحس بأن المشاركين في الحوار لا يُصغون إليه.

جـ- القدرة:

تتجلى قدرة المحاور على نجاح الحوار أو إخفاقه، فيما يلي:

١- الموقف الودي من بقية المحاورين، إن قدرة المحاور على التودد إلى المشاركين في الحوار تحدد مدى نجاحه أو إخفاقه في تحقيق هدفه منه، ولا بد أن يكون المتحدث صادقًا في تودده، وإلا فقد تأثيره على الآخرين، وقد يُفهم على غير وجهه، إن التودد يتطلب حِسًّا مرهفًا في التعبير وتقديرًا دقيقًا لتأثيره.

٢- الموقف المتجرد: ونعني به قدرة المحاور على النظر إلى الأمور بموضوعية، حتى ينال ثقة الآخرين، ولكي يحافظ المحاور على صدق تجرده ودعم ثقة الآخرين به يحسن أن يتحكم في ردود أفعاله، بعبارة أخرى عليه أن يظهر بمظهر الذي يشجع الآخرين على الاستمرار في الحوار.

٣- الموقف المؤثر: قد يرغب المحاور في أن يتجاوز موقف التودد أو التجرد إلى موقف المؤثر فيه فيمتلك ناصية الحديث، وهذا الموقف يتطلب مهارة فائقة في عرض رأيه وفي اجتذاب السامعين إليه.

دينامية المحادثة (الحوار):

يمر الحوار بمراحل متعددة قبل أن يصل إلى غايته، فثمة مراحل: العرض، والتقييم، والرفض والقبول، والتفهم، والتكيف... الخ، كما أنه لا يجري على وتيرة واحدة ولا على مستوى واحد، ونتبين هذه الدينامية حين نرمز لها بمجموعة من الدوائر موحدة المركز، بحيث تكون الدائرة الأولى وهي الصغرى رمزًا لحديث الشخص عن نفسه، وكلما ابتعدت الدائرة عن المركز أي كبرت كانت رمزًا لجماعية التفاعل وبعد المتحدث عن مشاعره الخاصة.

ملخص الوحدة الثانية

أولا- وظائف اللغة:

- الوظيفة التقليدية: التعبير والتوصيل والتأثير.
- الوظيفة الاجتماعية للغة:

١- إنشاء علاقة إنسانية.

٢- تحقيق المصالح.

٣- الحفاظ على التراث الإنساني بالكتابة.

ثانيًا- اللغة في المجتمع:

اللغة سلوك جمعي يظهر في:

١- تذكر التجارب الماضية.

٢- الشعور بالبيئة الحاضرة.

٣- توقع الأحداث المستقبلية والتخطيط لها.

٤- التوجه العملي بتحقيق المطالب.

ثالثًا- اللغة والعِرق:

مفهوما العرق، والتوزيع العرقي للشعوب.

التطورات الحديثة في علوم الوراثة.

تصنيف اللغات وفقًا للخصائص العرقية.

لا وجود لما يسمى لغات بدائية.

الأدلة على نفي العلاقة بين اللغة والعرق.

إنجليزية السود: خصائصها، وظروف نشأتها.

رابعًا- اللغة والقومية:

مفهوم القومية والأمة والدولة.

مقومات القومية: العرق، التاريخ المشترك، اللغة.

الأقليات العرقية واللغوية.

مشكلات تعدد القوميات واللغات في العالم العربي.

خامسًا- اللغة والسياسة:

السياسة: ممارسة القوة من خلال الحكم لخير المجتمع.

اللغة السياسية وخصائصها.

عناصر الخطاب السياسي: المضمون، والمرسل، والمستقبل، ووسيلة التوصيل.

وظائف اللغة السياسية:

١- نشر المعلومات.

٢- ترتيب الأولويات.

٣- التفسير والربط.

٤- تصور الماضي والمستقبل.

٥- الحث على العمل.

الرموز السياسية ودورها في طمأنة المواطنين.

السلطة بين السياسة واللغة.

الصور الشعرية المنغومة للغة السياسة

أمثلة للغة السياسة من تاريخ العرب.

سادسًا- لغة الحديث ولغة الكتابة.

أهمية الكتابة للتفكير العلمي.

أهمية الكتابة في ظهور اللغة المعيارية وتقنين قواعدها.

عيوب الكتابة:

خصائص لغة الحديث ولغة الكتابة:

١- من حيث الشكل.

٢- من حيث الوظيفة.

٣- من حيث الخصائص اللغوية.

العناصر الصوتية والإشارية المصاحبة للحديث.

معجم لغة الحديث

المحادثة أو الحوار: مهارة.

أسئلة على الوحدة الثانية

أمثلة محلولة:

أجب بلا أو نعم.

١- تحيات الصباح والمساء، وألفاظ التجمل والتلطف لها وظيفة اجتماعية. ( )

الإجابة (نعم).

٢- لغة الشعارات السياسية تعبر عن مضمونها بصدق دائمًا. ( )

الإجابة: (لا)

٣- اللغة عند الأطفال قد تكون مجرد وسيلة للتسلية. ( )

الإجابة (نعم).

٤- اللغة العربية الفصحى هي اللغة الرسمية (لغة الدولة) في مصر. ( )

أجب بـ: لا أو نعم.

الإجابة: (نعم).

٥- الإنسان العادي ينتج من المكتوب أكثر مما ينتج من المنطوق. ( )

أجب بـ: لا أو نعم.

الإجابة (لا).

أمثلة يجيب عنها الطالب:

١- معدل التغير في اللغة المكتوبة أسرع من معدله في اللغة المنطوقة. ( )

أجب بـ: لا أو نعم.

٢- الثنائية Diglosia ظاهرة معروفة في أغلب لغات العالم. ( )

أجب بـ : لا أو نعم.

٣- ليس من الضروري أن تكتمل عناصر الجملة في لغة الحديث. ( )

أجب بـ: لا أو نعم.

٤- يغلب أن يكون المنطوق أكثر إطنابًا من المكتوب. ( )

أجب بـ: لا أو نعم.

٥- بين لغات العالم لغات بدائية. ( )

أجب بـ: لا أو نعم.

٦- اللغات الآرية ذات مزايا لغوية وفكرية. ( )

أجب بـ: لا أو نعم.

٧- اختلطت الشعوب بالهجرات والحروب مما ساعد على اختفاء الفروق بين الأجناس. ( )

أجب بـ: لا أو نعم.

٨- اللغة العربية من أهم مقومات القومية العربية. ( )

أجب بـ: لا أو نعم.

٩- اللغة تؤدي إلى وحدة ثقافية بين أفراد المجتمع. ( )

أجب بـ: لا أو نعم.

١٠- الفروق بين إنجليزية السود والبيض في الولايات المتحدة نتيجة اختلافات في العِرق. ( )

أجب بـ: لا أو نعم.

١١- (الأمازيغية في الجزائر لغة أم لهجة)

أجب.

١٢- ثمة علاقة ضرورية بين العرق واللغة. (   )

ضع العلامة (√) أو (X) بين القوسين وبين السبب.

١٣- لماذا كثرت الألفاظ الدالة على الإبل في اللغة العربية؟

أجب.

١٤- (القومية شعار يرفعه القادة والزعماء للسيطرة على شعوبهم).

ضع العلامة (√) أو (X) بين القوسين. (   )

١٥- (قد يؤدي الاعتراف بلغة الأقلية لغة رسمية إلى انفصال الأقلية عن الدولة).

ضع العلامة (√) أو (X) بين القوسين. (   )

١٦- بين الهدف من استخدام الشعارات السياسية الآتية:

- الرئيس العراقي صدام قال عن حربه مع إيران إنها (قادسية صدام).

- الرئيس ياسر عرفات قال عن محاولاته للتسوية مع إسرائيل إنها (سلام صلاح الدين).

- الرئيس السادات قال عن الانتفاضة الشعبية على ارتفاع أسعار المواد الغذائية ١٩٧٧م إنها (انتفاضة حرامية).

- أطلق العرب على هزيمة ١٩٦٧م إنها (نكسة) وعلى هزيمة الجيوش العربية ١٩٤٨م بأنها (نكبة).

١٧- ما الألفاظ التي يطلقها الإعلام الأمريكي والإسرائيلي عن المجاهدين الفلسطينيين؟

١٨- وما الألفاظ التي يطلقها الإعلام الأمريكي والإسرائيلي عما تقوم به إسرائيل من سفك دماء الفلسطينيين وتدمير منازلهم واغتيال قوادهم؟

١٩- هات ثلاثة شعارات سياسية تتوافر فيها العناصر الجمالية.

٢٠- ضع العلامة (√) أو (X) فيما بين القوسين مما ياتي:

- (اللغة العربية لغة علمية). ( )
- (الكتابة ضرورية للدراسة العلمية. ( )
- (الكتابة تنشط الذاكرة والكلام يضعفها). ( )
- (لغة الكتابة غير متجانسة). ( )
- (لغة الحديث انفعالية غالبًا). ( )
- (الأساليب الإنشائية تعبر عن طاقة انفعالية كبيرة) ( )
- (التنغيم لا أهمية له في بيان المعنى). ( )
- (معجـم اللغــة المنطوقــة محــدود جــدًّا بالقيــاس إلــى معجــم اللغــة المكتوبة. ( )
- (المحادثة نشاط لغوي عشوائي غير منضبط). ( )
- المحادثة من وسائل التفاعل الاجتماعي). ( )

الوحدة الثالثة

التنوع اللغوى

الأهداف:

- تهدف هذه الوحدة إلى بيان التنوعات اللغوية الناتجة عن اختلاف الجماعات اللغوية، من حيث اختلاف المناطق المحلية والطبقات الاجتماعية.
- وتهدف كذلك إلى بيان التنوعات الناتجة عن موضوع الاتصال اللغوية، والغرض منه، وتنوع أشكاله (الأساليب).
- وتهدف كذلك إلى بيان الفكر اللغوي العربي وإسهاماته الثرية في هذا الموضوع (البلاغة والنقد).

العناصر:

- الجماعة اللغوية ومعايير تعريفها.
- الفصحى واللهجات المحلية.
  - خصائص اللغة المعيارية.
  - مراحل تكوين اللغة المعيارية.
- اللهجات المحلية.
  - لهجة الفرد.
  - الثنائية.
- اللهجات الاجتماعية.
  - الطبقية في المجتمع المصري.

- التنوع اللغوي في الأساليب.
- مفهوم الأسلوب.
- أبعاد التنوع الأسلوبي.
- أنواع الأساليب.
- المقام عند علماء اللغة.

التنوع اللغوى

الجماعة اللغوية:

إن أفراد المجتمع الذين يزعمون أنهم يتكلمون لغة معينة، قد توجد بينهم اختلافات لغوية (لهجية) وفقًا لعوامل محلية (المنطقة الجغرافية) أو اجتماعية (الطبقة) أو عوامل تتصل باستخدام اللغة (الأسلوب).

معايير تعريف الجماعة اللغوية:

١- المعيار اللغوي:

من أبسط التعريفات التي اعتمدت هذا المعيار تعريف (جون ليونز) يقول: الجماعة اللغوية هي: كل الناس الذين يستخدمون لغة أو لهجة معينة.

فالفرد يعد عضوًا في جماعة محددة إذا كان يستخدم لغتها أو لهجتها، أي يعرف- بطريقة ضمنية- معجمها وقواعد أبنيتها الصرفية والنحوية.

وربما كان التعريف وافيًا لو كان قد بين لنا ما يقصده باللغة أو باللهجة المعنية.

ولا يسلم اللغويون بوجود لغة أو لهجة لا تنتسب إلى جماعة ما، ومن ثم نقع في دائرة مغلقة، نعرف الجماعة باللغة، ونعرف اللغة بالجماعة، وقد سبق أن عرفنا اللغة بأنها: نظام من الرموز الصوتية المنطوقة تستخدمه جماعة معينة من الناس بهدف الاتصال وتحقيق التعاون فيما بينهم.

وهذا التعريف- لأنه لا يضع الوحدة الثقافية والاجتماعية في اعتباره -

يتغاضى عن الجماعات اللغوية وتشابكها، إذ نجد في كثير من البلدان أفرادا ثنائي اللغة أو متعدديها، ففي مصر يتكلم كثير من النوبيين اللغة العربية والنوبية، وفي الجزائر والمغرب يتكلم كثير من البربر اللغة العربية والبربرية.

٢- الوحدة السياسية:

يتألف عالم اليوم من وحدات سياسية أو دول، كل وحدة منها تستخدم – بشكل عام – لغة رسمية واحدة، وتنص كثير من دساتير هذه الدول على هذه اللغة، وثمة اتجاه عام يفترض أن كل أفراد هذه الدولة يستخدمون هذه اللغة، وأنهم – لهذا السبب – جماعة لغوية تستخدم لغة واحدة متجانسة، هذه اللغة الرسمية (والتي تعرف باللغة المعيارية) تحظى بمكانة متميزة على غيرها من النوعيات المعروفة، وهي في الغالب تؤدي وظائف متصلة بالدولة ومؤسساتها المتعددة وبخاصة المؤسسات التعليمية، وهي ذات قواعد وتقاليد ثابتة نسبيًا تجعلها معيارًا لصحة الكلام... الخ، انظر (اللغة القومية) و (اللغة المعيارية).

بيد أن هذا المعيار يثير عددًا من المشكلات المعقدة.

فاللغة الإنجليزية مثلا تستخدمها دول كثيرة لغة رسمية لها، فهي اللغة الرسمية في الولايات المتحدة الأمريكية وفي أستراليا وفي نيوزيلندا.

ولا يعترف كثير من الأمريكيين – مثلا – بأنهم من نفس الجماعة التي تستخدم الإنجليزية في أستراليا وفي نيوزيلندا بل في إنجلترا، ويعتقدون أنهم جماعة لغوية مستقلة.

وهناك مشكلة أخرى أكثر تعقيدًا، ففي حدود الدولة الواحدة قد نجد لغتين أو أكثر، ففي فرنسا مثلا نجد الفرنسية والبريتونية ولغة الباسك، فهل نعد الذين يتكلمون البريتونية متحدثين بالفرنسية؟ إن هؤلاء الفرنسيين ليسوا أقل حرصًا على لغتهم من الفرنسيين الذين يتكلمون الفرنسية، بل إنهم يطالبون اليوم بالاعتراف بلغتهم لغة رسمية، وفي إنجلترا مشكلة كهذه، فعدد كبير من سكان (اسكتلندا) يتكلم اللغة المعروفة بـ (Galic) وسكان (ويلز) يتكلمون لغة منحدرة ممن اللغة الكلتية.

وفي مصر مثلا يتحدث بعض مواطنيها اللغة النوبية، وهي إحدى لغات المجموعة السودانية، وفي الجزائر والمغرب يتحدث بعض سكانهما باللغة البربرية (الأمازيغية) وهي إحدى اللغات السامية الحامية، وبعض هؤلاء ينادون بالاعتراف بلغتهم البربرية لغة رسمية.

فإذا ما استخدمنا المعيار السابق انتهينا إلى أن اللغة الفرنسية في فرنسا، هي وحدها التي تستحق أن تكون لغة، وأن الإنجليزية هي التي تستحق أن تكون لغة، وأن العربية في المغرب والجزائر هي وحدها التي تستحق أن تكون لغة، وهذا لا يرتضيه كثير من موطني هذه البلاد.

٣- الفهم المتبادل:

يعرف القائلون بهذا المعيار الجماعة اللغوية بأنها: جماعة من الناس يفهم بعضهم بعضًا عندما يتحدثون، فنحن نتكلم لغة واحدة إذا فهم بعضنا بعضًا، ونحن نستخدم لغتين إذا لم يفهم بعضنا بعضًا، فالعرب مثلا يستخدمون لغة واحدة؛ لأنهم يتفاهمون بها حين يتحدثون. ولكن العربي (الذي لا يعرف الإنجليزية) والإنجليزي (الذي لا يعرف العربية) إذا تحدثا بلغتيهما فلن يفهم أحدهما الآخر، ومن ثم فهما يتحدثان بلغتين مختلفتين.

غير أن هذا المعيار غير دقيق، وواقع اللغات أكثر تعقيدًا مما يصوره، فلدينا أمثلة عديدة لأقاليم أو مقاطعات يستطيع سكانها التفاهم مع جيرانهم المباشرين الذين يقيمون في الطرف الآخر من الحدود السياسية لوطنهم دون صعوبة تذكر.

وهذا هو الحال في مناطق الحدود بين فرنسا وإيطاليا مثلا، فالسكان في تلك المناطق على جانبي الحدود يتفاهمون دون صعوبة تذكرن على حين يجدون صعوبة في التفاهم مع مواطنيهم في المناطق البعيدة فكان (تورينو) مثلا وهي (مقاطعة إيطالية) يتفاهمون بنجاح مع جيرانهم الفرنسيين في الجانب الآخر من الحدود أكثر مما يتفاهمون مع مواطنيهم في (تارنتو) في جنوب إيطاليا، ولو

استخدمنا المعيار السابق لقلنا إن سكان (تورينو) يتكلمون الفرنسية، وهم لا يقرون بذلك، واللغويون الإيطاليون يعدون لهجة (تورينو) إحدى اللهجات الإيطالية.

ولدينا مثال آخر في الاتجاه المقابل، إذا درسنا الموقف بين السويد والنرويج، فسوف نجد بين اللغتين السويدية والنرويجية تشابهًا كبيرًا، ونلاحظ أيضًا أن السويديين والنرويجيين يفهم بعضهم بعضًا، ولكنهم – مع ذلك – يزعمون أنهم يتكلمون لغتين مختلفتين.

إن الفهم المتبادل مسألة نسبية، وقد اقترح له بعض اللغويين مقياسًا متدرجًا من الفهم التام إلى عدم الفهم، continuum of mutual intelligibility والمشكلة هي عند أي نقطة على المقياس نضع خطًا فاصلا بين نوعيتين من لغة واحدة، أو بين لغتين.

والحق، ليس لدينا إجابة قاطعة لذلك، فالتفاهم يتحقق بدرجات متفاوتة بين النوعيات المتجاورة على المقياس، على حين لا يتحقق بين الأطراف أي بين النوعيات التي تقبع في بدايته والتي تقبع في نهايته.

وينطبق هذا المعيار على اللغات التي بينها علاقات تاريخية، فيمكن استخدامه بين مجموعة اللغات الإسكندنافية، وبين مجموعة اللغات اللاتينية.

ولا شك في وجود علاقة بين التشابه اللغوي بين النوعيات والفهم المتبادل، ولكنها علاقة – كما يقرر (كوردر) بسيطة وغير واضحة.

إن الفهم المتبادل يعتمد – جزئيًا على الأقل – على الاتجاه التي نتخذه بإزاء طريقتنا في الكلام وطريقة الآخرين المرتبطين بنا ارتباطًا وثيقًا، وبالمواقف التي نتخذها من الجماعة التي ينتمون إليها: أي علاقاتهم بنا سياسية أو اجتماعية، ونظرتهم إلى ثقافتنا ونظرتنا إلى ثقافتهم".

ومن خصائص المتلقي الهامة مقدار خبراته السابقة بالنوعية المستخدمة في الاتصال، فكلما زادت خبرته بها زاد احتمال فهمه لها.

ولننظر مثلا إلى صاحب فندق على الحدود بين إيطاليا وفرنسا يستقبل كل يوم نزلاء من الإيطاليين والفرنسيين، لا شك في توافر دافع للاتصال وخبرة بالنوعية المستخدمة في هذه المنطقة، ومن ثم فإن قدرته على التفاهم مع نزلائه تكون أكثر من أي شخص آخر لا تتوفر له نفس الظروف.

٤- الانتماء إلى جماعة معينة:

ينقلنا هذا المعيار من التركيز على التشابه اللغوي والفهم المتبادل إلى التركيز على اتجاهات المتكلمين بنوعية معينة، وإدراكهم للمعايير التي يتقاسمونها.

تُعرف الجماعة وفقًا لهذا المعيار بأنها: جماعة من الناس يعدون أنفسهم متحدثين بلغة واحدة، فالعربي يتكلم العربية؛ لأنه يعد نفسه فردًا من جماعة المتكلمين بها، والإنجليزي يتكلم الإنجليزية؛ لأنه يعد نفسه فردًا من جماعة المتكلمين بها... الخ.

ويؤكد أصحاب هذا التعريف على أن الجماعة تحدد هويتها من ذاتها لا من خارجها، فهي جماعة لأنها تشعر بأنها جماعة، وليست جماعة لأن لغويًا أو سياسيًا أو أي شخص آخر يعدها كذلك، كما في التعريفات السابقة، وهكذا يبدو التعريف منطلقًا من أن اللغة موضوع نفسي واجتماعي لا لغوي فحسب.

وكل فرد من أفراد الجماعة يُقيم في نفسه نموذجًا ذهنيًا للجماعة التي ينتمي إليها، ويضع نفسه في حيز متعدد الأبعاد Multi-dimension space نتبين منه أوجه الشبه والخلاف بينه وبين الأفراد الآخرين من نفس الجماعة، وهذه الأبعاد قد تكون لغوية أو غير لغوية.

وسلوك الفرد اللغوي يماثل سلوك الآخرين المنتمين إلى نفس الجماعة، ويتوقف الشعور بالانتماء على قدرته على تحديد الجماعة وعلى ملاحظة أنظمتها السلوكية، وعلى أن تتوافر لديه دوافع؛ لأن ينضم إليها، ويطوع سلوكه وفقًا لأنظمتها، وأن يستمر على ذلك ما دام راغبًا في هذا الانتماء.

والجماعة اللغوية بهذا التعريف يتقاسم أفرادها - كما هو واضح من الفقرات

السابقة – معايير مشتركة، وهذا لا يعني أنهم متماثلون في سلوكهم اللغوي الفعلي، ولكن يعني أنهم متفقون ضمنيًا – بشكل عام – على ما هو موافق لهم أو مخالف لهم، ومن ثم فهم متفاوتون في تحقيقه، وتتركز تلك المعايير في نوعين:

معايير ثقافية (صورة مثالية مجردة) لما ينبغي أن يكون عليه سلوكهم الاجتماعي، والغالب أن يكون لهم ثقافة واحدة تتمثل في تقاليد ومعتقدات وأعراف مشتركة، ولهم أيضًا تاريخ مشترك، بل وأدب مشترك، إن سلوكهم يميل إلى أن يتماثل حتى يقترب من المعيار المشترك.

معايير لغوية (صور مثالية مجردة) لما ينبغي أن يكون عليه سلوكهم اللغوي، فحين يتحدث أفراد الجماعة بعضهم إلى بعض يكادون يتحدثون بطرق متماثلة؛ لأنهم متفقون ضمنيًا على استخدام خواص لغوية مشتركة (صوتية أو شكلية) وهذا يكون أوضح حين يكتبون أو يتكلمون بعناية في مواقف محددة، إن لغتهم سوف تميل إلى أن تتماثل وتقترب من المعيار الذي في أذهانهم.

تعدد الجماعات:

يستطيع الفرد – على نحو ما بينا قبلا – أن يحدد موقعه في حيز متعدد الأبعاد، وتتحدد هذه الأبعاد بالجماعات التي يستطيع الفرد أن يتعرف عليها في مجتمعه، ومن ثم قد تترابك هذه الجماعات وتتشابك لا محالة، قد يتعرف على جماعات بعينها على أساس العرق أو السن أو المهنة أو الطبقة الاجتماعية أو الدين أو الحزب السياسي، أو غير ذلك من الأبعاد، وتسهم هذه التقسيمات في تكوين الوحدات اللغوية التي يختارها لغة خاصة به.

يقول (بولينجر): ليس ثمة حدود للوسائل التي يستطيع بها الناس أن يتجمعوا في جماعات.. ومن ثم فليس هناك حدود لعدد ونوعية الجماعات اللغوية القائمة في مجتمع بعينه.

إن الفرد – وفقًا لهذه النظرة – قد يكون عضوًا في غير جماعة اجتماعية، ومن ثم يكون عضوًا في غير جماعة لغوية، فالفرد (س) مثلا يقيم في القرية (ص)

ومن ثم ينتمي إليها اجتماعيًا ولغويًا، ومع ذلك قد يكون عضوًا في نقابة المحامين، وعضوًا في حزب سياسي معين، وعضوًا في ناد رياضي... الخ، وبمقتضى انتمائه إلى هذه الجماعات يلتزم بسلوكها الاجتماعي واللغوي.

وبعد فإن تعريف الجماعة الذي عرضناه في الفقرات السابقة يتميز على ما سبقه من تعريفاته بأنه يحدد الجماعة، وفقًا لمعايير ثقافية ولغوية على سواء، وهو منحى يفترضه علم اللغة الاجتماعي، ويعده من أعمدته الأساسية، كما أنه ينظر إلى الفرد على أنه مركز الاهتمام الأساسي في الدراسات اللغوية والاجتماعية؛ لأنه الخلية التي منها تتكون أي جماعة صغرت أم كبرت، كما أنه يكشف عما في الواقع اللغوي من تعقيد، فالفرد قد ينتمي إلى غير جماعة اجتماعية واحدة، ومن ثم إلى غير جماعة لغوية واحدة، ويتوقف انتماؤه إلى جماعة أو أكثر على تعرفه على حدودها وملاحظته لأنظمتها وتمسكه بها ... الخ.

وبمعيار الانتماء تحل المشكلات التي أثارتها المعايير السابقة فالبريتونية والنوبية والبربرية لغات ما دام المتحدثون بها يعدونها كذلك، ولا يعنينا بهذا الخصوص موقف غير المنتمين إلى هذه الجماعات من اللغويين أو السياسيين، والعراقية والمغربية والمصرية ليست لغات؛ لأن العراقيين والمغاربة والمصريين.. يعدون أنفسهم متحدثين باللغة العربية، ولا مانع – وفقًا لهذا المعيار – أن تتعدد الجماعات التي ينتمي إليها الفرد، وفقًا للأبعاد المعروفة جغرافية أو اجتماعية.

وبهذا المعيار نجد حلا للخلاف الطويل بين اللغويين في الفرق بين اللغة واللهجة، فكلاهما – وفقًا للتعريف – حقيقة نفسية واجتماعية.

التنوع اللغوي: (الفصحى واللهجات المحلية)

اللغة المعيارية (الفصحى) Standard Language:

خصائص اللغة المعيارية:

في كل جماعة لغوية عدد من النوعيات تنسب أحيانًا إلى المحل الذي تقيم

فيه الجماعة، ويسميها اللغويون لهجة محلية، وتنسب أحيانًا إلى الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد، ويسميها اللغويون لهجة اجتماعية، وتنسب أحيانًا إلى اعتبارات أخرى سنتحدث عنها فيما بعد بالتفصيل.

ومن بين هذه النوعيات النوعية التي يسميها اللغويون (اللغة المعيارية) وهي نوعية لغوية تحظى بمكانة متميزة في المجتمع على غيرها من النوعيات، وتتخذها الجماعة مقياسًا لصحة الكلام.

ولهذا الموضوع مكان بارز بين موضوعات علم اللغة الاجتماعي؛ لأن اللغة المعيارية تعكس موقفًا اجتماعيًا محددًا، وتؤدي وظيفة بالغة الأهمية في التماسك الاجتماعي.

ويتفق اللغويون على مبادئ عامة في تحديد مفهومها، وهذه أهمها:

- في كل مجتمع لغوي نوعية معيارية يحدد هويتها ووظيفتها المجتمع نفسه، ففي إنجلترا مثلا نجد الإنجليزية المعيارية Standard English وفي العالم العربي نجد العربية الفصحى، وهكذا الحال في بلاد كثيرة.

وفي علاقتها بالمجتمع يقرر (هدسن) أنها علاقة غير طبيعية إذا ما وضعناها في إطار الزمن الذي استخدمت فيه، فبينما نتصور أن اللغات العادية قد تطورت بطريقة عشوائية، وغالبًا ما يكون هذا التطور دون مستوى الإدراك الواعي للمتحدثين فإن اللغات المعيارية أو (المتواضع عليها) قد تطورت نتيجة لتدخل المجتمع المباشر والمقصود.

- غالبًا ما تكون اللغة المعيارية لغة الدولة التي بها تتعامل مع الدول الأخرى، وتفرض استعمالها في مؤسساتها القومية، وتلزم المواطنين باستخدامها، وهي اللغة التي يتعلمها التلاميذ بالمدارس العامة، وهي اللغة التي تُعلم للراغبين في تعلمها من غير المتحدثين بها أصلا، وهي اللغة التي تترجم إلى اللغات الأخرى، ويترجم إليها من اللغات الأخرى، وهذه كلها عوامل تحرص الدولة على رعايتها لضمان وحدتها في الفكر

والشعور وتماسك أفرادها وتعاونهم.

- تحظى اللغة المعيارية بمركز متميز في المجتمع، إذ يعدها رمز حقيقته، والمعبر عن ثقافته المتميزة، والجامع بين أفراده، ولهذا فإنها فوق كل النوعيات التي يستخدمها الأفراد في حياتهم العامة.

وفي أغلب المجتمعات تلقى قبولا واسعًا بين جميع طبقات المجتمع، وغالبًا ما يستخدمها المتعلمون وذوو النفوذ، وغالبًا ما تحقق منافع اقتصادية أو سياسية لمن يستخدمها.

- اكتسبت اللغة المعيارية ثباتها النسبي وتجانسها الكبير بفضل عوامل عديدة مثل الكتابة قديمًا والطباعة حديثًا، ومن ثم فلها قواعد محكمة متجانسة لا يُسمح بالخروج عليها.

- يشير (هنري سويت) إلى صفة هامة من صفاتها وهي أن السامع لا يستطيع أن يحكم على المنطقة التي ينتمي إليها المتكلم، ومعنى ذلك أنها ذات كيان مستقل عن النوعيات الأخرى في المجتمع.

وتعد نشرة الأخبار في الإذاعة الرسمية مثالا للمعيارية المنطوقة، وكذلك الأمر فيما يلقى في المحافل الدولية والمؤتمرات العلمية، ففي إنجلترا مثلا يعد نطق مذيعي BBC النموذجي المحتذى للغة الإنجليزية.

وفي البلاد العربية تعد نشرة الأخبار المثال المنشود للفصحى، وهو مثال يحاول من يستخدمه أن يحقق – قدر الإمكان – صفاتها المتميزة على غرار ما نسمعه من قراء القرآن الكريم المجيدين، ومع ذلك قد تظهر بعض صفات محلية عند نطقها، كما هو الحال في الفصحى المعاصرة في العالم العربي؛ إذ يمكن نسبة النطق أحيانًا إلى قطر بعينه.

- وإذا ما استعنا بالتاريخ في توضيح مكانة المعيارية نجدها قد استحقتها منذ عهود لأسباب سياسية أو اقتصادية أو دينية، ومن ثم فقد تكون غالبًا لهجة العاصمة أو منطقة هامة، وغالبًا ما كانت لغة الأدب الراقي

المكتوب، وربما كانت لغة كتاب مقدس أو تراث قديم.

وبما أن اللغة ظاهرة لها علاقة بالبنية الاجتماعية، وبنظام القيم في المجتمع، فإن نظرة المجتمع أو موقفه من اللغة المعيارية على أنها أصح وأجمل وأنقى، وغير ذلك من الصفات نظرة اجتماعية فحسب، فليس في نطق بعينه أو تركيب بعينه ما يجعله صوابًا في ذاته أو خطأ في ذاته.

مراحل تكوين اللغة المعيارية:

١- مرحلة الاختيار:

ينبغي – بصورة أو بأخرى – اختيار نوعية معينة لكي تكون صالحة للتطور إلى مستوى اللغة المعيارية المتواضع عليها، وقد تكون نوعية موجودة بالفعل، مثل التنويعات المستخدمة في المراكز السياسية أو التجارية الهامة، ولكنها قد تكون خليطًا من نوعيات مختلفة، وعملية الاختيار في ذاتها حدث له أهمية اجتماعية أو سياسية عظيمة؛ لأن النوعية تكتسب حتمًا مكانة عليا متميزة.

٢- مرحلة التقنين:

للهيئات المعنية باللغة أهمية كبيرة في تثبيت النوعية المختارة بما تصنعه من معاجم، وكتب في القواعد لتعليمها في معاهد التعليم المختلفة، بحيث يلتزم الناس بها ويتجنبون مخالفتها.

٣- مرحلة توسيع الوظائف:

ينبغي أن تستخدم النوعية المتواضع عليها في كل الوظائف المرتبطة بالدولة بكل مؤسساتها، كالمحاكم والمدارس والجامعات وفي الأغراض الكتابية كالنصوص العلمية والفنية، وقد تتطلب عناية كبيرة بتنمية ثروتها اللفظية وبخاصة المصطلحات العلمية والفنية، وكذا العناية بما يدرس من قواعدها وبالطرق النافعة في تعليمها.

٤- مرحلة المواضعة أو القبول:

لا بد من تواضع جميع السكان المعنيين على اتخاذ تلك النوعية خاصة

بالجماعة، وغالبًا ما تصبح أيضًا اللغة القومية، وما إن يتم ذلك حتى تقوم اللغة المعيارية بدور القوة الموحدة للدولة، وتصبح رمزًا لاستقلالها وعلامة لاختلافها عن الدول الأخرى.

وإذا ما استعنا بالتاريخ في توضيح مكانة اللغة المعيارية نجد أنها قد استحقتها منذ عهود لأسباب سياسية أو اقتصادية أو دينية، فقد كانت (الفرنسية) لهجة أهل باريس عاصمة فرنسا، وكانت (الأسبانية) لهجة طبقة من الناس كان لها سيطرة عسكرية على أهل (قشتالة) ونشأت العربية الفصحى في مكة، وكان الناس قبل الإسلام يفدون إليها للحج وللتجارة، وكان لأهلها، لقيامهم برعاية البيت الحرام وخدمة الحجيج، مكانة متميزة، فكان العرب على اختلاف قبائلهم يتحاكمون إليهم، وقد كان الشعراء والخطباء يقصدون مكة وأسواقها ينشدون الناس أو يخطبون فيهم بتلك اللغة الأدبية المشتركة التي أصبحت فيما بعد اللغة المعيارية التي نزل بها القرآن.

وقد حظيت بعض اللغات بمكانتها المتميزة؛ لأن لها أدبًا راقيًا يضرب بجذوره في وجدان المتكلمين بها، ويرى اللغويون أن الأدب من أهم العوامل التي تساعد على ظهور اللغة المشتركة، وكثيرًا ما يتحدثون عن فضل (دانتي) في نشأة اللغة الإيطالية و(تشوسر) في نشأة الإنجليزية والشعر الجاهلي في نشأة العربية.

ونلخص الآن أهم العناصر التي تؤلف تعريف اللغة الفصحى أو المعيارية:

١- اللغة الفصحى شكل لغوي مختار يكتسب أهميته من ظروف سياسية أو اجتماعية أو أدبية.

٢- وهي شكل يعده الناس لغتهم القومية، وهو مظهر شخصية أصحابه، ورمز استقلالهم وتميزهم، ومن ثم يحظى بمكانة تفوق أي شكل لغوي آخر في المجتمع.

٣- وهي شكل له وظائف أكثر ارتباطًا بالشئون العامة للأفراد، فهي لغة الدولة بهيئاتها المختلفة، والتعليم بكل مراحله، والعلم بكل فروعه... الخ.

٤- وهي شكل لغوي ثابت نسبيًا يعد معيارًا للصواب وحسن القول، وشكل تحفظه الكتابة وترعاه الهيئات المعنية باللغة، ويحاول الالتزام به أفراد المجتمع.

اللغة العربية الفصحى واللهجات المحلية:

يستخدم العرب اليوم شكلين لغويين متميزين أولهما العربية الفصحى، وهي شكل لغوي معياري مشترك، وثانيهما اللهجات المحلية وهي تختلف باختلاف الأقطار.

والعربية الفصحى اليوم غير واضحة المعالم، وإن كان اللغويون متفقين على أنها هي الشكل الذي تجتمع الأمة العربية عليه، يعينهم على التفاهم المشترك وقضاء المصالح المتبادلة والتعبير عن الأحاسيس المشتركة، وهي بذلك تؤدي ما تؤديه الإنجليزية المشتركة التي تستخدمها دول متعددة كإنجلترا وأمريكا وأستراليا ونيوزيلندا.

ولكن هل حقًّا يستخدم العرب اليوم العربية الفصحى في صورة مشتركة واضحة المعالم؟ الحق أننا – إذا أردنا الدقة – لا نفعل، وهذا يذكرنا بما سبق أن قلناه من أن الفصحى أو المعيارية صورة مثالية، ويكفي للتحقق من ذلك أن تستمع إلى نشرات الأخبار التي تبثها الإذاعات العربية من كل أرجاء الوطن العربي – وعربية هؤلاء المذيعين عربية متفق على أنها فصيحة – ولن تجد صعوبة كبيرة في إدراك بعض الخصائص المحلية التي تظهر على ألسنة هؤلاء المذيعين.

عامية القاهرة:

وإذا كانت الفصحى هي اللغة المشتركة للعرب جميعًا، فإن عامية القاهرة هي العامية المشتركة في مصر (إذ هي الشكل المشترك لقضاء المصالح والتعاون بين المصريين جميعًا على اختلاف أقاليمهم) وإذا أردنا الدقة قلنا إن عامية العواصم الإقليمية هي العامية المشتركة لكل إقليم على حدة، وإن عامية القاهرة هي العامية المشتركة لهذه العواصم.

وتباشر عامية القاهرة نفوذها الكبير بوسائل الإعلام المسموعة والمرئية وعلى

خشبة المسارح، وفي دور السينما وفي أروقة المصالح الحكومية.. بل إن بعض الباحثين يرى أن **عامية القاهرة لها نفوذ كبير في العالم العربي،** فهي محببة إليهم مفهومة عندهم جميعًا، ويقربها إليهم أنها تجد طريقها إليهم بيسر في أجهزة الإعلام المختلفة، وأن المصريين يحملونها إليهم في أقطارهم، كما أن القاهرة تعد قبلة العالم العربي التي يتجهون إليها للتعليم أو السياحة أو قضاء المصالح.

النظرة الوصفية للغة:

بقيت مسألة أخيرة تتصل بالمقابلة بين اللغة الفصحى واللهجات المحلية، فقد ينظر الناس إلى اللغة الفصحى أو المعيارية على **أنها لغويًا أرقى من اللهجات المحلية، وأنها المثل الذي ينبغي أن يحتذى، وقد ينظرون إلى اللهجات** المحلية على أنها دون الفصحى وأنها الصورة التي ينبغي أن تجتنب، فالعرب مثلا يجعلون العربية الفصحى في مكانة عليا ويعدون العامية شكلا لغويًا أدنى، وهذه أيضًا نظرة الفرنسيين إلى الفرنسية الفصحى وإلى لهجاتهم المحلية، وهي نظرة اجتماعية لها ما يبررها ولكن هل نجد في الفصحى أو المعيارية صفات لغوية خالصة تجعلها في المكان الأعلى؟

من حيث الوظيفة تؤدي الفصحى وظائف ربما لا تنهض بها اللهجات المحلية، فهي لغة العلم والسياسة والفن... الخ، وتقوم اللهجات المحلية بوظائف أخرى ربما لا تنهض بها الفصحى، فهي لغة الحياة اليومية، لغة البيع والشراء... الخ، إذ إن للفصحى مكانًا متميزًا يقدره المتعلم الذي يستخدمها، فربما لا يكون لها نفس المكان عند من يستخدم لهجته المحلية، ويرى فيها وسيلة كاملة للاتصال وتحقيق التعاون.

ومن حيث الخصائص اللغوية الخالصة، ليست اللغة الفصحى أو المعيارية أكثر دقة أو أجمل تعبيرًا أو أكثر منطقية أو اطرادًا من اللهجات المحلية، وليست اللهجات المحلية في هذا المجال فسادًا أو انحرافًا، بل يتضح عند البحث أنها ليست أقل دقة أو جمالا أو منطقية أو اطردًا.

إن هذه الأحكام ما هي في الحقيقة إلا أحكام اجتماعية – قد يكون هناك ما

يفسرها أو يسوغها – ولكنها ليست أبدًا أحكامًا لغوية أو علمية.

لهجة الفرد:

قد يتصور البعض أن أفراد الجماعة اللغوية ينبغي أن يتحدثوا بطريقة متماثلة، فهل هذا صحيح؟

ليس صحيحًا بحال من الأحوال أن أفراد الجماعة المعينة – حتى في أصغر أشكالها – يتحدثون لغتهم بطريقة متماثلة، بل الصحيح – وهذا ضروري بحكم انتمائهم اللغوي أنهم يتكلمون بطرق متشابهة، فكل فرد من أفراد الجماعة يظهر في كلامه ما يجعله متميزًا عن أي فرد آخر في نفس الجماعة، قد ينطق صوتًا ما بطريقة معينة، وقد يميل إلى كلمات بعينها، وقد يؤثر عبارات معينة، أو يفضل أنماطًا خاصة من الجمل.

ويطلق اللغويون على الشكل اللغوي الذي يميز فردا عن فرد في جماعة لغوية واحدة مصطلح (idiolect لهجة الفرد) وقد تكون الصفة أو الصفات المميزة له صفة صوتية أو صرفية أو نحوية أو معجمية أو أسلوبية وعلى هذا فلغة الجماعة تتألف من تلك الأشكال الفردية.

على أن هذه الخواص المميزة قد تدق بحيث لا يدركها إلا أهل الاختصاص من اللغويين، أما المتكلم نفسه فهو يعتقد أنه يتكلم كما يتكلم الآخرون، ويرى أنهم جميعًا يتكلمون بنفس اللغة.

الفروق الفردية:

وفي الحقيقة لا يتنبه السامع إلى مثل هذه الفروق الدقيقة، فانتباهه إنما يتوجه إلى الفروق التي يترتب عليها اختلاف في المعنى، وعلى سبيل المثال يدرك السامع الفرق بين الطاء في (طين) والتاء في (تين) والكاف في (كلب) والقاف في (قلب).. الخ، بل ربما كان وقوع أحد المتكلمين في الخلط بينهما مجالا لسخريته، ويتمتع كل أفراد الجماعة بروح من التسامح عن الفروق الفردية التي لا تشكل عائقًا في التفاهم المشترك، بل إن الطفل في مراحل اكتسابه اللغة

المعينة يتمتع بهذه الروح.

عوامل الخلاف:

واختلاف لهجة الفرد عن لهجة أي فرد في جماعته اللغوية، إنما هو نتيجة لعوامل كثيرة بعضها بيولوجي، إذ لا تعمل أعضاء النطق بطريقة واحدة في كل الظروف، وبعضها اجتماعي، وذلك أن كل فرد له صلاته الخارجية التي يتخذ النشاط اللغوي فيها دورًا رئيسيًا، وبهذا يصبح الفرد عضوًا في حلقات لغوية متعددة يأخذ منها وتأخذ منه يتأثر بها ويؤثر فيها، وكلما اتسع مجال اتصاله اتسع معجمه وتنوعت خصائصه التركيبية، وربما كان الفرد ميالا إلى العزلة فتضيق دائرة اتصاله ومن ثم تقل حصيلته ولا تتنوع أشكاله اللغوية.

أما اللغوي فيستطيع أن يتبين هذه الفروق مهما دقت، بل قد أثبتت بعض البحوث اللغوية أن الفرد نفسه يختلف نطقه بعض الاختلاف في كل مرة يتكلم فيها وإن استخدم نفس الكلمات؛ لأن أعضاء النطق لا تقوم بوظائفها دائمًا بنفس الصورة، وإن كان اللغوي يكتفي عادة بتلك الصفات العامة التي تميز الجماعة اللغوية، ويشترك فيها جميع أفرادها، وكثيرًا ما يلجأ اللغوي إلى فرد من أفراد الجماعة في التعرف على تلك الصفات العامة باعتباره ممثلا لهذه الجماعة.

الثنائية:

يستخدم بعض اللغويين المصطلح diglossia للإشارة إلى فرد أو جماعة يستخدمان لغتين أو مستويين من لغة واحدة، ويستخدم آخرون مصطلحًا آخر هو bilingualism يعنون به حينًا ما يعنيه السابقون بالمصطلح diglossia ويعنون به أحيانًا فردًا أو جماعة تستخدم لغتين.

ويستخدم لغويون آخرون المصطلح (bilingualism ثنائية اللغة) يعنون به، أن يتمكن فرد أو جماعة من استخدام لغتين بطلاقة، ومن أمثلتها: العربي الذي يتمكن من الإنجليزية تمكنه من العربية تعلمًا أو دراسة، والإنجليزي أو غيره الذي ينجح في استخدام العربية كما يستخدم لغته القومية، والطفل الذي يعيش

بين أم تتكلم لغة وأب يتكلم لغة أخرى ويتمكن من استخدام اللغتين بطلاقة ويسر، والمصري النوبي الذي يتقن العربية، كما يتقن النوبية لغته الأم.

ويعنون بالمصطلح (digglossia ثنائية اللهجة أو المستوى) ظاهرة موجودة بين جماعة لغوية تستخدم لغتها وفقًا لمستويين: اللغة العليا أو المعيارية، وتستخدم في المصالح الحكومية وفي أجهزة الإعلام وفي التعليم، وفي أداء الشعائر الدينية، وهي في الغالب مكتوبة: اللغة الهابطة أو الدارجة، وتستخدم في قضاء مطالب الحياة اليومية في البيت وفي السوق... الخ، وهي منطوقة فحسب، وفي بعض الظروف أو المواقف يظهر مستوى ثالث وسيط بين المستوى العالي والهابط.

والعالم العربي اليوم من المجتمعات الثنائية، فالعربية الفصحى يقف بإزائها العامية منسوبة إلى قطر بعينه (المصرية أو السورية ... الخ).

وتؤكد البحوث التي حددت مستويات العربية المعاصرة في مصر أنها خمسة هي: فصحى التراث وفصحى العصر (وهما ترجعان إلى المستوى العالي) وعامية المثقفين، وعامية المتنورين وعامية الأميين (وهي ترجع إلى المستوى الهابط).

ومن الملاحظ أن تحديد المستويين قائم على أساس الظروف التي يستخدم فيها كل مستوى، فالمستوى العالي يستخدم في مجالات معينة أغلبها يتصل بالأعمال المكتوبة، كتب الأدب، المؤلفات العلمية... الخ، ويستخدم كذلك في التعليم وفي أجهزة الدولة الرسمية أما المستوى الهابط فيستخدم في مجالات الحياة اليومية العادية، كالحديث العادي في البيت أو في السوق، الخ ويترتب على هذا الفهم أن الفرد الواحد قد ينجح في استخدام المستويين بكفاءة، ولنفترض الآن أن خطيبًا يريد أن يلقي خطبة في المسجد، سوف يستخدم بالطبع المستوى العالي (الفصيح) أما إذا أراد أن يذهب إلى السوق ليشتري غرضًا من الأغراض فسوف يستخدم المستوى الهابط (العامية).

ولدى الفرد – ثنائي اللغة bilingual أو ثنائي المستوى diglossic قدرة

كبيرة على الانتقال من لغة إلى لغة أو من مستوى إلى آخر، والمبدأ العام في ذلك أنه من المحتمل أن يظهر في كلامه خصائص ناتجة عن تأثير لغة في لغة أو لهجة في لهجة، وعلى أية حال، فإن هذا الشخص لن يسمح في الغالب بالتداخل اللغوي أن يحدث عمدًا؛ لأن صاحب اللغة يحاول دائمًا أن يلتزم بمقياس محدد.

وكثيرًا ما نسمع النوبي المصري يقول للمذكر أنت طيبة (بصفة المؤنث واليوناني المصري حين يقول: واحد راجل وواحد كتاب .. الخ.

وتأثير الفصحى في العامية أو العكس تأثير ملحوظ ومدرك لا يحتاج إلى بيان في هذا المقام.

التنوع اللغوي الناتج عن عوامل اجتماعية

(اللهجات الاجتماعية)

توصف اللهجة بأنها جغرافية إذا استخدمها **جماعة من الناس يقيمون في منطقة جغرافية محددة، فلهجة الدقهلية مثلا محددة** (فرضًا) بحدود جغرافية تفصلها عن اللهجات الأخرى المجاورة.

وليس معنى هذا أن حدود اللهجة لغويًا هي حدود محافظة الدقهلية الجغرافية، فقد أشرنا قبلا أن الظواهر اللهجية من التعقيد والتنوع بحيث لا يمكن فصل كل لهجة عن الأخرى فصلا واضحًا في منطقة من المناطق، وهذه المنطقة شبيهة بالمنطقة التي بين لونين من ألوان الطيف فلا يمكن أن نتبين إلى أي اللونين تنتسب هذه المنطقة، ومع هذا فالتقسيم الجغرافي الذي قد يراعي عند التقسيم الإداري له أهميته بل هو العامل الأعظم تأثيرًا؛ وذلك لأن اللهجات الجغرافية غالبًا ما تنشأ في ظل ظروف جغرافية محددة (وجود جبال أو صحاري أو غابات أو أنهار).

وهناك أيضًا اللهجات الاجتماعية التي **تستخدمها جماعة خاصة أو طبقة**

معينة في إطار الجماعة اللغوية المعينة، فسوف نجد في إطار هذه اللهجة المحددة جغرافيًا لهجات اجتماعية، قد تكون مثلا لهجة للعمال الي يعملون في مصانع المدينة المجاورة، أو لهجة للمتعلمين الذين أتموا تعليمهم بالمدينة، أو لهجة أسرة العمدة ذات الثراء العريض والنفوذ الكبير، الخ، مثل هذه اللهجة توصف بأنها لهجة اجتماعية أو طبقية.

وعلماء اللهجات حين يتحدثون عن لهجات اجتماعية يشيرون إلى عوامل غير جغرافية، وبسبب هذا العوامل قد نجد في لغة المتكلم ظواهر لغوية مشتركة مع ناس آخرين من طبقته الاجتماعية في منطقة جغرافية مختلفة أكثر مما يكون بينه وبين طبقة اجتماعية أخرى في نفس المنطقة.

ولنضرب مثلا لذلك قد يكون المتكلم طبيبًا من قرية ما، قد نجد بين لغته ولغة الأطباء الآخرين الذين يقيمون في مناطق مختلفة وجوه شبه أكثر مما هو موجود بين لغته ولغة أحد العمال من قريته ذاتها.

والعوامل التي تؤثر في نشأة اللهجات الاجتماعية تتمثل فيما بين طبقات الناس وفئاتهم من فروق في الثقافة والتربية ومناحي التفكير والوجدان ومستوى المعيشة وحياة الأسرة والبيئة الاجتماعية والتقاليد والعادات وما تزاوله كل طبقة من أعمال وتضطلع به من وظائف.

ومن العوامل ذات التأثير جنس المتكلم رجلا أم امرأة وعمره، فثمة لهجة للنساء وأخرى للرجال، وثمة لهجة للشباب وأخرى للشيوخ ... الخ.

وليس معنى التقسيم السابق هو تميز اللهجة الجغرافية أو المحلية عن اللهجة الاجتماعية أو الطبقية – فهذا التقسيم ليس حاسمًا فالتنوع اللهجي جغرافيًا أو اجتماعيًا يمتزج بعضه ببعض، فالفرد الواحد ينتسب إلى لهجته المحلية باعتباره فردًا مقيمًا في حدود جغرافية معينة، وهو نفسه ينتسب إلى لهجته الاجتماعية باعتباره فردًا في هيئة اجتماعية معينة.

البعد الجغرافي

(اللهجة الجغرافية)

البعد الاجتماعي

(اللهجة الاجتماعية)

وعلى هذا يمكن تقسيم مصر أو أي قطر تقسيمًا أفقيًا (أي تقسيمًا لهجيًا جغرافيًا) ثم نصنف كل واحدة من هذه اللهجات تقسيمًا رأسيًا (أي تقسيمًا لهجيًا اجتماعيًا).

وقد بينا آنفًا أنه من العسير وضع حد يفصل لهجة محلية عن لهجة محلية أخرى، ومن العسير أيضًا أن نحدد بدقة حدًا يفصل لهجة اجتماعية عن لهجة اجتماعية أخرى، بيد أن هذه الصعوبة يجب إلا تلجئنا إلى القول بأن فكرة وضع حدود جغرافية أو طبقية فكرة غير مفيدة أو غير صحيحة، ذلك أن اللهجة (محلية أو طبقية) لها وجود اجتماعي ونفسي ولها أيضًا وجود لغوي، فأفراد الجماعة اللغوية لديهم إحساس بانتمائهم الإقليمي وبانتمائهم الطبقي، ولديهم أيضًا إحساسهم بشخصيتهم المتميزة، بل لديهم – وهذا هو الأهم إحساسهم بانتمائهم إلى لهجة معينة تميزهم عن غيرهم من أصحاب اللهجات الأخرى.

والمشكلة التي تعترضنا في محاولة وضع أسس اللهجات الاجتماعية أن الفرد الواحد قد ينتمي إلى أكثر من لهجة اجتماعية واحدة، أو بعبارة أخرى يستطيع الفرد أن ينتقل من لهجة اجتماعية إلى لهجة اجتماعية أخرى تبعًا للموقف المحدد.

فأستاذ الجامعة – قد يكون منتميًا مثلا إلى لهجة المثقفين أو إلى لهجة الجامعيين من المثقفين، ومع ذلك إذا نزل إلى السوق ليشتري شيئًا فلن يستخدم لهجته الاجتماعية المتميزة، وإذا ما عاد إلى قريته مثلا سوف يحاول ما استطاع أن يتحدث كما يتحدثون، وكما كان يتحدث هو حين كان أحد أفراد هذه القرية،

ولعلنا جميعًا نذكر شيخ القرية حين يغادر قريته إلى المدينة فيحاول أن يتكلم بلهجتهم فيصيب أحيانًا ويخطئ أحيانًا.

ويظهر تأثير الطبقية أقوى ما يكون في لغات الشعوب ذات التقاليد والأعراف التي تحافظ على مظاهر الخلاف بين الطبقات، ففي اليابانية مثلا توجد ألفاظ مختلفة لا باعتبار الإفراد والجمع فحسب، بل باعتبار مكانة المخاطب الاجتماعية، فضمير المتكلم المفرد المذكر ليس كلمة واحدة، بل عدة كلمات حسب المكانة الاجتماعية للمخاطب وفي لغات (بورما) يختلف تصريف الفعل باختلاف مركزمن تخاطبه ويستعمل سكان (جاوه) لغة عادية فيما بينهم ولغة خاصة بخطاب الأمراء، ولغة لخطاب الحكام وذوي الجاه، ولغة تستعمل فحسب في قصور الملوك، ولغة تستعمل للحديث عن الملوك والأمراء.

ثالثًا- الطبقية في المجتمع المصري:

يتكون المجتمع من الملايين من الأفراد أو الأسر يمكن أن تترتب وفقًا لمعايير معينة (كالدخل والثروة ومستوى التعليم، وحجم النفوذ السياسي، أو نوع التطلعات والآمال أو القيم السائدة ...الخ) إلى طبقات أو شرائح تشترك كلها في خصائص معينة، وإن كان من الصعوبة بمكان تحديد أين تبدأ طبقة، وأين تنتهي أخرى.

ومع اختلاف الباحثين في عدد الطبقات التي يتكون منها المجتمع، فإن التقسيم الشائع إلى ثلاث طبقات: عليا ووسطى ودنيا – على ما فيه من تحكم – يعكس – على نحو أو آخر – واقعًا اجتماعيًا مرعيًا عند جماهير الناس، معتبرًا عند الباحثين في العلوم الإنسانية.

وينبغي ألا يغيب عن تقديرنا – كما يقول الدكتور جلال أمين – أن المجتمعات لا يستمر تركيبها الطبقي على حاله، إذ تعمل مختلف العوامل الاقتصادية والاجتماعية على نمو طبقة على حساب أخرى، وعلى انتقال فئات أو شرائح من طبقة إلى أخرى أعلى أو أدنى منها.

ويعد توزيع الدخل أهم المعايير المعتبرة في التصنيف الطبقي، إذ ينبني عليه آثار واضحة في المعايير الأخرى كمستوى التعليم والنفوذ السياسي.

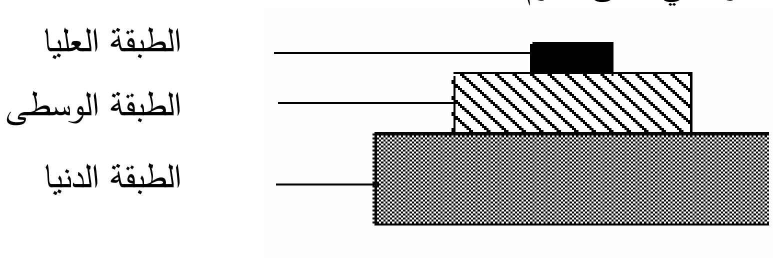
وفقًا لهذا المعيار كان المجتمع المصري في الخمسينيات يتوزع طبقيًا على النحو الآتي:

الطبقة العليا ١٪

الطبقة الوسطى ١٩٪

الطبقة الدنيا ٨٠٪

ويتفق هذا التوزيع مع توزيع ملكية الأراضي الزراعية تقريبًا، والرسم الآتي يصور هذا التوزيع الذي يتكون من ثلاثة مستطيلات يمثل المستطيل الأكبر الطبقة الدنيا، والمستطيل المتوسط الطبقة الوسطى، بينما يمثل المستطيل الذي لا يكاد يرى في أعلى الهرم الطبقة العليا.



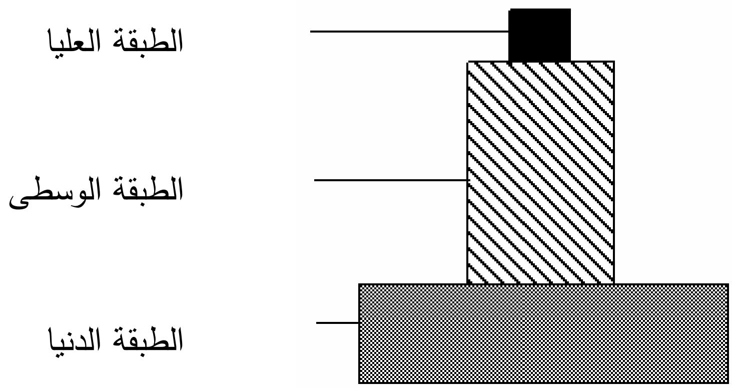
ويتغير توزيع الدخل تغيرًا واضحًا فيما بعد الخمسينيات إلى التسعينيات، ويتغير وفقًا له حجم الطبقات الثلاثة.

وهذا هو التوزيع الشائع في التسعينيات في مصر.

الطبقة العليا ٢ – ٥ ٪

الطبقة الوسطى ٤٥ ٪

الطبقة الدنيا ٥٠ ٪



والرسم البياني الآتي يوضح ذلك.

بمقارنة التوزيع بين المرحلتين يلاحظ ما يأتي:

١- زيادة حجم الطبقة الوسطى زيادة مذهلة، من ١٩٪ إلى ٤٥٪ ويرجع هذا أساسًا لا إلى نزول أعداد من الطبقة العليا التي كانت سائدة قبل الثورة فحسب، بل إلى صعود ملحوظ من أبناء الطبقة الدنيا إليها.

٢- تغير خصائص الطبقة، فالطبقة العليا الآن ليست هي الطبقة العليا القديمة، وإن كان منها جزء قليل، إنها تتكون من أسر حديثة الثراء تضخمت ثرواتها في السبعينيات والثمانينيات من أعمال المقاولات والمضاربات والعمولات وأعمال الوكالة للشركات الأجنبية، وبعض الوظائف العليا ذات الدخل الوفير.

٣- تضم الطبقة الوسطى الجديدة – وهي في ذلك كالقديمة – المهنيين وغالبية تجار التجزئة، وأصحاب المصانع الصغيرة والمتوسطة، وأصحاب الحيازات الزراعية المتوسطة، وأصحاب العقارات، وبعض الحرفيين والموظفين.

٤- أما الطبقة الدنيا فهي كما كانت في الماضي تضمن المعدمين وصغار المزارعين وصغار الحرفيين وصغار المشتغلين بتجارة التجزئة، وعمال

الزراعة والصناعة..الخ.

ومن أهم التغيرات التي طرأت على المجتمع المصري بعد أربعين سنة من ثورة ١٩٥٢م أن ملكية الأرض لم تعد هي العامل الحاكم في الانتساب إلى طبقة من الطبقات – كما كان الحال منذ أربعين عامًا، بل تعددت مصادر الدخل وتنوعت، ونمت الصناعة ومختلف أنواع الخدمات الأخرى كمصادر مدرة للدخل، كما لم يعد الانتساب إلى عائلات معينة معيارًا ذا بال للانتساب أو عدم الانتساب إلى الطبقة العليا، كما لم يعد للتغريب أو لمحاكاة الغرب في الحياة أهمية في التمييز بين الطبقة العليا وغيرها، وبعد أن انتشر هذا التغريب انتشارًا ملحوظًا في شرائح أدنى درجة، ومع ذلك فما زال حجم الدخل والثروة هو أهم معيار للتصنيف.

اللغة العربية اليوم:

يكاد الرأي يجتمع هذه الأيام على أن المناخ العام في مصر، بل في غيرها من البلاد العربية يستهين بلغته، ولا يجد حرجًا في مخالفة قواعدها، أو في استخدام لغة أجنبية في موضعها، أو في استخدام ألفاظ أجنبية بغير حاجة تعبيرية، مما يعكس في النهاية مكانتها المتدنية في ضمائر الناس، وعدم ثقتهم بمعرفتهم بها أو بوفائها بحاجاتهم.

وقد يكون الجهل بالعربية، وبتدني مكانتها بين أهلها راجعًا إلى الأسباب الآتية:

١- التوسع المذهل في عدد المتعلمين خلال نصف القرن الماضي، دون الاهتمام بمستوى التعليم ومواكبته للتقدم العلمي.

٢- الانخفاض الملحوظ في مستوى المعلمين بعامة ومعلمي اللغة العربية بخاصة.

٣- لم تعد المدرسة أو الجامعة هي الوسيلة الوحيدة لمعرفة الناس باللغة، بل انضمت إليها وبدرجة متزايدة أجهزة الإعلام المختلفة من صحف وإذاعة وتليفزيون، وجماهير هذه الأجهزة جماهير واسعة، مستويات

تعليمها متفاوتة، ومن ثم يتسامح العاملون فيها في قواعد اللغة بحجة أن جمهورهم لا يتقبل غير ذلك، أو لا يستوعب أكثر من ذلك، ورجال الإعلام لا يجدون وقتًا كافيًا لإعداد مادتهم الإعلامية بعربية صحيحة، بحجة أن المهم هو المضمون، وأنهم يتحدثون إلى جمهورهم باللغة التي يفهمها وهي العامية حتمًا.

الموقف الطبقي من اللغة العربية:

إن السبب الحقيقي لعلة اللغة العربية في مصر المعاصرة لا يرجع إلى الأسباب السابقة فحسب والتي تتعلق أساسًا بعدم القدرة، بل ترجع إلى عدم الرغبة في معرفة العربية، أو عدم الحرص على استخدامها، وعلى رعاية مكانتها، يقول التفسير الأساسي يتعلق أيضًا (بالحراك الاجتماعي) الذي خبرته مصر في الخمسين سنة الماضية، فقلب التركيب الطبقي للمجتمع المصري رأسًا على عقب، ومن ثم خلق أنماطًا من السلوك، ومواقف نفسية لم تكن معروفة في مصر بهذه الدرجة على الإطلاق قبل نصف قرن، ومن بين هذه المواقف هذا الموقف المؤسف من اللغة العربية.

ولعل المقارنة هنا بين الأجيال تكون مفيدة وكاشفة عن طبيعة الموقف الطبقي.

يميز الدكتور جلال بين ثلاثة أجيال من المتعلمين في هذه المرحلة من حيث انتماؤهم الطبقي، وموقفهم من التراث، وموقفهم من الغرب، ومن ثم موقفهم من اللغة العربية، جيل الثلاثينيات والأربعينيات، وجيل الخمسينيات والستينيات، وجيل السبعينيات والثمانينيات.

أما جيل الثلاثينيات من المتعلمين فقد كان ينتسب في الأساس إلى طبقة مستقرة نسبيًا (من حيث الاطمئنان إلى المركز الطبقي والتطلع إلى الصعود إلى طبقة أعلى) كانت تحترم تراثها، لم يكن لديها سبب نفسي يدفعها إلى النفور من لغتها القومية، كما أن موقفها من الغرب كان يتسم بدرجة عالية من الثقة بالنفس، ومع أنها كانت منبهرة بالغرب ومنجزاته فلم يصل انبهارها إلى درجة الانهيار النفسي

والتسليم للغرب بالتفوق، في كل شيء بما في ذلك اللغة والآداب.

بيد أن الأمر في الخمسينيات والستينيات قد تغير، فقد ترتب على الإجراءات الاقتصادية التي أجرتها ثورة يوليه ١٩٥٢م، تغيرات اجتماعية عميقة، ومن بينها ارتفاع درجة الحراك الاجتماعي، ومن ثم أصبحت النسبة الغالبة من المتعلمين في هذا الجيل ينتمون إلى طبقة أقل استقرارًا، وأقل اطمئنانًا على مركزها الطبقي، وأكثر تطلعًا إلى الصعود إلى طبقة أعلى.

وكان موقف هذه الطبقة من التراث واللغة العربية أقل إجلالا عن الجيل السابق لهم، كما أن انبهارها بالغرب كان أشد تأثيرًا على ثقتها بنفسها، وقد كانت حركة التحديث- على نحو أو آخر- مزيدًا من التغريب .. ومما يؤكد هذا التصور لموقف هذا الجيل من العربية أن خُطب قادة الثورة إذا ما قورنت بالخطب السياسية قبلها كان تستهين بقواعد اللغة وجمال التعبير، بل كان كثير من قادتها يخطب بالعامية.

على أن الأمر زاد استفحالا في السبعينيات والثمانينيات نتيجة ما حدث من معدل غير مسبوق للحراك الاجتماعي الناتج عن التوسع في التعليم وارتفاع معدل التضخم، ثم الهجرة الواسعة إلى دول النفط، وزيادة الانبهار بالغرب وبخاصة ما يتصل بمظاهر حياته.

وفي تفسير موقف هذا الجيل من التراث واللغة العربية يقول: إنه جيل لديه ثأر حقيقي من التراث والماضي بصفة عامة، يستعجل نسيانه ودفنه، ويريد الانفتاح الكامل على مصادر الرزق والثروة الجديدة التي غيرت مكانته الاجتماعية إلى الأفضل في مثل لمح البصر.

وهذا التشخيص يشير- كما هو واضح- إلى أسباب اقتصادية واجتماعية، ولكن يشير أيضًا إلى مرض نفسي نتج عن هذه العوامل الاقتصادية والاجتماعية.

ولسنا نظن الوضع الحالي في نهاية القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين مختلفًا - في عمومه - عن جيل السبعينيات والثمانينيات.

التنوع الناتج عن الموضوع ووسيلة الاتصال

(الأســلـــوب)

لقد تبين أن اللهجة جغرافية أو اجتماعية تحددها: شخصية المتكلم، المنطقة التـي يقطنهـا، أو الطبقـة التـي ينتمـي إليهـا، ولهـذا تختلـف اللهجـات بـاختلاف المناطق الجغرافية، وباختلاف الطبقات الاجتماعية إن اللهجة أو اللهجات التي يكتسبها الفرد أو يستخدمها دليل على هويته في المجتمع.

وثمة تنوعات أخرى في اللغة مستقلة عن هوية الفرد في المجتمع، وإنما تحددها أمور أخرى: **الموضوع الذي يتحدث فيه، أو الشخص الذي يتحدث إليه أو الوسيلة اللغوية التي استخدمها في الاتصال**. إن هذه التنوعات هي ما يطلق عليها: الأسلوب، وإذا كنا قد انتهينا إلى أن اللهجة تتجدد بصفات لها علاقة بالمتكلم فقد يجوز لنا هنا أن نقول: إن الأسلوب يتحدد بصفات لها علاقة باستخدام اللغة.

تنوع الأساليب:

ونحن– كما يقول (هدسن)– في حاجة ماسة إلى هذا التفريق بين التنوعات اللهجية والأسلوبية؛ لأن الشخص الواحد قد يستخدم أشكالا لغوية مختلفة جدًّا ليعبر عن نفس المعنى تقريبًا في مناسبات أو ظروف مختلفة.

قد يستهل شخص ما خطابًا قائلا: سيدي أحيطكم علمًا بأن .....، وقد يستهل خطابًا آخر بقوله: أخي العزيز أخبرك بأن ....، وقد يقول شيئًا آخر غير هذا وذاك.

وقد يقول شخص ما لشخص آخر: لو سمحت هات الكتاب.

وقد يقول: الكتاب من فضلك.

وقد يقول: هات الكتاب.

وقد يقال شيء آخر يختلف عما سبق، مما يؤكد أن التنوع الأسلوبي ربما لا يكون له حد.

ومن الواضح أن التنوع الأسلوبي راجع إلى الحدث الكلامي نفسه لا إلى المتكلم الذي أنتج الحدث.

وقد وضع اللغوي (هاليداي) ثلاثة أبعاد يعتقد أنها تحدد الحدث اللغوي تحديدًا دقيقًا هي: المجال (Field) والنمط (Mode) والحال (Tenor).

يتصل المجال بموضوع الحدث اللغوي وبهدف الاتصال، وبعبارة أخرى ماذا يقال؟ قد يكون الموضوع مثلا عن رحلة صيد يزمع المتكلم القيام بها، وقد يكون غرضه من الحديث أن يغري السامع بالاشتراك فيها.

وقد يكون عن دور اللهو ويهدف المتحدث إلى تحذير السامع من ارتيادها.

ويشير النمط إلى **الوسيلة التي يتم بها الاتصال**، هذه الوسيلة قد تكون الكتابة أو الحديث بمختلف أشكالها: رسالة مسجلة على شريط إعلان على شاشة التليفزيون.. الخ، وبعبارة أخرى: كيف يتم الاتصال.

أما الحال Tenor فيعتمد على **العلاقة بين المشتركين في الحديث اللغوي**.

قد يكون المتحدث صديقًا للسامع، وقد يكون رجل دين يلقي خطبة أمام المصلين، وقد يكون قاضيًا يسأل سجينًا، وقد يكون عاشقًا يبث غرامة إلى محبوبته... الخ، وبعبارة أخرى إلى من يوجه الحدث اللغوي وكيف يراه المتكلم.

ولعل نظرة إلى أسلوب النداء في العامية المصرية تؤكد ما سبق أن قرره اللغويون من تنوع الأساليب وتعدد صورها نذكر منها مثلا:

يا سيدي، يا حبيبي، يا خويا، يا واد، يا باشمهندس، يا دكتور، يا ريس، يا عم، يا عمي، يا أبو أحمد، يا حاج، يا كابتن، يا ست... الخ.

ومثل ذلك أيضًا: "التحيات" صباح الخير، صباح الفل، صباح الإشطة، السلام عليكم، سعيدة، العواف، مع السلامة ... الخ.

ونطلب من القارئ الآن أن يتأمل الأساليب السابقة ثم يسأل إلى من تقال وما الغرض منها، وسوف يتبين له أن المتكلم حين يستخدم كل أسلوب منها يختار من بين مفردات لغته وتراكيبها ما يراه مناسبًا لموضوع الكلام ملائمًا للمخاطب، ويختار كذلك الوسيلة التي تحقق هدفه، وصدق من قال: إن الأسلوب اختيار.

وقد حدد العالم (مارتن جوز) الأساليب التي يمكن للفرد أن يستعلمها على النحو الآتي:

الأسلوب الجامد: وهو الذي يستعمل فيه كلام رسمي جدًّا، لا يراعى فيه أي اعتبار لوجود السامع؛لأنه لن يستطيع أن يؤثر فيما يقال: كأسلوب الخطب الرسمية بالإضافة إلى معظم ما يكتب منثورًا.

الأسلوب الرسمي: وهو أسلوب لا يشارك فيه السامع أيضًا، كالخطب المعدة سلفًا إعدادًا جيدًا، والمحاضرات التي تلقى على الطلاب والأحاديث الموجهة عبر الإذاعة والتليفزيون، ويدل هذا الأسلوب على المسافة الاجتماعية البعيدة بين المتكلم والسامع ومن أمثلته كذلك ما يكون من حديث بين الموظف ورئيسه وبين الطالب وعميد الكلية... الخ.

الأسلوب الاستشاري: وفيه كثير من خصائص الأسلوب الرسمي، ولكنه يتطلب اشتراك واستجابة المستمع، ولا يخطط له المتكلم بعناية بالغة، كما يتجنب فيه استخدام العبارات المقننة ومن أمثلته: ما يكون من حديث بين رئيس الدولة والوزراء والمستشارين، وبين رئيس هيئة أو مصلحة ورؤساء الأقسام، وبين عميد الكلية، وأعضاء هيئة التدريس... الخ.

الأسلوب العادي: وهو الأسلوب الذي يستعمله الأصدقاء فيما بينهم أو الذي يتخذه جماعة من الناس تناقش موضوعًا مألوفًا لديهم، ويفترض هذا الأسلوب قدرًا كبيرًا من المفاهيم والمعلومات المشتركة بين المتحدثين، ويغلب أن يكون بالعامية وتكثر فيه الجمل الناقصة وأشباه الجمل... الخ.

أسلوب الألفة الشديدة: وهو أقل الأساليب رسمية ويتألف عادة من أشباه جمل ومفردات وإيماءات ويتم بالعامية، ويبدو أن وظيفة هذا الأسلوب هي التعبير عن الأحاسيس والعواطف أكثر من نقله للأفكار، ومن أمثلته: ما يدور بين الأصدقاء والأقارب ورفقاء العمل من أحاديث.

رأي آخر في الأبعاد:

ويشكك بعض الباحثين في الطرق التي يقترحها العلماء لتصنيف الأساليب وفقًا للأبعاد التي سبق الحديث عنها.

لقد لاحظ الباحثون مثلا أن العلاقات بين المتكلم والمخاطب تتضمن كثيرًا من الأبعاد: منها على سبيل المثال:

بعد النفوذ أو السلطة التي يباشرها المتكلم على المخاطب، أو العكس فقد يكون أحدهما أعلى نفوذًا أو مساويًا له أو أدنى منه.

وبعد التماسك الاجتماعي: فقد يكون أحدهما قريبًا للآخر (والقرابة درجات)، وقد يكون صديقًا له أو زميلا في دراسته أو عمل ... الخ.

بعد السن: فيكون أحدهما أسن من الآخر أو مقاربًا له.

بعد الجنس: فيكون أحدهما رجلا أو امرأة.

وهكذا تختلف الأبعاد التي تحدد نوع العلاقة ودرجتها مما يجعل التنوع الأسلوبي تنوعًا لا حد له.

ولاحظوا أيضًا أن تحديد الأساليب وفقًا للموضوعات أو للأغراض عمل غير محكم، إذ يرون أن اللغوي الذي يحاول أن يحدد ما يمكن أن يسمى الأسلوب الديني أو الأسلوب القضائي أو الأسلوب الطبي.. الخ، أو ما يسمى الأسلوب الجامد أو الرسمي أو الاستشاري... الخ، إنما يحاول محاولة تحكمية من تحديد اللهجات الاجتماعية تحديدًا دقيقًا.

ويفسر أحد اللغويين ذلك بقوله: إن أنماط الأساليب ليس لها عادةً حقيقية

اجتماعية نفسية، فالناس ليسوا مدركين تمامًا لتنوع الأساليب وليس لديهم مثلا أسماء لكل نوع منها، مثل ما هو متوفر لديها من أسماء اللهجات المحلية.

وعلى الرغم مما قيل فدراسة الأساليب تحظى هذه الأيام باهتمام بالغ، والباحثون في هذا المجال في أول الطريق.

ومن الواضح أن المتكلم يستطيع أن ينتقل من أسلوب إلى أسلوب آخر، وبراعة المتكلم في الانتقال ودقته في مطابقة الأساليب لمقتضيات الأحوال لها تأثير بالغ في حياته ومستقبله.

فقد يوفق الشخص في اختيار الأساليب المناسبة للحديث مع شخص له أهميته فيفوز برضاه وتفتح له أبواب السعادة، وقد يخطئ آخر الطريق فيلقي السخط وتنغلق دونه الأبواب.

والناس يدركون هذا، ولعلنا لاحظنا أن بعض الذين يطمحون إلى الانتقال من طبقة إلى طبقة يحاولون ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا أن يصطنعوا لهجتها ويتحدثوا بأساليبها.

ومثل ذلك ما يحاول البعض من اصطناع أساليب الطبقة الدنيا تقربًا أو تطرفًا أو لقضاء حاجة من الحاجات أو لغير هذا وذلك.

ونلخص الآن أهم النتائج التي انتهينا إليها:

١- تتحدد اللهجة وفقًا لمعايير تراعي المتكلم، ويحددها المنطقة التي يقطنها، والطبقة التي يشغلها في المجتمع.

٢- يتحدد الأسلوب وفقًا لخصائص تتصل بالاستعمال اللغوي: موضوع الكلام وهدفه، وحال المخاطب وطبيعة علاقته بالمتكلم، والوسيلة التي يستخدمها في الاتصال.

٣- يستطيع المتكلم أن ينتقل من أسلوب إلى أسلوب، وبراعته في استخدام الأساليب وفقًا لمقتضيات الأحوال لها أهمية بالغة في حياته.

٤- تتنوع الأساليب تنوعًا بالغًا، وفقًا للأبعاد التي حددها الباحثون، ولعل هذا ما يغري الباحثين في ارتياد هذا المجال الدراسي الخصيب.

بقي في الموضوع إشارة موجزة إلى جهود علماء العربية في هذا المجال.

المقام عند علماء البلاغة:

لعلماء البلاغة العربية شأن كبير في دراسة المقام أو الحال، وما ينبغي أن يقال في كل مقام، بل إنهم عرفوا البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال يعنون بذلك أن يجيء الكلام مطابقًا للمقام أو الحال التي يكون عليها المخاطب، مثال ذلك أن نقول لمن ينكر حضور الأستاذ لإلقاء محاضرته: إن المحاضر قادم، فكون المخاطب منكرًا: حال أو مقام، ومجيء الكلام مؤكدًا: مطابق لحاله، وهذه هي البلاغة.

وقد أدركوا تفاوت المقامات وقالوا في ذلك كلامًا طيبًا يقول السكاكي: لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار ومقام البناء على السؤال يغاير البناء على الإنكار، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي ولكل من ذلك مقتضى غير الآخر.

ومن هذا النص نتبين أن علماء البلاغة قد أدركوا أن الكلام يتفاوت بتفاوت الأغراض وأحوال المخاطبين.

وقد وضعوا لذلك حدودًا استخلصوها من مأثور الكلام العربي وما ذكروه يشهد بدقة الحس ورفاهة الذوق.

فالسكاكي مثلا عند حديثه عن الإسناد الخبري يقرر أن الإسناد يختلف باختلاف أحوال السامع فإذا كان خالي الذهن لم يؤكد له، وإذا كان متحيرًا أكد له بمؤكد واحد، وإذا كان منكرًا أكد بمؤكدين أو أكثر.

وعند حديثه عن الأمر يقرر أنه يجيء في الأصل على سبيل الاستعلاء بيد أنه يأتي لأغراض أخرى لمراعاة أحوال المخاطبين.

فإذا كان من الأعلى للأدنى يكون أمرًا على الأصل أو تهديدًا أو زجرًا أو وعيدًا بحسب القرائن، وإن كان من المساوي يكون التماسًا أو سؤالا أو إباحة بحسب القرائن، وإن كان من الأدنى للأعلى يكون رجاء أو دعاء أو تضرعًا بحسب القرائن.

ملخص الوحدة الثالثة

الجماعة اللغوية ومعايير تعريفها:

١- المعيار اللغوي.

٢- الوحدة السياسية.

٣- التفاهم المشترك.

٤- الشعور بالانتماء.

الفصحى واللهجات المحلية:

- خصائص اللغة المعيارية.
- مراحل تكوين اللغة المعيارية.
- العربية الفصحى: لغة معيارية.
- اللهجات المحلية.
- لهجة الفرد.
- الثنائية.

اللهجات الاجتماعية:

- مفهومها وعلاقتها باللهجات المحلية.
- الطبقية في المجتمع المصري.
- الموقف الطبقي من اللغة العربية.

التنوع اللغوي في الأساليب:

- مفهوم الأسلوب.
- أبعاد التنوع الأسلوبي عند (هاليداي).
- أنواع الأساليب عند (مارتن جوز).
- المقام عند علماء البلاغة العرب.

أسئلة على الوحدة الثالثة

أسئلة محلولة:

ضع علامة (√) أو (X) بين القوسين فيما يأتي:

١- تعريف اللغة أو اللهجة يتوقف على تعريف الجماعة اللغوية. (√)

٢- وجود لغة أو لغات غير اللغة الرسمية يغري بظهور حركات انفصالية تنادي بالاستقلال عن الدولة. (√)

٣- اللغة الأمازيغية بالجزائر هي اللغة الرسمية للبلاد. (X)

٤- بين السويدية والنرويجية تشابه يسمح بالتفاهم بين سكانها. (√)

٥- الفصحى أو المعيارية مستوى لغوي مساوٍ لمستوى لهجات الخطاب. (X)

أسئلة يجيب عنها الطالب:

١- اللغة المشتركة هي اللغة التي يمكن لسامعها أن يتبين المنطقة التي ينتمي إليها المتكلم. ( )

٢- اللغة الفصحى أو المعيارية تحظى بمنزلة خاصة في مجتمعها. ( )

٣- وجود نظام هجائي ثابت للغة الفصحى يدعم مكانتها ويحافظ على أنظمتها المختلفة. ( )

٤- لا يتسلح أفراد الجماعة اللغوية في قبول الفروق التي لا ينبني عليها فروق في المعنى. ( )

٥- يتحدث أفراد الجماعة بطرق متشابهة لا متماثلة. ( )

٦- ليس لدى أفراد اللهجة المعينة إحساس بانتمائهم إلى لهجتهم. ( )

٧- قد يستخدم الشخص الواحد أشكالا لغوية مختلفة ليعبر بها عن نفس المعنى في ظروف مختلفة. ( )

٨- ضع العلامة (√) أو (X) فيما بين القوسين مما يأتي:

- تستخدم البريتونية في فرنسا، وتعد لغة رسمية. ( )

- التفاهم المشترك بين متحدثين لا يعني أنهما يتكلمان لغة واحدة. ( )

- تحدد الجماعة هويتها من ذاتها لا من خارجها. ( )

- قد ينتمي الفرد إلى أكثر من جماعة لغوية. ( )

٩- ضع العلامة (√) أو (X) فيما بين القوسين مما يأتي:

- نشرة الأخبار تعد مثالا للعربية الفصحى. ( )

- لم يكن للفصحى عند العرب قديمًا مكانة متميزة. ( )

١٠- أجب عما يأتي:

- ما المقصود بمرحلة توسيع الوظائف في اللغة الفصحى؟

- كيف نشأت اللغة العربية الفصحى في الحجاز قبل الإسلام؟

- ما أهم العناصر التي تؤلف تعريف اللغة الفصحى أو المعيارية؟

- ما العلاقة بين الفصحى ولهجاتها؟

١١- ضع العلامة (√) أو (X) فيما بين القوسين:

- الفصحى أكثر دقة وأجمل تعبيرًا وأكثر منطقية من اللهجات المحلية.( )

- اللهجات المحلية فساد وانحراف. ( )

بين السبب فيما اخترت..

١٢- أجب عما يأتي:

- ما العوامل التي تؤثر في نشأة اللهجات الاجتماعية؟

- هل يمكن للشخص الواحد أن يتحدث بلهجة محلية وأخرى اجتماعية؟

- ما الأسباب التي أدت إلى الجهل باللغة العربية والاستهانة بها؟

- كيف كان موقف جيل الثلاثينيات والأربعينيات من اللغة العربية؟

قارن هذا الموقف بموقف جيل السبعينيات والثمانينيات.

١٣- أجب عما يأتي؟

- ما العوامل التي تحدد الأسلوب؟

- ما الأبعاد التي حددها (هاليداي) لتحديد الأسلوب؟

- اذكر مع التمثيل الأساليب التي يمكن للفرد أن يستخدمها..

- (لعلماء البلاغة جهد واضح في دراسة الأساليب وربطها بالموضوع وبالمتلقي) اشرح مع التمثيل.

القسم الثانى

الوحدة الأولى

علم اللغة وفقه اللغة

الأهداف:

لماذا نعرض لعلم اللغة وفقه اللغة؟

تهدف الوحدة – حتى تجيب على السؤال السابق – إلى ما يأتي:

- تعريف علم اللغة، وتحديد المراد من هذا المصطلح.
- بيان المنهج الذي يتبعه هذا العلم في دراسة اللغة وملامح هذا المنهج.
- بيان الموضوع الذي يدرسه علم اللغة.
- بيان الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه.
- تحديد المصطلحات القديمة المستعملة في مجال دراسة اللغة.
- توضيح الفرق بين علم اللغة وفقه اللغة.

العناصر:

١- تعريف علم اللغة وبيان منهجه والهدف منه.

٢- تحديد المصطلحات المستعملة في مجال الدراسة.

٣- فقه اللغة في الفكر الغربي.

تعريف علم اللغة، وبيان منهجه:

يطلق مصطلح «علم اللغة» على العلم الذي يدرس اللغة دراسة علمية، وهو يقابل في اصطلاح اللغويين المحدثين المصطلح الانجليزي (**Linguistics**). وقد شاع هذا المصطلح – علم اللغة – شيوعا مبكرا في اللغة العربية عندما سجله الدكتور علي عبد الواحد وافي عنوانا لكتابه (علم اللغة) منذ أكثر من سبعين عاما.

وقد اتفق اللغويون والدارسون على أن هذا العلم يدرس اللغة دراسة علمية، بمعنى أنه يتخذ المنهج العلمي طريقة وأسلوبا يعالج به مسائل اللغة ويدرس به ظواهرها.

وقد أصبح هذا العلم علما رائجا في الكليات والجامعات، وبعض الدوائر الحكومية، وبين المتعلمين العاديين كما يقول «ماريو باي»، ومعنى ذلك أن (علم اللغة) أصبح تخصصا علميا مقررا في الكليات الجامعية، ومعاهد الدراسة له أساتذته ودارسوه.

وقد تم الاتفاق على أبرز سمات المنهج العلمي، وهي: الوضوح والانتظام أو الثبات، والموضوعية، فلا يمكن أن نطلق على أية دراسة أنها «علمية» إلا إذا تحققت فيها هذه الملامح أو السمات، ويستحسن توضيح هذه السمات بعض التوضيح.

١- الوضوح:

يراد منه وضوح الأسس والمبادئ التي تقوم عليها دراسة اللغة، ووضوح المصطلحات المستعملة في التحليل ووضوح الهدف من الدراسة؛ لأن الهدف من دراسة اللغة يوجِّه اللغوي نحو اختيار المنهج المناسب لتحقيق الهدف، كما سيتضح فيما بعد.

٢- الانتظام أو الثبات:

ويراد منه تسلسل خطوات الدراسة بحيث تُسْلِم كل خطوة إلى ما بعدها، كأن نبدأ بجمع المادة اللغوية التي يراد تحليلها، ثم نحدد طريقة التحليل ومنهجه ثم نلتزم بخطوات المنهج،... وهكذا حتى ننتهي من الدراسة واستخلاص النتائج.

٣- الموضوعية:

ويراد منها أن يتخذ الدارس موقف الحياد بقدر المستطاع نحو الظاهرة المدروسة، ولا يتخذ موقفا معينا سابقا، أو يعتنق فكرة معينة يريد إثباتها.

وعليه كذلك أن يترك المادة المدروسة نفسها تكشف عن نتائجها، وأن يسجل هذه النتائج بدقة وصرامة.

إن الالتزام بالسمات السابقة مع استكمال عدة البحث والتحليل، بالإضافة إلى الخبرة والمهارة؛ كل ذلك كفيل بتحقيق صفة العلمية في دراسة اللغة، وتحقيق

مفهوم (علم اللغة) الذي هو الدراسة العلمية للغة، يبقى بيان مجموعة من النقاط تتصل بما سبق، وتزيد من توضيح مفهوم (علم اللغة) والكشف عن منهجه، نذكر منها ما يلي:

الأولى: الكلام عن الدراسة العلمية للغة، وظهورها مع مطلع القرن العشرين يصدق على الدراسات اللغوية في الغرب، لكنه لا يصدق على الدراسات اللغوية عند العرب القدماء أو الهنود؛ لأن دراسات هاتين الأمتين كانت (علمية) إلى حد بعيد.

الثانية: لعل أول من حدد موضوع علم اللغة، وأخضعه لطريق الدراسة العلمية هو (فرديناند دي سوسير) الذي ذكر أن موضوع علم اللغة الصحيح والوحيد هو اللغة المدروسة في ذاتها ومن أجل ذاتها.

فهذا التحديد ينص على المنهج (الدراسة العلمية) وعلى الموضوع (دراسة اللغة في ذاتها)، وعلى الهدف (دراستها من أجل ذاتها).

الثالثة: علم اللغة – بمفهومه الحديث – لا يدرس لغة معينة، وإنما يدرس اللغة بوصفها ظاهرة إنسانية عامة؛ فيبدأ بتحليل أنظمتها المختلفة (صوتية وصرفية ونحوية ودلالية) وتحليل بنية هذه الأنظمة، كما يسعى إلى التعرف على كيفية أداء هذه الأنظمة وظائفها، وكيف تعمل اللغة في المجتمع، وعلاقتها بهذا المجتمع، ويحاول معرفة تغيرها أو تطورها، ومعرفة مستويات الأداء فيها (فصيح وعامي).

الرابعة: يركز علم اللغة تركيزا واضحا على دراسة اللغات الحية بصفة عامة، والجانب المنطوق منها بصفة خاصة، مع عدم إهمال الجانب المكتوب منها، واللجوء إلى دراسته عند الضرورة، لكن التركيز كله يتجه إلى دراسة اللغات الحية المنطوقة.

بقى أن نوضح الهدف من (علم اللغة)، ذلك الهدف الذي يفهمه كثير من الناس فهما خاطئا.

تركز الدراسة العلمية للغة على تحقيق الفهم الصحيح للغة، وهذا أساس الهدف من علم اللغة الذي هو الوصول إلى حقيقة اللغة؛ لاستثمار هذا الوصول وهذا الفهم الصحيح في أمور كثيرة تتصل بوظائف اللغة ودورها في الحياة والمجتمع.

تحديد المصطلحات المستعملة في مجال دراسة اللغة:

ذكرنا في الصفحات السابقة – وسنذكر بعد ذلك – أن دراسة اللغة دراسة علمية تمت في القديم عند الهنود والعرب، وتمت في العصر الحديث عند الغرب، أوربا وأمريكا، ولم يكن مصطلح (علم اللغة) هو المصطلح الوحيد الذي شاع استعماله في هذا المجال، وإنما استعمل الناس عدة مصطلحات أشهرها (فقه اللغة)، فما المراد بهذا المصطلح؟ وما علاقته بمصطلح (علم اللغة).

نحاول قراءة التراث – ولا سيما التراث اللغوي العربي – في محاولة للعثور على المصطلحات التي استعملت في مجال الدراسة اللغوية، تلك المصطلحات هي:

- **علم اللغة:**

استعمل عند العرب لدراسة مشكلات الثروة اللفظية وقضاياها، وأطلقه ابن خلدون على المعاجم، كالعين للخليل بن أحمد، والصحاح للجوهري، وأساس البلاغة للزمخشري، وفقه اللغة للثعالبي، يضاف إلى هذه المعاجم كتب الألفاظ الفصيحة مثل كتاب الألفاظ لابن السكيت والفصيح لثعلب، وغير ذلك من المؤلفات التي تعني بالثروة اللفظية كالإبدال والقلب والترادف والاشتقاق والمشترك اللفظي والأضداد، وغيرها.

- **اللغة + متن اللغة:**

مصطلحان عربيان، استعملهما القدماء في نفس المعنى السابق الذي استعمل فيه مصطلح (علم اللغة)، أي أنهما يشيران إلى موضوع الثروة اللفظية، وما يتصل به من مسائل وقضايا.

- **العربية + علم العربية:**

مصطلحان عربيان كذلك استعملهما القدماء للدلالة على موضوع النحو،

ومسائله وقضاياه، فيقول بعض القدماء عن أبي الأسود الدؤلي: إنه أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها.

ويذكر ابن فارس الحاجة إلى علم العربية؛ لأن الإعراب هو الفارق بين المعاني.

- **فقه اللغة:**

نصل أخيرا إلى مصطلح (فقه اللغة) الذي استعمل كثيرا، وأثار تساؤلات كثيرة في العصر الحديث وما زال الدارسون يخلطون بينه وبين علم اللغة في الفهم والاستعمال.

لعل السبب في ذلك استعمال المصطلح – فقه اللغة – في التراث العربي قديما، وقد جاء عنوانا لكتابين شهيرين أحدهما لابن فارس، وهو: (الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها) والثاني لأبي منصور الثعالبي، وهو (فقه اللغة وسر العربية)، وقد اختلطت موضوعات هذين الكتابين، وشملت مجالات كثيرة من (علم اللغة) و (فقه اللغة).

ومن أسباب الصعوبة والخلط كذلك كثرة استعمال المصطلح في العصر الحديث في الجامعات، وجعله عنوانا لكثير من الكتب والمؤلفات العلمية. ومن هذه الكتب: (فقه اللغة) للدكتور علي عبد الواحد وافي، و(مقدمة لدراسة فقه اللغة) للدكتور محمد أحمد أبو الفرج، و(فقه اللغة في الكتب العربية) للدكتور عبده الراجحي، و(دراسات في فقه اللغة) للدكتور صبحي الصالح، و(فصول في فقه العربية) للدكتور رمضان عبد التواب، وغير ذلك كثير.

والسبب الأساسي في الصعوبة والخلط استعمال المصطلحين في أحيان كثيرة كما لو كانا مترادفين. وزادت الصعوبة عندما قدم كثير من الدارسين مصطلح فقه اللغة ترجمة للمصطلح الغربي **Philology**، ومن المعلوم أن الفيلولوجيا يختلف مفهومها وموضوعها في الفكر الغربي عن مفهوم علم اللغة وموضوعه.

لكل ما سبق وجب علينا استعراض مفهوم فقه اللغة في الفكر العربي، ومفهومه في الفكر الغربي حتى يتبين لنا التحديد الواضح والدقيق للمصطلحات.

نبدأ بالفكر العربي القديم، وأفضل طريقة هي الاطلاع على محتويات الكتب القديمة التي حملت عنوان (فقه اللغة) وأولها كتاب (ابن فارس) الذي عرض فيه مسائل عامة في حياة اللغة، ومسائل صوتية، ومسائل صرفية ومسائل نحوية ومسائل دلالية، ومسائل بلاغية وأسلوبية. وتدخل هذه المسائل كلها تحت ما يمكن تسميته (أصول اللغة) لأن الكتاب اهتم بالأمور والقواعد العامة دون التعرض للفروع ومعنى ذلك أن هناك فرقا واضحا بين مفهوم (علم اللغة) في التراث، ومفهوم (فقه اللغة)؛ لأن مفهوم علم اللغة أوسع من مفهوم فقه اللغة.

وهذه الموازنة بين مفهوم فقه اللغة وعلم اللغة إذا طبقناها على محتويات كتاب (الثعالبي) يتضح لنا أن مفهوم علم اللغة أوسع من مفهوم فقه اللغة قليلا؛ لأنهما يشتركان في دراسة الثروة اللفظية.

لكننا نلاحظ شيئا خاصا في موضوعات الكتابين السابقين، هو دوران هذه الموضوعات حول ما يمكن تسميته (أصول اللغة)، أي القوانين العامة والقضايا الأصلية التي تحكم اللغة.

إذا تركنا التراث العربي القديم إلى العصر الحديث وجدنا مصطلح (فقه اللغة) يستعمل في الجامعات المصرية والعربية بما يقارب مفهوم (علم اللغة) أحيانا، وبما يمثل جانبا أو منهجا من جوانب علم اللغة أو مناهجه أحيانا أخرى.

ويتضح ذلك عندما ننظر في أشهر مؤلَّفيْن لعالم واحد هو الدكتور على عبد الواحد وافي، والمؤلفان هما (فقه اللغة) و (علم اللغة) حيث عرض في (علم اللغة) موضوعات تدور حول فروع علم اللغة ومناهج البحث فيها وعلاقة علم اللغة بغيره من العلوم. وهذه كلها موضوعات تدخل في صميم (علم اللغة) بمفهومه الحديث الذي هو الدراسة العلمية للغة.

أما موضوعات كتاب (فقه اللغة) فيدور حول استعراض فصيلة اللغات السامية – الأكادية والآرامية والعبرية والحبشية، والفينيقية والعربية،... الخ – ثم الحديث بتفصيل أكثر عن اللغة العربية وتطورها.

وهذا الاستعراض يجعل (فقه اللغة) خاصا بما يسمى الدراسات اللغوية المقارنة، أو المنهج المقارن، وهو جزء صغير جدا من مجال البحث في علم اللغة، أي أن فقه اللغة أضيق بكثير جدا من علم اللغة.

أما العلماء الآخرون، ومنهم الدكتور المبارك والدكتور أبو الفرج والدكتور رمضان عد التواب، فيستعملون (فقه اللغة) ويريدون منه أبحاثا وموضوعات من صميم علم اللغة، ويذكرون صراحة أن المراد من فقه اللغة: الدراسة العلمية للغة.

وإذا جئنا إلى الدراسات اللغوية المنطلقة من كلية دار العلوم، وبحسب مناهجها، وجدنا أن (فقه اللغة) يراد منه الكشف عن القوانين التي تحكم حياة اللغات بصفة عامة، واللغة العربية بصفة خاصة، وتطورها، ولهجاتها قديما وحديثا وعلاقتها باللغات السامية.

- **فقه اللغة في الفكر الغربي:**

نستعمل مصطلح (فقه اللغة) مقابلا وترجمة للمصطلح الغربي **Philology** الذي يعد أقدم في الاستعمال من المصطلح (علم اللغة) مقابلا وترجمة للمصطلح الإنجليزي **Linguistics** استعمل مصطلح (فيلولوجيا = فقه اللغة) في الدلالة على محاولة إحياء دراسة اللغتين اليونانية واللاتينية، ونقد نصوصهما القديمة بعد إحياء هذه النصوص، وشرحها شرحا لغويا وما يتصل بهذا الشرح من إشارات تاريخية وجغرافية وغيرهما.

ثم تطور المفهوم بعد القرن الثامن عشر واكتشاف القرابة اللغوية بين اللغة السنسكريتية واللغتين اليونانية واللاتينية وأصبح يطلق على الدراسات المقارنة والتاريخية.

وتغير هذا المفهوم في بداية التدريس بالجامعة المصرية (جمعة القاهرة الآن). وتحديدا في عام ١٩٢٦ عندما ذكر السنيور اغناطيوس جويدي أن كلمة **Philology** تصعب ترجمتها إلى العربية؛ لأن لها معنى في اللغات الغربية

خاصا لا يتفق عليه أصحاب العلم والأدب.

ولعل أقرب الآراء إلى ما نحن فيه أن هذا المصطلح يطلق على درس اللغة، ودراسة الحياة العقلية من جميع وجوهها ودراسة تاريخ اللغة، وتحقيق النصوص وغير ذلك من موضوعات توسع المفهوم جدا.

ونستخلص مما سبق أن (فقه اللغة) ترجمة للمصطلح الغربي (فيلولوجي) = **Philology** يعني ما يأتي:

- تحقيق النصوص وشرحها وما يتطلبه ذلك من دراسة جوانب لغوية صرفية ونحوية ومعجمية.
- الدراسة المقارنة للغات.
- دراسات تشمل الثقافة والتاريخ والتقاليد والآداب الخاصة باللغة المدروسة.

يرى بعض الغربيين وثاقة الصلة بين علم اللغة وفقه اللغة، ولا مانع من استعمالهما كما لو كانا مترادفين، أي بمعنى واحد غالبا.

والرأي عندنا أن نستعمل مصطلح (علم اللغة) في مفهوم الدراسة العلمية للغة مقابلا للمصطلح الإنجليزي **Linguistics**، ونستعمل مصطلح (فقه اللغة) في الدراسات اللغوية المتصلة باللغة العربية وحياتها وتاريخها ولهجاتها ومشكلاتها وقضاياها.

ملخص الوحدة الأولى

شرحت الوحدة تعريف (علم اللغة) وبينت المراد منه والدراسة العلمية للغة، ووضحت سمات المنهج العلمي الذي تدرس به اللغة وأهم سمات هذا المنهج وهي الوضوح والانتظام أو الثبات والموضوعية.

وذكرت الوحدة متى ظهرت الدراسة العلمية للغة، وأول من حدد موضوع علم اللغة كما بينت طريقة الدراسة العلمية للغة، وتركيز العلم على اللغات الحية، والجانب المنطوق منها بخاصة، ثم حددت الهدف من علم اللغة.

وعرضت الوحدة لمجموعة من المصطلحات القديمة المستعملة في الدراسة اللغوية في التراث العربي كعلم اللغة، واللغة ومتن اللغة والعربية وعلم العربية وفقه اللغة، وذلك كله بهدف التعريف بمصطلح فقه اللغة، وعلاقته بعلم اللغة.

وقد استتبع ذلك استعراض مفهوم (الفيلولوجيا) عند الغربيين، والموضوعات التي يدرسها، ونقل هذا المصطلح إلى اللغة العربية، وما يراد منه الآن.

أسئلة على الوحدة الأولى

المجموعة الأولى:

أجب عن الأسئلة الآتية إجابة مفصلة:

س١: لماذا نعرض للتعريف بعلم اللغة، وفقه اللغة؟

س٢: ما معنى دراسة اللغة دراسة علمية؟

س٣: ما المنهج الذي ندرس به اللغة؟ وما سمات هذا المنهج؟

س٤: كيف يدرس (علم اللغة) اللغة؟

س٥: اشرح المراد من المصطلحات الآتية في التراث العربي:

اللغة – متن اللغة – علم اللغة – العربية – علم العربية.

س٦: هناك صعوبات ظاهرة في تحديد المراد من مصطلح (فقه اللغة). اشرح أسباب هذه الصعوبات.

س٧: اذكر أسماء بعض المؤلفات التي تحمل عنوان (فقه اللغة).

س٨: ما دلالة مصطلح (فيلولوجي **Philology** = فقه اللغة) في الفكر الغربي؟

س٩: حدد الفرق الواضح بين المراد من (علم اللغة) و (فقه اللغة) في التصور اللغوي الحديث.

المجموعة الثانية:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيا يأتي:

١- علم اللغة هو الدراسة العلمية للغة.

٢- علم اللغة هو المقابل العربي للمصطلح الانجليزي **Philology**.

٣- فقه اللغة هو المقابل العربي للمصطلح الغربي **Linguistics**.

٤- التحليل اللغوي يتجه إلى دراسة أنظمة اللغة.

٥- أول من حدد موضوع علم اللغة في العصر الحديث هو (بلومفيلد).

٦- تمت دراسة اللغة بصورة علمية قديما عند الانجليز والألمان.

٧- يركز (علم اللغة) على دراسة اللغات الميتة.

٨- يركز (فقه اللغة) على دراسة النصوص القديمة وتحقيقها.

٩- تعني الموضوعية في دراسة اللغة اتخاذ موقف الحياد.

١٠- يدرس (علم العربية) عند القدماء مشكلات الثروة اللفظية.

المجموعة الثالثة:

أكمل العبارات الآتية بكلمة أو عبارة صحيحة:

١- تمت ترجمة (فيلولوجي) إلى العربية بالمصطلح ....

٢- تمت ترجمة **Linguistics** إلى العربية بالمصطلح ....

٣- من ملامح المنهج العلمي ....، ....

٤- أول من حدد موضوع علم اللغة هو..................

٥- الأمتان القديمتان اللتان درستا اللغة بطريقة علمية هما..................، ....

٦- فقه اللغة في التراث العربي يدرس..................

٧- علم العربية في التراث العربي يدرس..................

٨- من أسباب صعوبة التعريف بفقه اللغة وموضوعاته..................

٩- صاحب كتاب (فقه اللغة وسر العربية) هو ....

١٠- من الموضوعات المعروضة في كتاب ابن فارس..............، ....

الوحدة الثانية

علوم اللغة ومنهج البحث فيها

الأهداف:

تهدف هذه الوحدة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- إلمام الطلاب والدارسين بعلوم اللغة الأساسية، وهي العلوم المؤسسة على تشقيق اللغة المدروسة إلى فروع أو مستويات تحليلية بحسب الأنظمة التي تتألف منها اللغة.
- توضيح العلاقات اللغوية والبحثية التحليلية بين العلوم والمستويات.
- تحديد المناهج العلمية وتوضيح أسس البحث فيها لدراسة الظاهرة اللغوية.
- تثبيت مفهوم الدراسة العلمية للغة، ببيان جوانب ومظاهر ومناهج تتصل بعلمية الدراسة وتشرح فكرتها حول ذلك المفهوم الذي هو التعريف الأساسي لعلم اللغة.

العناصر:

أولاً: علوم اللغة ومستويات التحليل:

١- علم الأصوات.

٢- علم الصرف.

٣- علم النحو.

٤- علم الدلالة.

ثانيًا: مناهج البحث في علم اللغة:

١- المنهج المعياري.

٢- المنهج الوصفى.

٣- المنهج التاريخي

٤- المنهج المقارن.

٥- المنهج التقابلي.

يعد الحديث عن هذه الوحدة، وعن جزئياتها التفصيلية أمرا مكملا لموضوع الوحدة الأولى وهو التعريف بعلم اللغة، والحديث عن الدراسة العلمية للغة؛ لأن هذه الدراسة العلمية تقتضي (تجزيء) الشيء المدروس، و(تقسيمه) أو (تشقيقه) إلى عناصر صغيرة يمكن دراستها وتحليلها.

ويتم التقسيم بطريقة لا تفسد الشيء المراد دراسته وفي نفس الوقت يحقق الهدف المراد، وهو سهولة الدراسة وعموم النفع وتمام الفائدة، والفحص الدقيق للشيء المدروس حتى نفهم طبيعته وحقيقته، وهذا الشيء المدروس في حالتنا هنا هو اللغة.

وقد ذكرنا أن اللغة نظام يتألف من عدة أنظمة صغرى تعمل متعاونة لأداء وظيفة اللغة في المجتمع، ونتوقع أن تختلف وجهات النظر حول تقسيم الشيء المدروس هل نعتد بجانب اللفظ أو الشكل في مقابل المعنى أو المضمون فيكون التقسيم ثنائيا، أم نزيد من التشقيق والتقسيم؟

قدم العلماء تقسيمات كثيرة بعضها ثنائي، وبعضها ثلاثي، أو رباعي، أو خماسي، ولا مانع من ارتضاء أشهر هذه التقسيمات لقربه من طبيعة اللغة وإمكان التحليل والدراسة.

ولاستكمال صفة (العلمية) لدراسة اللغة قدموا مجموعة من المناهج تبلورت مبادؤها خلال سنين وتجارب كثيرة. وبالجمع بين علوم اللغة أو مستويات التحليل فيها، ومناهج التحليل والدراسة تكتمل صفة العلمية المطلوبة لدراسة اللغة.

* وسوف نعرض لهذين الموضوعين – العلوم والمناهج – فيما يأتي...

أولا- علوم اللغة ومستويات التحليل:

نختار التقسيم المشهور الذي ارتضاه كثير من العلماء والدارسين، وهو المناسب للتحليل والملائم لطبيعة أنظمة اللغة وطريقة عملها. يتضح هذا التقسيم فيما يلي:

١- علم الأصوات:

وهو المتعلق بدراسة أصوات اللغة، سواء على المستوى اللغوي العام المتعلق باللغة الإنسانية بصفة عامة، أو على المستوى اللغوي الخاص بكل لغة على حدة.

ويدرس هذا المستوى علمان كبيران، هما: علم الأصوات العام، وعلم الأصوات الوظيفي.

أ- علم الأصوات العام Phoneyics:

يدرس هذا العلم الأصوات اللغوية من ناحية خصائصها النطقية دون ربطها باستعمال لغة معينة، أي بدون النظر إلى وظائف الأصوات في لغة من اللغات، فيدرس عملية الهمس والجهر، والتفخيم والترقيق، ومخارج الأصوات،.. الخ دون ربط تلك الصفات بالاستعمالات الخاصة بكل لغة.

المهم أن هذا العلم نفسه ينقسم داخليا إلى ثلاثة علوم، هي علم الأصوات النطقي، أو الإنتاجي، وهو العلم الذي يدرس عملية النطق وإنتاج الأصوات من حيث دراسة أعضاء النطق، وصفات الأصوات بين الهمس والجهر، والتفخيم والترقيق والانفجار والاحتكاك، أو الشدة والرخاوة، ومخارج الأصوات أو مواضع النطق.

والعلم الثاني الفرعي هو علم الأصوات السمعي الذي يدرس عملية استماع الأصوات اللغوية واستقبالها، فيدرس الأذن وأعضاءها وأعصاب السمع التي تترجم استقبال الذبذبات الواردة إلى طبلة الأذن إلى أصوات لغوية مسموعة.

وثالث العلوم هو علم الأصوات الفيزيائي أو الأكوستيكي وهو الذي يدرس انتقال الصوت في الهواء الواقع بين فم الناطق (المرسِل) وأذن السامع

(المستقبل)، فيدرس علو الصوت وانخفاضه، وما يتعلق بذلك من فناء أو تلاشي.. الخ.

ب- علم الأصوات الوظيفي Phonology:

ويدرس هذا العلم الأصوات اللغوية الخاصة بكل لغة على حدة، كما يدرس وظائف هذه الأصوات في اللغة المدروسة وما تقوم به من التفريق بين معاني الكلمات، ويدرس كذلك النظام المقطعي الخاص بكل لغة وتوزيعات النبر وأنماط التنغيم فيها.

٢- علم الصرف Morphologu:

يدرس الكلمات وأجزاء الكلمات في لغة معينة، ووظائف الكلمات في هذه اللغة، فيدرس الاشتقاق والجذور واللواصق (السوابق واللواحق والأواسط) والتغير الداخلي.

كما يدرس الأقسام العامة للكلمات (أسماء وأفعال وأدوات) والمشتقات والنسب والتصغير، إلى غير ذلك مما يتصل بالكلمات وأجزاء الكلمات.

٣- علم النحو Syntax:

ويدرس الجمل وأجزاء الجمل، فيبحث تركيبها، وتنظيم الكلمات فيها واختيار الكلمات المناسبة لكل موقع وعلاقة الكلمات في داخل الجملة بعضها ببعض ومظاهر المطابقة والانسجام بين هذه الكلمات من حيث العدد (المفرد والمثنى والجمع) والجنس (التذكير والتأنيث) والتعيين (التعريف والتنكير) .. الخ.

وأخيرا يدرس ظاهرة الإعراب في اللغات التي تتميز به، مثل اللغة العربية التي تطبق الإعراب بوصفه نظاما كاملا.

٤- علم الدلالة Semantics:

ويهتم بدراسة المعنى المستفاد من اللغة سواء من مفرداتها وكلماتها، أو من تراكيبها واستعمالاتها في المواقف الحياتية المعينة؛ ولذلك يحلو لكثير من اللغويين أن يقسموه إلى قسمين أو ثلاثة أقسام، أو علوم تتضح فيما يلي:

أ- علم المعجم أو المفردات Lexicology:

وهو يدرس ويبحث في مفردات اللغة، ناظرا إليها من حيث الاشتقاق والأبنية والدلالات المعجمية لهذه الكلمات، كما يدرس معها ما يسمى التعبيرات الاصطلاحية والحقيقة والمجاز والترادف والمشترك اللفظي والتضاد، وتطور دلالات هذه الألفاظ، وكل ما يتعلق بالثروة اللفظية.

ب- علم المعنى أو الدلالة Semantics:

ويدرس دلالة المفردات، ودلالة التراكيب في لغة معينة مركزا على ما يمكن تسميته (الدلالة الثابتة) المسجلة في كتب اللغة، والمتفق عليها في أذهان أصحاب هذه اللغة، مثل دلالة لفظ (الأسد) على الحيوان المعروف، ودلالة أسلوب الاستفهام على طلب العلم بشيء مجهول في ذهن السائل.

ج- علم التخاطب والاستعمال أو التداولية Pragmatics:

ويدرس دلالة الاستعمال اللغوي في المواقف الحية أو المقامات السياقية الاجتماعية، مثل دلالة لفظ (الأسد) على الرجل الشجاع في استعمال، ودلالته على الحيوان المعروف في استعمال آخر. ومثل دلالة الاستفهام على طلب العلم بشيء مجهول في استعمال، ودلالته على السخرية، أو الإعجاب، أو التعظيم، أو التهوين .. الخ في استعمالات ومواقف أخرى.

وعلى العموم ليس هناك اتفاق تام بين اللغويين على هذه المستويات، أو الفروع أو العلوم، لكن المتفق عليه فيها بينهم جميعا هو وثاقة الصلة وقوة العلاقة بين المستويات التحليلية؛ لأنها تمثل أنظمة لغوية داخل النظام العام للغة، وهذه الأنظمة تعمل متعاونة لكي تؤدي اللغة وظائفها المنوطة بها، وكذلك علوم اللغة تعمل متعاونة لكي تشرح طبيعة اللغة، وتجعلنا نفهم حقيقتها وحقيقة وحداتها اللغوية الصغرى، وطريقة عمل هذه الوحدات.

ولعل الدليل على الصلة الوثيقة بين هذه الفروع أو العلوم زيادة على تعاونها وإفادة بعضها بعضا أن هناك مسائل وموضوعات مشتركة بين علمين فأكثر،

من ذلك مسائل الإدغام والإبدال والإعلال التي تقع موقعا وسطا بين علم الأصوات (بمفهومه الواسع) وعلم الصرف؛ لأنها مسائل صوتية = علم أصوات، لكنها مرتبطة ببنية الكلمة = صرف. ولذلك اخترع لها الأمريكان علما وسيطا هو علم التغيرات الصوتية الصرفية **Morphophonemics**. ودرسها العلماء العرب فيمن قسم من التصريف سَمَّوه التغيرات اللفظية في مقابل التغيرات المعنوية

وعلاقة علم الصرف بعلم النحو وثيقة فكل ظاهرة صرفية لها تأثير مباشر في النحو. خذ مثلا ظاهرة التعدي واللزوم، أو ظاهرة التذكير والتأنيث أو العدد، وانظر إلى تأثيرها في بناء الجملة إعرابا ومطابقة.

وهكذا تعمل العلوم متعاونة ويؤثر بعضها في بعضها الآخر.

ثانيًا- مناهج البحث في علم اللغة:

ظهر التحديد الواضح والحاسم بين مناهج البحث في علم اللغة على يد اللغوي الرائد (فرديناند دي سوسير) الذي فَصَلَ فصلا قاطعا بين الدراسة الوصفية والدراسة التاريخية للغة، وإليه يعود الفضل الكبير في العصر الحديث في هذا الشأن.

إن الذي يتتبع الدراسات اللغوية خلال تاريخها الطويل يلاحظ وجود أفكار ودراسات وتطبيقات تنتمي إلى كثير من المناهج البحثية التي عرفناها الآن في عالمنا المعاصر؛ فقد عُرِف المنهج المعياري أو كثير من مبادئه لدى اليونان ولدى الرومان ولدى العرب، وعُرِف المنهج الوصفي، أو كثير من مبادئه وتطبيقاته لدى الهنود، ولدى العرب.

ويمكن أن نعثر على أفكار، وتصريحات لدى اليونان حول المنهج التاريخي، أو التقابلي، عندما لاحظوا الاختلافات بين الاستعمالات القديمة والطارئة لليونانية، وعندما ناقشوا بعض مشكلات الترجمة بين اليونانية ولغات الشعوب المستعمرة.

ونعثر على أفكار مماثلة لدى العرب كذلك تتصل بالمنهج التاريخي،

أو المقارن، أو التقابلي.

هذا كله واضح ومقرر عند الذين درسوا تاريخ البحث اللغوي واتجاهاته، وواضح لديهم كذلك سيطرة المنهج التاريخي والمقارن على مجالات البحث اللغوي في أوربا في القرن التاسع عشر ومعظم القرن الثامن عشر من قبله.

ولعل الذي دفع (فرديناند دي سوسير) إلى تحديد فكرة المنهج الوصفي، وتمييزه عن المنهج التاريخي مجموعة من الأسباب يأتي في مقدمتها محاولته تحقيق الشروط اللازمة لدراسة اللغة دراسة علمية، ومعايشته لمجموعة (النحاة الشبان) وولعهم بالمنهج التاريخي في دراسة اللغة وعدم نجاح هذا المنهج نجاحا كاملا في تحليل الظواهر اللغوية تحليلا علميا مقبولا.

وبعد (فرديناند دي سوسير) صار واجبا على أي لغوي يريد دراسة اللغة، أو دراسة قطاع منها، أو ظاهرة من ظواهرها، صوتية أو صرفية أو نحوية أو معجمية، صار واجبا عليه أن يعتمد منهجا من المناهج التي استقرت في البحث اللغوي، واعتمدها اللغويون، ووافقوا عليها، تلك المناهج هي: المعياري، والوصفي، والتاريخي، والمقارن، والتقابلي.

وسوف نقدم تعريفا موجزا بكل واحد منها؛ حتى يتعمق فهمنا وتتضح معرفتنا بعلم اللغة الحديث ومناهج البحث فيه.

- **المنهج المعياري Normative Method:**

يقوم هذا المنهج على اختيار نمط من الأداء اللغوي، أو نموذج من نماذج الاستعمال الذي يكون فصيحا راقيا في الغالب، وتستخلص مادته وأمثلته من اللغة الأدبية والخطب الرسمية.

وتتم دراسة هذه النماذج بعناية وتدقيق بهدف استخلاص القواعد التي ينبغي السير عليها، واعتمادها في الاستعمال، والرجوع إليها في الحكم بالصواب أو الخطأ.

ويعتمد القول بالصواب أو الخطأ على أساس القواعد والمعايير المستنبطة من النصوص النموذجية المختارة للدراسة، فما وافق هذه القواعد والمعايير كان

صوابًا، وما خالفها كان خطأ، ولذلك سُميَّ (المنهج المعياري).

وتتلخص فكرته وطبيعته في انطلاقه مما ينبغي أن يقال، وليس مما يقال بالفعل، أي اعتماد مبدأ (قُلْ كذا.. ولا تقل كذا..)

نفهم مما سبق أن المنهج المعياري يقوم على النظر إلى اللغة بوصفها ظاهرة جامدة، ويعني ذلك أن قواعدها المستخلصة لا تتغير، وأن المعياريين ينكرون التغير اللغوي، ويؤمنون بثبات اللغة، ويرون أن أي تغير في اللغة يعد فسادًا وتجب مقاومته، والتصدي له بالتصحيح.

ويتخذ المعياريون من أنفسهم حكاما على مستعملي اللغة، يملكون الحق في إصدار الحكم على ما يقوله الناس فما وافق قواعدهم كان صوابا، وما خالفها كان خطأ، ويفرضون هذه القواعد فرضا على استعمال الناس.

وقد سبق القول بأن هذا المنهج ساد عند اليونان والرومان والعرب وظل سائدا في العصور الوسطى وحتى مطلع العصر الحديث، وبعد ذلك زاحمته مناهج البحث الأخرى، لكنه مازال ساريا مع الاتجاهات المحافظة، وخصوصا في الفكر العربي للمحافظة على معيار العربية الفصحى القديمة لارتباطها بالقرآن الكريم والسنة الشريفة، وضرورة المحافظة على سلامة استعمال لغتهما نطقا وفهما واستدلالاً.

- **المنهج الوصفي:**

هو المنهج الذي يقوم على الملاحظة المباشرة للظواهر اللغوية الموجودة بالفعل، ووصف واقع اللغة وصفا علميا موضوعيا يركز على مستوى معين من الأداء اللغوي في مكان محدد وزمان محدد، بهدف وصف اللغة المدروسة دون فرض نتائج هذا الوصف على مستعملي هذه اللغة؛ لأن اللغوي الوصفي ينحي (الأحكام) و(القواعد) جانبا، ويلتزم بتسجيل ما يسمعه ويلاحظه بقدر المستطاع.

وعلى الرغم من أن بذور المنهج الوصفي قد عرفها تاريخ البحث اللغوي منذ الهنود والعرب حتى العصر الحديث إلا أن الفضل في تأصيل هذا المنهج

ووضع أسسه، والنص عليه، والفصل بينه وبين بقية المناهج، ولاسيما المنهج التاريخي، يعود – هذا الفضل – إلى العالم اللغوي (فرديناند دي سوسير).

وتتلخص ملامح هذا المنهج وأسس البحث فيه في ثلاثة أسس، هي: وحدة المكان، ووحدة الزمان، ووحدة المستوى اللغوي المدروس.

١ – وحدة المكان:

يفرض الوصفيون تحديد المكان الذي تستعمل فيه اللغة المراد دراستها دراسة وصفية.

ويتسع تحديد المكان أو يضيف بحسب الظاهرة اللغوية المدروسة، فلا يتسع اتساعا كبيرا بحيث نعثر على اختلافات واضحة في أمثلة الظاهرة المدروسة، ولا يضيق ضيقا شديدا بحيث يجعلنا نهمل أمثلة مهمة للظاهرة المدروسة والسبب في هذا التحديد أن اللغة تختلف في استعمالها باختلاف الأماكن، وهذا أمر مشاهد ومعروف للجميع.

٢ – وحدة الزمان:

أوجب الوصفيون على دارس اللغة بحسب منهجهم أن يحدد الفترة الزمانية للغة التي يريد دراستها، بحيث لا تتسع أو تطول فيكون للظاهرة المدروسة أمثلة مختلفة متغيرة باختلاف الزمان فيضطرب التحليل وتختلف النتائج لأن اللغة تتغير بتغير الزمان.

ولذلك يحرص اللغويون حرصا شديدا على ألا تطول الفترة الزمنية المرصودة لدراسة اللغة فيها حتى لا يكون قد وقع تغيير في هذه اللغة.

ولعل أوضح مثال لذلك هو الاختلافات الواضحة بين بعض الظواهر اللغوية في اللغة العربية خلال رحلتها الطويلة من زمن العربية البائدة والجاهلية وعربية العصور الإسلامية الأولى مرورا بعربية العصر العثماني ثم عربية العصر الحديث.

٣- وحدة المستوى اللغوي:

نقصد بالمستوى اللغوي هنا مستوى الأداء والاستعمال فالملاحظ أن أداء الشاعر يختلف - قليلا أو كثيرا - عن أداء الناثر، وأداء الملتزم باستعمال المستوى الفصيح يختلف عن أداء الذي يستعمل اللهجة العامية.

ويلاحظ - كذلك - أن لغة الصحافة تختلف عن لغة التأليف العلمي، وهما تختلفان عن لغة القصة أو المسرحية... وهكذا لهذا السبب، ومنعا للخلط والاضطراب في وصف الظواهر اللغوية أوجب الوصفيون تحديد المستوى اللغوي المدروس بعد تحديد الأسس السابقة - الزمان والمكان والمستوي - يقوم الوصفيون بدراسة اللغة ما هي في واقع الاستعمال بالفعل دون النظر إلى تصويب هذا الاستعمال أو تخطئته لأنهم مهتمون بما يقال، لا بما ينبغي أن يقال، وليس من مهمتهم وضع قواعد يفرضونها على أحد، بل يقدمون وصفا علميا دقيقا لما هو موجود بالفعل.

إنهم في هذا يشبهون (معامل التحليل الطبية)، يأخذون العينات، ويحللونها، ويسجلون نتائج التحليل فقط ولا يشغلون بالهم بعد ذلك بأمور العلاج وإجراء العمليات الجراحية؛ فهذه مسئولية أطباء آخرين. وكذلك الأمر في وصف اللغة، ينتهي عمل الوصفيين عند نهاية التحليل ورصد النتائج، ليبدأ عمل لغويين آخرين، كل بحسب اهتمامه وتخصصه.

- **المنهج التاريخي:**

يهتم المنهج التاريخي بدراسة اللغة في فترتين زمنيتين مختلفتين فأكثر. وقلنا: (مختلفتين) لكي نضمن حدوث تغيرات لغوية بين الفترتين تسمح برصدها وملاحظتها ودراستها.

ومعنى ذلك أن المنهج التاريخي مهتم برصد التغيرات التي تصيب الظواهر اللغوية في جميع مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وتسجيل هذه التغيرات والموازنة بين التغيرات الحادثة في الفترتين لمعرفة أمور كثيرة تتصل

بحياة اللغة المدروسة، واتجاهات التغير فيها، وأسباب هذا التغير، واستشراف حياة هذه اللغة في المستقبل.

نستخلص مما سبق ملامح المنهج التاريخي وأسس البحث فيه، وهي:

- **وحدة المستوى المدروس**: فلا يخلط الدارس بين لغة الشعر ولغة النثر، أو بين المستوى الفصيح والمستوى العامي.
- **وحدة المكان**، فلا يخلط الدارس بين استعمالات لغوية مأخوذة من بيئتين مكانيتين مختلفتين.
- **تعدد الزمان**، إذ ينبغي على الدارس اختيار فترتين زمنيتين مختلفتين فأكثر، ويدرس اللغة فيهما حتى يلاحظ التغيرات التي أصابت اللغة.

ولتوضيح هذا الأساس نقول: إن الدارس يمكن أن يدرس حال اللغة العربية في العصرين الجاهلي والعباسي، أو يدرسها في العصرين العباسي والعثماني، أو في هذه العصور كلها؛ ليلاحظ التغيرات التي أصابت بعض ظواهرها ويرصد اتجاهات هذه التغيرات وأسباب حدوثها.

نفهم مما سبق أن المنهج التاريخي يعتمد على اللغة المكتوبة أكثر من اعتماده على اللغة المنطوقة نظرا لفقدان المادة المنطوقة على مر الزمن. وهو في هذا يختلف عن المنهج الوصفي.

كما نفهم أن المنهج التاريخي يعتمد على المنهج الوصفي، ولا يعتمد المنهج الوصفي على التاريخي، لأن المنهج التاريخي يعد تطبيقا للمنهج الوصفي مرتين فأكثر، وجمعا بين هذه المرات.

- **المنهج المقارن:**

ظهر هذا المنهج في أواخر القرن الثامن عشر بعد اكتشاف اللغة السنسكريتية ومعرفة القرابة اللغوية بينها وبين اللغتين اليونانية واللاتينية ثم ازدهر بعد تطور البحث التاريخي، وبعد إدراك كثير من العلماء في أوربا للقرابة اللغوية بين اللغات العربية والعبرية والآرامية والحبشية.

إذن ينطلق هذا المنهج من فكرة القرابة اللغوية بين مجموعة من اللغات ثبت بعد ذلك أنها تمثل أسرة أو عائلة واحدة، مع الأخذ في الاعتبار أن فكرة القرابة اللغوية تعني وجود أوجه اتفاق وأوجه اختلاف بين لغات هذه الفصيلة.

ويمكن استخلاص أسس هذا المنهج وعرضها فيما يأتي:

- وحدة الفصيلة أو العائلة اللغوية: ينبغي أن تتم المقارنات بين لغتين فأكثر من لغات فصيلة واحدة؛ حتى ندرك القرابة بينها، ونضع أيدينا على الاتفاق والاختلاف، ونستخلص نتائج أخرى كثيرة تخدم الدراسات التاريخية والوصفية وحتى المعيارية.
- الاستعانة بالمنهج التاريخي؛ لأننا لا نستطيع تتبع الظواهر اللغوية المتفقة بين اللغات التي تتم المقارنة بينها، ولا تتبع الظواهر المختلفة إلا بالاعتماد على نتائج الدراسة التاريخية.

ويعني ما سبق كله وضوح العلاقة بين المنهج التاريخي والمنهج المقارن، وهناك من يذهب إلى أن الدراسة المقارنة جزء من الدراسة التاريخية، لكن الفرق بينهما يظهر في تركيز المنهج التاريخي على تتبع التغيرات في لغة واحدة ودراسة تاريخها، وتركيز المنهج المقارن على تتبع لغتين فأكثر من نفس الفصيلة، مع ملاحظة الهدف الخاص بكل منهج، فالتاريخي يرصد التغيرات التاريخية، والمقارن يرصد مظاهر القرابات اللغوية.

- **المنهج التقابلي Contrastive Method**

يعتمد على دراسة لغتين فأكثر تنتمي كل منها إلى فصيلة لغوية مختلفة، كأن ندرس ظاهرة معينة في اللغة العربية (من الفصيلة السامية) واللغة الإنجليزية (من الفصيلة الهندو أوربية)، وذلك بهدف معرفة مواطن الاتفاق ومواضع الاختلاف في الظواهر المدروسة فيتم التركيز على مواضع الاختلاف عند تعليم اللغات الأجنبية لأنه يتوقع أنها تمثل صعوبات حقيقيه لدى الدارسين عند تعليم اللغات الأجنبية، مثل الأصوات الحلقية أو المفخمة في العربية عندما

نريد تعليمها لغير العرب، ومثل ظاهرة التذكير والتأنيث أو التعريف والتنكير.

إذن تقوم الدراسة التقابلية على مجموعة من الأسس تتضح فيما يلي:

- اعتماد الدراسة على ظواهر من لغات مختلفة الفصائل اللغوية وهذا فارق جوهري بين المنهج التقابلي والمنهج المقارن.
- تحديد المستوى اللغوي المدروس، كالفصيح أو العامي، أو اللغة العلمية أو الفنية... الخ.

وتتفق المناهج اللغوية كلها في هذا الأساس ما عدا المنهج المعياري الذي لا يعتمد إلا على المستوى الفصيح.

- البدء بالدراسة الوصفية للظاهرة في كل لغة على حدة ثم نقابل بين اللغتين.
- الكشف عن مواطن الاتفاق ومواطن الاختلاف مع التركيز على مواطن الاختلاف لتوقع الخطأ فيها لدى الدارسين.

هذه هي مناهج البحث اللغوي التي اتفق عليها اللغويون وقامت دراسات كثيرة جدا على أسسها. ومن الطبيعي أن تتركز الاهتمامات بمنهج دون آخر في مكان معين أو في زمان معين. وسوف نعرف تفصيلات أخرى عن ذلك في الوحدة الرابعة (تاريخ البحث اللغوي).

ملخص الوحدة الثانية

تناولت هذه الوحدة التعريف بموضوعين كبيرين من موضوعات علم اللغة، هما فروع علم اللغة، أو مستويات البحث فيها أو علومها تلك العلوم التي تتعاون فيما بينها لدراسة اللغة، وتوضيح ظواهرها المختلفة، والكشف عن حقيقتها.

وقد بينت الوحدة اختلاف العلماء حول عدد المستويات أو العلوم ما بين اثنين إلى خمسة أو ستة قد تتفرع إلى ثمانية أو تسعة، وذكرت سبب ذلك، وهو اختلاف وجهات النظر واتجاهات الدارسين.

أما الموضوع الثاني فهو مناهج البحث اللغوي، وهي مناهج متفق عليها بين الدارسين، وظهرت تباعا بحسب اكتمالها لعل أولها ظهورها المنهج المعياري ثم التاريخي فالمقارن ثم الوصفي، وأخيرا المنهج التقابلي، ولكل منها مفهومه وأسسه ومبادؤه والهدف منه.

أسئلة على الوحدة الثانية [؟]

المجموعة الأولى:

أجب عن الأسئلة الآتية:

س١: لماذا تقسم اللغة إلى مستويات دراسية، وكيف يتم هذا التقسيم؟

س٢: ما الأنظمة الفرعية للغة؟ وما العلوم التي تدرس هذه الأنظمة؟

س٣: لماذا اختلف العلماء حول علوم اللغة؟ وما نتيجة هذه الخلاف؟

س٤: وضح وظيفة كل علم من العلوم الآتية:

علم الأصوات العام – علم الأصوات الوظيفي – علم الصرف – علم النحو – علم الدلالة.

س٥: ما رأيك في التقسيمات الداخلية لبعض علوم اللغة؟

س٦: اشرح العلاقة بن مستويات التحليل اللغوي وعلومه.

س٧: عرف بالمناهج اللغوية الآتية من حيث المفهوم والأسس والهدف.

المعياري – الوصفي – التاريخي – المقارن – التقابلي.

س٨: قارن بين مناهج البحث في اللغة.

المجموعة الثانية:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١- يتم تقسيم اللغة إلى مستويات تحليلية بطريقة تفسدها.

٢- علم الأصوات العام يدرس عملية الهمس والجهر.

٣- علم الأصوات الوظيفي يدرس وظائف الأصوات.

٤- علم الصرف يدرس تنظيم الكلمات في الجمل وأجزاء الجمل.

٥- علم الدلالة يدرس المفرد والمثنى والجمع.

٦- علم النحو يدرس المطابقة والانسجام داخل الجملة.

٧- علم الاستعمال أو التداولية يدرس الاستعمال اللغوي في المواقف الحية.

٨- هناك اتفاق تام بين العلماء على مستويات اللغة وفروعها.

٩- علوم اللغة لا تتعاون في شرح طبيعة اللغة.

١٠- علاقة علم الصرف بعلم النحو ليست وثيقة.

١١- علاقة علم الصرف بعلم النحو وثيقة.

١٢- يعتمد المنهج المعياري مبدأ (قل كذا، ولا تقل كذا...).

١٣- لا يعترف المنهج المعياري بفكرة ثبات اللغة.

١٤- يهتم المنهج التاريخي بدراسة اللغة في فترات زمنية مختلفة.

١٥- هناك علاقة واضحة بين المنهجين التاريخي والمقارن.

١٦- المنهج المقارن يدرس لغات الفصيلة الواحدة.

١٧- المنهج التقابلي يدرس لغات الفصيلة الواحدة.

المجموعة الثالثة:

أكمل الجمل الآتية بكلمة أو عبارة مناسبة:

١- يدرس علم الأصوات النطقي عملية ....

٢- يدرس علم الأصوات الفيزيائي انتقال......................

٣- يدرس علم الأصوات الوظيفي النظام ....الخاص بكل لغة.

٤- يدرس علم الصرف الكلمات و......................

٥- يدرس علم النحو الجمل و......................

٦- يدرس علم المعجم كل ما ....

٧- أنظمة اللغة تعمل ....لكل تشرح ....

٨- ظهر التحديد الواضح والحاسم بين مناهج البحث على يد ....

٩- عُرِف المنهج الوصفي قديما لدى............، و ....

١٠- سيطر المنهج التاريخي والمقارن في أوربا خلال القرن...............

١١- يقوم المنهج المعياري على اختيار نمط.....................

١٢- يعتمد المنهج المعياري القول بـ.......................على أساس ...

١٣- يقوم المنهج الوصفي على ....

١٤- من أسس البحث في المنهج الوصفي ....و ....

١٥- السبب في اعتماد وحدة المكان في دراسة اللغة هو ....

١٦- السبب في اعتماد وحدة الزمان في دراسة اللغة هو ....

١٧- ظهر المنهج المقارن في أواخر القرن ....

١٨- يتضح الفرق الأساسي بين المنهج المقارن والتقابلي في.............

الوحدة الثالثة

علاقة علم اللغة بالعلوم الأخرى

الأهداف:

لماذا ندرس علاقة علم اللغة بالعلوم الأخرى؟

ندرس هذا الموضوع لتحقيق الأهداف الآتية:

- الكشف عن الطبيعة المعقدة للغة الإنسانية وتشابكها مع جميع وجوه النشاط البشري.
- الكشف عن امتداد العلوم التي تساعد في فهم حقيقة الظاهرة اللغوية.
- بيان بأهم العلوم المتعلقة بعلم اللغة، والموضوعات المشتركة بينها.
- الكشف عن اتساع المجالات التطبيقية التي يمكن لعلم اللغة أن يسهم فيها بما تعود فائدته على المجتمع.
- تعميق فهمنا لحقيقة اللغة من جانب، وللدراسة العلمية لهذه اللغة وأدوات الدراسة من جانب آخر.

العناصر:

١- علم اللغة الاجتماعي.

٢- علم اللغة النفسي.

٣- علم اللغة الجغرافي.

٤- علم اللغة السياسي.

٥- علم اللغة الأنثروبولوجى.

٦- علم اللغة الإثنى أو العرقي.

٧- علم الأسلوب.

٨- علم اللغة التطبيقي:

أ- تعليم اللغات القومية.

ب- تعليم اللغات الأجنبية.

ج- علاج أمراض الكلام.

د- صناعة المعاجم.

هـ- الترجمة والترجمة الآلية.

لو أننا تتبعنا جهود الأمم السابقة في دراسة اللغة، وهذا ما سنفعله في الوحدة التالية - بعون الله وتوفيقه - لوجدنا كثيرا من العلماء في القديم والحديث قد عالجوا موضوع اللغة بصورة أو بأخرى.

عالجها الفلاسفة والمناطقة منذ الإغريق والرومان حتى عصرنا الراهن، ودرسها النقاد والبلاغيون ورجال الدين ورجال القانون والسياسة.

ولماذا نذهب بعيدا ونترك حضارتنا العربية الإسلامية؟ من الملاحظ أن أسلافنا العرب والمسلمين قدموا دراسات لغوية آية في الإبداع والابتكار والسبق والشمول مع العمق والدقة واستمرار الصحة والصواب للآراء والنظريات التي قدموها حتى الآن.

نذكر في هذا المقام علماء أصول الفقه على اختلاف اتجاهاتهم ومدارسهم الفكرية ومذاهبهم الفقهية.

ونذكر علماء الكلام والجدل والمناظرة، ونلحق بهم الفلاسفة المسلمين، ورجال المنطق، وغير ذلك من العلوم الاجتماعية.

ونذكر علماء الدراسات القرآنية ورجال التفسير، وشراح الحديث النبوي الشريف، وغير ذلك من العلوم الشرعية.

ونذكر البلاغيين ونقاد الأدب ودارسيه وقبلهم وبعدهم نذكر علماء النحو والصرف واللغة وغيرها من العلوم اللغوية.

ما نريد أن نقوله: إن تناول هؤلاء جميعا للظاهرة اللغوية ودراستهم جوانب متعددة من اللغة كان سببا في اتساع ميادين البحث اللغوي، وكان سببا في كثرة العلوم التي يلتقي معها علم اللغة.

ومما يتصل بالنقطة السابقة وكان سببا في اتساع دائرة البحث اللغوي وتوثيق العلاقة بين علم اللغة والعلوم الأخرى التعاون القديم الحديث بين التخصصات والاهتمامات العلمية، فكلنا يعرف أن كثيرا من القدماء كانوا بارعين في علوم كثيرة وبنفس الدرجة من الإتقان، فأدى ذلك إلى التداخل والتعاون بين العلوم.

أما السبب الأساسي في رأينا في تعلق كثير من العلوم بدراسة الظاهرة اللغوية، أو دراسة جانب منها فهو تعلق اللغة الإنسانية بكل مناحي الحياة العقلية والنفسية، والاجتماعية والاقتصادية والسياسية... الخ.

ومعنى ما سبق أن اللغة ظاهرة معقدة تتضمن الجوانب التالية، ولكل جانب علم أو أكثر يدرس هذا الجانب:

- اللغة ظاهرة اجتماعية تشغل بال علماء الاجتماع.
- اللغة ظاهرة نفسية تشغل بال علماء النفس.
- اللغة ظاهرة عقلية تشغل بال علماء المنطق والفلاسفة.
- اللغة وثيقة الصلة بالإنسان وطبيعته، تشغل بال علماء (الأنثروبولوجيا)، علماء الأجناس وعلماء الوراثة.
- اللغة تنتجها أعضاء في داخل جسم الإنسان وتستقبلها أعضاء في داخل جسم الإنسان، ومن ثم تشغل بال علم وظائف الأعضاء وعلم التشريح، وعلم المخ والأعصاب.

ولو حاولنا تتبع العلوم والاهتمامات المختلفة باللغة ودراستها لأدخلنا علم

الأسلوب وعلم التاريخ وعلم الجغرافيا والسياسة وغير ذلك من العلوم.

لكننا لو أطعنا أنفسنا وحاولنا تنفيذ التصور السابق ما استطعنا القيام به إلا بشق الأنفس، وإذن نكتفي بالمستطاع، وهو التركيز على العلوم التي تتصل اتصالا وثيقا ومباشرا باللغة ودراستها، تلك العلوم هي:

١- علم اللغة الاجتماعي:

اللغة ظاهرة اجتماعية تتأثر بالمجتمع وتؤثر فيه، ولا يوجد مجتمع بدون لغة تربط بين أعضائه، وتساعدهم في حياتهم:وتتأثر اللغة بالمجتمع في نشأتها ونموها وانقراضها، وغير ذلك من ظواهر حياتها من رقي أو انحطاط، وتوحد أو انقسام،... الخ.

وقد خصص العلماء فرعا من فروع البحث اللغوي سموه (علم اللغة الاجتماعي) يدرس الطرق التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع، ويدرس الطريقة التي تتغير بها بنية اللغة استجابة لوظائفها الاجتماعية المختلفة، والتعريف بحقيقة هذه الوظائف، كما يدرس اللهجات الاجتماعية، والازدواج اللغوي والتأثير المتبادل بين اللغة والمجتمع.

٢- علم اللغة النفسي:

عندما حاول اللغويون تحقيق صفة (العلمية) على دراسة اللغة ركزوا جهودهم على النظام الصوتي الذي يصدر عن المتحدث الفرد في الموقف المعين، وكانوا يسجلون الكلام الصادر عن هذا الفرد على شريط كاست أو قرص مدمج لتتم دراسته وتحليله في المعمل.

لكن هؤلاء اللغويين واجهتهم مشكلات لا حل لها إلا في ذهن المتكلم نفسه:

- ماذا يريد بالضبط؟ وما المعنى الذي يقصده؟ وما الدافع إلى ذلك؟
- كيف يكتسب الطفل لغته؟ وكيف يختزن ألفاظه ويربط بينها وبين معانيها؟ وكيف يتم استحضارها؟
- كيف يعبر عما يريد؟ وما العمليات التي يمر بها حتى يخرج الكلام من فمه؟

- أسئلة أخرى كثيرة تتصل بالسامع وطريقة استقباله للحدث الكلامي، وفهمه له والتأثر به.

هذه الأسئلة وكثير غيرها جعل فريقا من العلماء يدرسون هذا الجانب في إطار علم مستقل يسمى على اللغة النفسي، فأخضعوا النشاط العقلي أثناء عملية الكلام للدراسة التجريبية، وما زالوا يحاولون تقديم المزيد من الفهم لطبيعة اللغة وعلاقتها بالنفس البشرية، ويحاولون توظيف ذلك كله في كثير من التطبيقات كتعليم اللغات، وعيوب النطق وأسبابه وكيفية علاجه،... الخ.

٣- علم اللغة الجغرافي:

تتضح أهمية هذا العلم من إدراكنا لكثير من الحقائق التي لاحظها الإنسان خلال رحلته الطويلة مع اللغة، ومن هذه الحقائق ما يلي:

- ارتباط بعض الاستعمالات اللغوية في داخل اللغة الواحدة ببعض الأماكن دون بعض، ويظهر ذلك فيما يسمى اللهجات الجغرافية، كاللهجات العراقية والخليجية والمصرية والمغربية في إطار اللغة العربية.
- اختلاف اللغات المستعملة في العالم من حيث المساحة والتوزيع الجغرافي، وعلاقتها ببعضها، والتداخل اللغوي فيما بين بعضها، مثل حالة سويسرا، وحالة شرق العراق وشماله، وغيرهما.
- التواصل البشري بين الشعوب وتزايد هذا الاتصال بعد أن أصبح العالم كله قرية واحدة.

لكل ما سبق نشأ ما سُمِّى علم اللغة الجغرافي الذي يدرس تلك الموضوعات وما يتعلق بها من مسائل وقضايا.

٤- علم اللغة السياسي:

ترتبط اللغة بالسياسة ارتباطا وثيقا، فتتأثر اللغة بالسياسة، وتتأثر السياسة باللغة، لأن وحدة اللغة تؤدي إلى وحدة الأمة سياسيا، كما أن اللغة أهم مقوم من

مقومات القومية، وكثير من الحدود توضع على أساس لغوي.

وقد أدت ثورة الاتصال والسمات المفتوحة إلى تقريب المسافات وتذويب الحواجز بين البشر.

ويرتبط تحقيق المصالح السياسية، وتحقيق السلام العالمي بالجانب اللغوي. ومن المعروف أن كثيرا من الحروب، والاتفاقات الدولية مبني على الجانب اللغوي.

ولا شك في أننا نحن العرب محتاجون هذه الأيام إلى خريطة لغوية توضح لنا أمورا كثيرة عن الشعوب التي نتعامل معها؛ لأننا نجهل كثيرا منها ثقافة وفكرا وطباعا وسلوكا وحضارة. كما أن هذه الشعوب تجهل عنا أمورًا كثيرة. وهذا كله يتعلق به علم اللغة السياسي.

ونحن محتاجون كذلك إلى معرفة لهجاتنا وتوزيعها والفروق الواضحة بينها، وتسببها في تفككنا وتشرذمنا؛ حتى نتوحد، ونرأب صدعنا، ونصون حقنا في البقاء بين شعوب العالم. ويتعلق بذلك علم اللغة السياسي يعاونه علم اللغة الجغرافي، ويساعدهما التخطيط اللغوي.

٥- علم اللغة الأنثروبولوجي:

هو العلم الذي يدرس علاقة اللغة بالمجتمعات والثقافات الإنسانية، وتاريخها وتتابع نموها وتطورها أي أنه يهتم بالعلاقات المختلفة القائمة بين لغة شعب من الشعوب وجوانب ثقافيه منها الكيفية التي تربط بين لغة جماعة ما ومكانة تلك الجماعة ووضعها الاجتماعي.

ومنها ارتباط اللغة بالشعائر والاحتفالات الدينية، وغيرها.

ومنها دور اللغة في نقل العادات والمعتقدات والمثل العليا إلى الأجيال التالية.

ومنها الطريقة التي تعكس بها اللغة ثقافة المجتمع الذي يستخدمها.

وجدلية العلاقة بين اللغة والثقافة – بمعناها الانثروبولوجي الواسع – تحتاج إلى مجلدات ضخمة لا يتسع لها هذا المقام.

٦- علم اللغة الإثني، أو العرقي:

لم يعرض له كثير من اللغويين، وعرض له بعضهم في إطار علم اللغة الاجتماعي بوصفه يدرس ظاهرة اجتماعية، مثلما عرضوا لعلم اللغة الأنثروبولوجي كذلك، ولكننا نعرض له علما مستقلا؛ لأهميته واتساع البحث فيه ولتعلقه بموضوع يشغلنا في هذه الأيام ويكاد يهدد حياتنا ووحدتنا، ذلك الموضوع هو ما يسمى الأقليات العرقية واللغوية كالأكراد في العراق وسوريا والآسيويين في دول الخليج العربي والنوبيين في مصر والسودان والأمازيغ في ليبيا والجزائر والمغرب.

المهم أن هذا العلم يدرس العلاقات اللغوية التي يمثلها في مستوى واقعي النتائج اللغوية للهجرة، ومشكلات الجماعات العرقية، ودراسة الخواص اللغوية المميزة للإنجليزية التي يستخدمها الزنوج والهنود الحمر واليهود، وغيرهم من الجماعات العرقية في الولايات المتحدة الأمريكية.

٧- علم الأسلوب:

يرى بعض اللغويين أن علم الأسلوب يهدف إلى تطبيق الطرق الفنية لعلم اللغة في دراسة أنواع خاصة من الاستعمالات اللغوية من ناحية صلتها بمجتمع لغوي معين له طبيعة خاصة، مثل دراسة لغة العلم، أو القانون، أو الفن، أو الأدب.

وهناك فهم خاص لدى بعض الدارسين للأدب يربط الأسلوب بتحليل السمات الخاصة أو الملامح المميزة للأديب أو الكاتب المعين.

وبعض الدارسين – ولهم الحق – يوسع دائرة علم الأسلوب فيجعله يدرس جميع التنوعات اللغوية الناشئة عن الفروق الفردية داخل الجماعة اللغوية، تلك التنوعات التي لا ترجع إلى اختلاف اللهجات الجغرافية، ولا ترجع إلى اختلاف اللهجات الاجتماعية.

من المعروف أن أفراد الجماعة اللغوية الواحدة لا يتكلمون على وتيرة واحدة، بل نجد بينهم فروقا في الأصوات أو في اختيار الكلمات أو في بناء الجمل،... الخ. وهذا التنوع هو الذي يسوغ الحديث عن

السلوك اللغوي الفردي باعتباره سمة من سمات الشخصية وعلامة فارقة بين الناس، وهذه الدراسة يتولاها علم الأسلوب.

٨- علم اللغة التطبيقي:

إذا كانت العلاقة بين علم اللغة والعلوم السابقة كلها غير واضحة نوعا ما في أذهان بعض الدارسين فإن علاقة علم اللغة التطبيقي بعلم اللغة العام أو النظري من الوضوح والقوة والمتانة لدرجة لا تحتاج إلى إشارة أو تنويه؛ فعلم اللغة التطبيقي هو الواجهة الأخرى لعلم اللغة العام فأحدهما يمثل الجانب النظري والآخر يمثل الجانب التطبيقي.

وسوف يتضح هذا الفهم لطبيعة هذا العلم وحقيقته من الحديث عن مجالاته وفروعه التطبيقية التي نعرض لأهمها فيما يلي.

أ- تعليم اللغات القومية:

قد يظن بعضنا أن لغتنا القومية لا تحتاج إلى برنامج تعليمي منهجي؛ لأننا نتعلمها ونحن أطفال صغار من أفواه أمهاتنا وآبائنا والمحيطين بنا. وهذا حق، ومسلّم به، لكننا نغفل نقاطًا مهمة في مقدمتها أننا لو تركنا جميع الأطفال يتلقون اللغات القومية من المحيطين بهم، وتركناهم يستعملونها بدون ضابط لانقسمت اللغات وتعددت بتعدد متعلميها ومستعمليها ووصلنا إلى مجموعات من البشر داخل الجماعات الواحة لا يتفاهمون ولا يتواصلون.

وهناك مسألة أخرى تتصل باللغات الكبرى ذات الحضارات العريقة كاللغة العربية،...، إذ لا يصلح معها تلقي اللغة من الأم والأب فقط بدون تعلمها تعلما مقصودا مضبوطا ويتبع تخطيطا مؤسسا على مبادئ لغوية وتربوية وسياسية تسمح بتعلم العربية تعلما سليما ومثمرا.

أسهم علم اللغة في مجال تعليم اللغات القومية في إعطاء التربويين كثيرا من الأمور التي تساعدهم في عملهم، منها:

- قدم للمعلم وصفا سليما وصحيحا لأصوات اللغة يستطيع هذا المعلم أن يستفيد منها في تدريب طلابه على النطق السليم للغة.

- أعطى المعلم تصورا دقيقا وصحيحا لأنظمة اللغة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وأعطاه (خريطة) عامة لعلاقة هذه الأنظمة بعضها ببعض بطريقة تجعل هذا المعلم قادرا على تقديم اللغة للدارسين بشكل منظم ومتماسك ومتكامل.

- قدم علم اللغة إحصاءات دقيقة في اختيار المادة التعليمية، ومنها الكلمات الشائعة والأكثر شيوعا، وما يمكن تقديمه للدارس أولا، وما يمكن تقديمه له بعد ذلك مما يناسب كل مرحلة تعليمية على حدة.

- قدم علم اللغة تصورا علميا حول علاقة اللغة بالمجتمع وبظواهره المختلفة كالعادات والتقاليد، فيساعده ذلك في التحليل الدقيق لمختلف النصوص ولاسيما النصوص الأدبية.

- أعطى علم اللغة فكرة واضحة عن الطبيعة المعقدة للغة، تلك التي تحتاج إلى أسلوب خاص عند اكتسابها يتدرج فيه المعلم مع طلابه عند تقديم المادة اللغوية، ذلك التدرج الذي يتبع فيه الخطوات الآتية:

أ- التدرج من الأسهل في اختيار الكلمات والتراكيب إلى السهل ثم إلي الصعب فالأصعب فالأكثر صعوبة.

ب- الانتقال من العام إلى الخاص بحيث يفهم الدارس الأمور الكلية والأوليات قبل الفروع والظواهر الشاذة أي نبدأ من الأمور المتفق عليها ثم ننتقل إلى الأمور الفرعية المختلف حولها.

ج- التركيز على الشائع والأساسي من الكلمات والجمل والأساليب.

ب- تعليم اللغات الأجنبية:

ظهرت في العصر الراهن ضرورات كثيرة تدعو إلى تعلم اللغات الأجنبية،

ساعد على ذلك التقدم الهائل في وسائل الاتصال وتبادل المصالح وتطور البحث العلمي وكثرة القنوات التليفزيونية وتنوعها، ومعظمها يبث برامجه باللغات الأجنبية. وهذا كله أدى إلى تعاظم أهمية تعلم اللغات الأجنبية وإتقان بعضها.

قدم علم اللغة خدمات جليلة لمعلم اللغات الأجنبية تفوق ما قدمه لمعلم اللغة القومية، ولعل أهم ما قدمه علم اللغة هنا هو فرز الطرق التعليمية وبيان ميزات كل طريقة وعيوبها، ومن ثم وجب علينا التعريف بأهم هذه الطرق فيما يلي:

١- طريقة القواعد والترجمة:

وقد تسمى الطريقة التقليدية، أو القديمة؛ لأنها أقدم طريقة عرفتها البشرية، واكتسبت تقليديتها من ذلك التاريخ الطويل في الممارسة والهيمنة، وأهم ما يميز هذه الطريقة ما يلي:

- تعتمد أساسا على اللغة المكتوبة؛ لأنها تمثل النموذج اللغوي الصحيح في نظر القدماء أصحاب هذه الطريقة، وذلك لتمثيل هذه اللغة المكتوبة المستوى الفصيح البليغ.
- تحاول أن تجعل الدارس يتعلم قواعد اللغة الأجنبية عن طريق دراسة هذه القواعد وحفظها من خلال نماذج نمطية ثابتة تمثل الصحة اللغوية في المستوى الفصيح.
- تهدف هذه الطريقة إلى تدريب الدارسين على قراءة النصوص وترجمتها إلى اللغة القومية. ويقتضي ذلك حفظ كلمات وتراكيب كثيرة تساعد في الفهم والترجمة.

ويقتضي ذلك حفظ كلمات وتراكيب كثيرة تساعد في الفهم والترجمة.

إذن يتحدد الهدف من هذه الطريقة أن يلم الدارس بقواعد اللغة الأجنبية المراد تعلمها، وإتقان الترجمة منها وإليها.

ولعل ذلك يفسر ارتباط هذه الطريقة بإتقان اللغة الفصحى واعتمادها على المنهج المعياري.

وعلى الرغم من اعتراض بعض المحدثين على هذه الطريقة إلا أنها مهمة ومفيدة جدا في تعلم اللغات ذات الحضارة العريقة كالعربية واليونانية واللاتينية؛ حتى نستطيع قراءة هذا التراث الحضاري وترجمته إلى اللغات الحديثة لنستفيد منه فائدة عامة.

٢- الطريقة المباشرة:

ظهرت هذه الطريقة في العصر الحديث في بداية القرن العشرين ومن ملامحها ما يلي:

- اكتساب اللغة الأجنبية بنفس الطريقة التي يتم بها اكتساب اللغة القومية، أي يتم ذلك عن طريق التلقي المباشر، فيذهب الدارس إلى أصحاب اللغة الأجنبية ويتلقى عنهم اللغة بطريقة مباشرة.
- وجوب تعرض الدارس لجرعة هائلة من الكلام بطريقة عفوية يلتقط من خلالها قواعد اللغة الأجنبية وتراكيبها وأساليبها ومعاني مفرداتها بطريقة مباشرة.

ويلاحظ على هذه الطريقة أنها تفيد الدارسين الذين يريدون استعمال اللغات الأجنبية في مجال الحياة العادية وليس في مجال العالم أو التراث. أي أن هذه الطريقة تسهم في إتقان اللغات الأجنبية للنشاط السياحي مثلا، أو النشاط الاقتصادي والاستيراد والتصدير.

٣- الطريقة الانتقائية:

تعتمد هذه الطريقة على ما يمكن تسميته (التعليم الموجَّه) حيث نتوجه بالتدريس وتعليم اللغة الأجنبية إلى طائفة معينة فنختار لهم المادة التعليمية وفق المبادئ الآتية:

- اختيار مجموعة خاصة من الكلمات والمفردات الأكثر شيوعا في المجال المراد تعلمه.
- التركيز على مهارة القراءة والنطق بصفة أساسية دون إهمال المهارات الأخرى.

٤- الطريقة السمعية الشفوية:

لعلها أحدث طريقة في تعليم اللغات الأجنبية، وقد احتلت مكانة عظيمة في أنحاء العالم بسبب النتائج التي حققتها. وهي تعتمد على الأسس التالية:

- الجانب المنطوق للغة هو الأساس في التعليم.
- اللغة مجموعة من العادات المكتسبة.
- لغة الحياة اليومية هي الأساس في التعليم والاكتساب.
- الوقوف على مواطن الاختلاف بين اللغات والتركيز عليها في عملية التعلم لأن الخطأ فيها أكثر ورودا.
- التركيز على تنمية مهارتي النطق والاستماع، والتركيز على (الحوار) مادة أساسية في التعليم.
- الاستفادة من ظروف العصر بالاستعانة بالمعامل الصوتية ومختبرات اللغة والكتب المبرمجة والشرائط المسجلة لتنمية مهارتي النطق والاستماع.
- الاعتماد على الدراسات التقابلية وتحليل الأخطاء، وذلك للتعرف على وجوه الخلاف بين اللغات لأنها أكثر النقاط وقوعا في الخطأ.

تلك كانت أهم الطرق التي طرحت في مجال تعليم اللغات الأجنبية. ولا شك في أن كل طريقة من هذه الطرق لها مزاياها وفيها عيوبها، ولكنها مورست وتم تجريبها وأفادت كثيرا من الدارسين.

ج- علاج أمراض الكلام:

يعد علاج أمراض الكلام أحد الميادين الثلاثة التي يهتم بها علم اللغة النفسي، ويقدم فيها جهوده ونتائج بحوثه وهذه الميادين الثلاثة هي: النمو اللغوي الطبيعي، واضطرابات النطق، والأمراض الكلامية.

وسوف نعرض هنا لعلاج أمراض الكلام لأنه أكثر الميادين التصاقا بعلم اللغة التطبيقي.

تتسبب اضطرابات النطق عن مجموعة من العوامل تتلخص فيما يلي:

- **عوامل عضوية:**

منها شلل أعضاء النطق، وإصابة الأعصاب الدماغية وعجزها عن نقل الرسائل اللغوية واستقبالها وإصابة أعضاء النطق بالأمراض والالتهابات الحادة وضعف الحواس وبخاصة حاسة السمع، والضعف العقلي والخِلْقيّ، ووجود خلل في الغدد،.. إلى غير ذلك من أسباب عضوية فسيولوجية.

والاضطرابات الناشئة عن كل ما سبق لا يدخل علاجها في مجال علم اللغة التطبيقي، وإنما مجالها العلاج الطبي الجراحي إذا كانت نتائجه مضمونة.

- **عوامل اجتماعية وتربوية:**

ومنها حرمان الطفل من حنان أمه وأبيه، وكون الطفل توأما، وهناك طفل العائلة المفككة المنفصلة وطفل الأسرة الفقيرة جدا.

وهؤلاء جميعا يتأخر نموهم اللغوي بطريقة ملحوظة فإذا عالجنا هذه الأسباب وتغلبنا عليها زالت الشكوى، ونما الجانب اللغوي عند الطفل.

- **عوامل وجدانية ونفسية:**

قد تكون جميع أعضاء النطق سليمة جدا، ولكن الظروف المحيطة بإنتاج الكلام واستقباله تعوق هذا الإنتاج أو الاستقبال، أو تعوقهما معا، ومعنى ذلك أن اضطراب الكلام راجع إلى اعتبارات نفسية خالصة.

ومن هذه العوامل النفسية تعرض الطفل لصدمة وجدانية حادة، أو الإصابة بالاكتئاب أو ضعف الثقة بالنفس أو الخوف الشديد، أو الكبت أو الانطواء، وحالات الانتقال المفاجئ من حال لحال.

تلك العوامل ينشأ عنها أعراض تنشأ بوجود خلل في النمو اللغوي، أو تأخر في الكلام، ومن هذه الأعراض والمظاهر ما يلي:

– يختلف تعبير الرفض عند الطفل في بداية عامه الثاني إذا كان طفلا

عاديا عنه إذا كان طفلا محرما من أسرته، فالأول يعبر عن الرفض بتغطية رأسه أو عينيه أو إدارة رأسه تماما، ويعبر الثاني عن الرفض بتدوير رأسه حول العمود الفقري بما يعني (لا) كما يصاحب ذلك صراخ وتمتمات غير مفهومة.

- ظهور عيوب في النطق مثل التأتأة، واللثغة، والتمتمة، وثقل اللسان، واللعثمة،... الخ.
- ضآلة المحصول اللغوي، وإصدار الأصوات عديمة الدلالة، والاعتماد على الحركات الجسدية والإشارات.
- الاكتفاء في الإجابة بنعم أو لا، أو بجملة قصيرة جدا.
- الصمت أو التوقف عن الحديث.

وبعيدا عن تفصيلات كثيرة حول موضوع أمراض الكلام فالذي يهمنا هو ماذا يقدم علم اللغة التطبيقي في هذا الشأن؟

يقدم إلينا وعينا بمخارج الأصوات، ومعرفتنا بالصيغ الصرفية الصحيحة وترتيب عناصر الجملة ودلالات المفردات.

ويقدم لنا وعيا بالنظريات اللغوية وأثرها في إدراك الاضطرابات مع الاستعانة بعلماء النفس ووظائف الأعضاء ورجال التربية حتى نتغلب على هذه المشكلات.

د- صناعة المعاجم:

يسهم علم اللغة التطبيقي في صناعة المعاجم وفق أسس علمية صحيحة اعتمادا على ما يقدمه علم اللغة بصفة عامة، وعلم المعجم بصفة خاصة.

يعني علم المعجم بدراسة مفردات اللغة ومعانيها في لغة واحدة، أو في لغتين فأكثر، وينظر إلى هذه المفردات من حيث اشتقاقها وأبنيتها ودلالاتها وكل ما يتعلق بالثروة اللفظية من قضايا ومشكلات.

تعتمد صناعة المعاجم على الأسس النظرية السابقة ويضاف إليها ما يتصل

بالصناعة وإخراج المعاجم، تلك التي تتضح في الخطوات التالية:

- الأخذ في الاعتبار أننا في مجال (صناعة) أو (فن) وليس علما، نحن في مجال عملي ميداني محكوم بعوامل بعضها تجاري، وبعضها (ذوقي) يتحكم فيه رغبة الناس وحاجاتهم أكثر مما يتحكم فيه رأي العلماء ودراساتهم اللغوية.
- جمع المادة المعجمية اللازمة لصناعة المعجم، وهي الكلمات ومعانيها وسياقاتها المختلفة والشواهد الدالة على ذلك كله.
- اختيار المداخل المعجمية وترتيبها طبقا لنظام معين الترتيب. ثم ترتيب الألفاظ ومعانيها وشواهدها داخل كل مدخل.
- اختيار الطريقة المناسبة لكل كلمة من طرق الشرح المعروفة في مجال تأليف المعاجم.
- كتابة المواد وشروحها وتسجيلها ثم نشر ذلك كله في شكلها النهائي للمعجم.
- طبعا لا ننسى اختيار نوع المعجم وحجمه والهدف منه.

هـ- الترجمة والترجمة الآلية:

يسمى العصر الحاضر عصر المعلومات المتنوعة تنوعا ضخما، ويسمى عصر القنوات الفضائية وثورة الاتصالات، والقرية الذكية إلى آخر هذه الألقاب التي تأخذ صبغة (الإعلام) و(الإعلان).

وتتزايد حاجة الأمم النامية والمتقدمة إلى هذه المعلومات يوما بعد يوم؛ لأنها أساس النهضة والتقدم والرقي، وأساس الرخاء الذي تتطلع إليه، ومن هنا كانت الحاجة إلى نقل هذه المعلومات ضرورة قومية ملحة ويقع العبء في ذلك كله على كاهل المترجمين لكنهم مهما بذلوا من جهد، ودبرنا لهم من مال فإنهم لن يستطيعوا مواكبة هذا الفيض من المعلومات، فنشأت الحاجة إلى الترجمة الآلية.

ما دور علم اللغة في هذا المجال؟

الترجمة تعني استبدال لغة بلغة للتعبير عن نفس المعاني، ويتطلب ذلك

إلمام المترجم بمفردات اللغة التي يترجم منها، وإلمامه بقواعدها. ولا شك في أن هذا أمر على جانب كبير من الصعوبة ومع ذلك فبعضنا يتعلم لغات أجنبية ويجيدها إجادة تامة والسبب في ذلك أنه تعلم قواعدها وتدرب عليها شيئا شيئا حتى وصل إلى درجة من الإتقان تقارب إتقان لغته القومية وهذا معناه أن الشخص قد استوعب تماما قواعد هذه اللغة حتى تأصلت وترسخت في المخ بحيث يتكلم بطلاقة دون أن يفكر فيها.

هذا عن الترجمة العادية، أما الترجمة الآلية فالحديث عنها يبدأ بالسؤال: هل يمكن للآلة أن تقوم بهذا العمل الذي يقوم به المترجم الإنسان إذا ما تم ابتكار وسيلة تجعل من الممكن تغذيتها بالمفردات ومعانيها وبالقواعد الصوتية والصرفية والنحوية والأسلوبية مهما بلغت دقتها؟

أجاب العلماء على السؤال السابق بالإيجاب على الرغم من المشكلات الكثيرة التي تواجه الآلة في هذا المقام، ومنها:

- المترجم له لغة قومية ينقل منها وإليها، والآلة ليس لها ذلك.
- المترجم يختار وينتقي من حصيلته اللغوية أقرب الألفاظ والعبارات إلى المعنى والآلة ليس لها ذلك.
- عند تعدد المعنى للكلمة الواحدة يستخرج المترجم المعنى الملائم بحسب السياق والآلة لا تفعل ذلك.

حاول العلماء التغلب – بكل السبل – على هذه المشكلات وأمثالها، ونجحوا إلى حد بعيد، وبدأت تجاربهم منذ الحرب العالمية الثانية وكان الروس أسبق من الأمريكان في ذلك ثم تبعتهما أمم أخرى كالإنجليز والألمان واليابانيين.

إن عالم اللغة هو وحده القادر على أن يحدد مواضع الاتفاق والاختلاف بين نسقين لغويين ويكشف بدقة عن السمات المشتركة بين لغات العالم.

وقد نشطت الترجمة الآلية أولا في مجال العلوم واللغة العلمية ثم انتقلت إلى اللغة العادية في خطابها الإعلامي والسياسي والمحافل الدولية، وتحاول الآن تطوير برامج آلية لترجمة الخطاب الأدبي.

ملخص الوحدة الثالثة

عرضت هذه الوحدة لعلاقة علم اللغة بغيره من العلوم التي لها اتصال بدراسة اللغة في جانب أو أكثر من جوانبها، وكان الهدف من هذا العرض بيان تعقد الظاهرة اللغوية والكشف عن حقيقتها وتعميق الفهم بمضمون الدراسة العلمية للغة.

وقدمت الوحدة أسباب اتساع دائرة البحث اللغوي، وتعريفا موجزا بعلم اللغة الاجتماعي والنفسي والجغرافي والسياسي والأنثروبولوجي والعِرْقي، وعلم الأسلوب وعلم اللغة التطبيقي ومجالاته التي تشمل تعليم اللغة القومية وتعليم اللغات الأجنبية وعلاج أمراض الكلام وصناعة المعاجم والترجمة والترجمة الآلية.

ويهدف كل ما سبق إلى بيان أثر اللغة في حياة الإنسان، والتعاون الوثيق بين جميع العلوم الإنسانية من جانب وعلم اللغة من جانب آخر، ومدى الإفادة من علم اللغة في حل مشكلات المجتمع.

أسئلة على الوحدة الثالثة

المجموعة الأولى:

أجب عن الأسئلة الآتية:

س١: لماذا ندرس علاقة علم اللغة بالعلوم الأخرى؟

س٢: وضح مدى تناول الأمم السابقة الظاهرة اللغوية بالدراسة.

س٣: اذكر – باختصار – أسباب اتساع دائرة البحث اللغوي.

س٤: قدم تعريفا بعلم اللغة الاجتماعي موضحًا مفهومه وموضوعه وعلاقته بعلم اللغة.

س٥: قدم تعريفا بعلم اللغة النفسي موضحًا مفهومه وموضوعه وعلاقته بعلم اللغة.

س٦: قدم تعريفا بعلم اللغة الجغرافي موضحًا مفهومه وموضوعه وعلاقته بعلم اللغة.

س٧: قدم تعريفا بعلم اللغة السياسي موضحًا مفهومه وموضوعه وعلاقته بعلم اللغة.

س٨: قدم تعريفا بعلم اللغة الأنثروبولوجي موضحًا مفهومه وموضوعه وعلاقته بعلم اللغة.

س٩: قدم تعريفا بعلم اللغة العرقي موضحًا مفهومه وموضوعه وعلاقته بعلم اللغة.

س١٠: قدم تعريفا بعلم الأسلوب موضحًا مفهومه وموضوعه وعلاقته بعلم اللغة.

س١١: لخص في عدة أسطر مجالات علم اللغة التطبيقي.

س١٢: تحدث عن دور علم اللغة في مجال تعليم اللغات القومية.

س١٣: تحدث عن دور علم اللغة في مجال تعليم اللغات الأجنبية.

س١٤: تحدث عن دور علم اللغة في مجال علاج أمراض الكلام.

س١٥: تحدث عن دور علم اللغة في مجال صناعة المعاجم.

س١٤: تحدث عن دور علم اللغة في مجال الترجمة الآلية.

س١٧: تحدث باختصار شديد – عن الطرق المختلفة لتدريس اللغات.

س١٨: تخيَّرْ طريقة من طرق تعليم اللغات الأجنبية واشرحها بالتفصيل مبينًا دورها في إتقان اللغة الأجنبية.

المجموعة الثانية:

أكمل العبارات الآتية بكلمة أو تعبير مما درسته:

١- تتعلق اللغة الإنسانية بكل مناحي ....

٢- اللغة ظاهرة .... تشغل بال علماء الاجتماع

٣- اللغة ظاهرة .... تشغل بال علماء الاجتماع النفس

٤- اللغة ظاهرة عقلية تشغل بال علماء.................. ، ....

٥- من تطبيقات علم اللغة النفسي توظيف نتائجه في ....

٦- يدرس علم اللغة الجغرافي .... ، ....

٧- يدرس علم اللغة الاجتماعي الطريقة التي تتفاعل بها .... مع المجتمع.

٨- يدرس علم اللغة الاجتماعي اللهجات ....

٩- يدرس علم اللغة الجغرافي اللهجات ....

١٠- وحدة اللغة تؤدي إلى وحدة .... سياسيًا.

١١- يتعلق علم اللغة الإثني بموضوع الأقليات .... ، ....

١٢- علم اللغة التطبيقي هو الواجهة الأخرى لعلم ....

١٣- تهدف طريقة القواعد والترجمة إلى تدريب الدارسين على ....

١٤- تفيد طريقة القواعد والترجمة في تعليم اللغات ذات ....

١٥- ترتكز الطريقة الانتقائية على مهارة................ ، ....

١٦- يتركز علاج أمراض الكلام على الاضطرابات الناشئة عن عوامل...

١٧- الترجمة تعني ....

المجموعة الثالثة:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١- عالج كثير من العلماء – في القديم والحديث – موضوع اللغة.

٢- علم اللغة الاجتماعي يدرس الطرق التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع.

٣- علم اللغة النفسي يدرس العمليات المتصلة باللغة في ذهن المتكلم.

٤- علم اللغة الجغرافي يدرس عملية اكتساب اللغة.

٥- ترتبط اللغة بالسياسة ارتباطًا ضعيفًا.

٦- اللغة أهم مقوم من مقومات القومية.

٧- علم اللغة الأنثروبولوجي يدرس ارتباط اللغة بالشعائر والعادات والتقاليد.

٨- علم اللغة الاثنى لا يدرس مشكلات الجماعات العرقية.

٩- لا توجد علاقة بين الدراسة الأسلوبية والدراسة اللغوية.

١٠- اللغات القومية لا تحتاج إلى برامج تربوية في تعلمها.

١١- قدم علم اللغة لمعلم اللغات كثيرًا من المساعدات التربوية.

١٢- التدرج في تعليم اللغات أمر سئ لا يفيد.

١٣- فرز علم اللغة أمام المعلم جميع الطرق التعليمية.

١٤- طريقة القواعد والترجمة من أحدث طرق تعليم اللغات الأجنبية.

١٥- ظهرت الطريقة المباشرة في أواخر القرن العشرين.

١٦- يقع موضوع علاج أمراض الكلام في إطار علم اللغة النفسي.

١٧- صناعة المعاجم هي نفسها علم المعاجم.

١٨- الحاجة إلى نقل المعلومات ضرورة قومية ملحة.

١٩- نشطت الترجمة الآلية في مجال العلوم واللغة العلمية.

٢٠- تواجه الترجمة الآلية كثيرًا من المشكلات.

المجموعة الرابعة:

اذكر فرقا واحدا بين كل طرفين مما يأتي:

١- علم اللغة العام وعلم اللغة التطبيقي.

٢- طريقة القواعد والترجمة والطريقة المباشرة.

٣- الطريقة المباشرة والطريقة الانتقائية.

٤- الطريقة السمعية الشفوية وطريقة القواعد والترجمة.

٥- علم اللغة الاجتماعي وعلم اللغة النفسي.

٦- علم اللغة الأنثروبولوجي وعلم اللغة السياسي.

٧- الترجمة والترجمة الآلية.

الوحدة الرابعة

تاريخ الدرس اللغوي

الأهداف:

لماذا نعرض لتاريخ الدرس اللغوي؟

نعرض لهذا الموضوع حتى نحقق الأهداف الآتية:

- تعميق النقاط التي سبق تدريسها في الوحدات السابقة، وفي مقدمتها توضيح مفهوم الدراسة العلمية للغة، والاطلاع على جزئيات كثيرة تتصل بفروع اللغة وعلومها، ومناهج البحث فيها والعلاقات الوثيقة بين العلوم المختلفة وعلم اللغة.
- الاهتداء إلى الأصول العامة للفكر اللغوي، والعوامل المؤثرة في تكوين هذه الأصول.
- العثور على كل ما يساعد الباحثين في فهم الاتجاهات المعاصرة للبحث اللغوي، تلك الاتجاهات التي قد يكون امتدادًا، أو إحياء أو تعديلا لأفكار، وممارسات سابقة.
- استشراف آفاق التطور في هذا العلم، والتنبؤ العلمي بما يمكن أن يكون عليه.
- تصوير رحلة العقل مع الظاهرة اللغوية المدروسة منذ تفتحت عليها الحواس البشرية، ووعتها الأذهان، وعالجها العقل بالفحص والاختبار والملاحظة والتجريب والتعميم والتجريد.
- الإسهام في تكوين الباحث اللغوي الشاب تكوينا أكمل وأفضل بإيقافه على الخريطة المعاصرة لمذاهب علماء اللغة ونظرياتهم البحثية واتجاهاتهم في معالجة الظاهرة اللغوية.
- الربط بين الإنجازات الكثيرة لعلم اللغة الحديث وما حققه العقل العربي في ظل الحضارة الإسلامية من إنجازات سبق فيها ما حققه العقل الغربي.

العناصر:

١- المرحلة القديمة والوسطي:

أ- فترة التفكير اللغوي غير المنظم.

ب- فترة التفكير اللغوي المنظم:

عند الهنود – عند اليونان – عند الرومان – في العصور الوسطي.

٢- المرحلة الانتقالية:

عصر النهضة – القرن الثامن عشر- القرن التاسع عشر.

٣- المرحلة الحديثة:

البحث اللغوي في النصف الأول من القرن العشرين.

دي سوسير- مدرسة براغ – مدرسة كوبنهاجن – المدرسة الإنجليزية – المدرسة الأمريكية.

٤- المرحلة المعاصرة:

البحث اللغوي في النصف الثاني من القرن العشرين.

المدرسة التوليدية التحويلية – مدرسة فلاسفة اللغة والتحليل التداولي.

سبق أن ذكرنا أسباب تعرضنا لهذا الموضوع، وفوائده، ونعرض هنا لأهم موضوعاته ونقاطه الفرعية.

بدأ التفكير في اللغة والانشغال بها، ومحاولة دراستها منذ القدم؛ فقد تنبه الإنسان إلى لغته منذ أن ظهر إلى الوجود قال الله عز وجل: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ * قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ * قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ [سورة البقرة؛ آيات: ٣١، ٣٢، ٣٣].

ومنذ هذا الالتفات إلى ظاهرة اللغة، الذي هو منحة إلهية في الأساس، وتفكير الإنسان فيها لم ينقطع. وقد مر هذا التفكير بمراحل كثيرة حتى وقتنا الحاضر، تتلخص هذه المراحل فيما يمكن تسميته: المرحلة القديمة والوسيطة والمرحلة الانتقالية والمرحلة الحديثة والمرحلة المعاصرة.

وسوف نعرض لكل مرحلة بحديث موجز لكنه واضح ودقيق، ويفي بالغرض بإذن الله.

المرحلة القديمة والوسطى

تبدأ هذه المرحلة مع الإنسان الأول، وتنتهي بنهاية العصر الروماني بيد أننا نضم إليها المرحلة الوسطى التي استغرقت حوالي ألف عام حتى بداية عصر النهضة في أوربا.

وتستغرق أزمنة متطاولة في القدم ورد إلينا عنها ألوان من التفكير اللغوي بعضه غير منظم أو مسجل بطريقة علمية، وبعضه منظم ومسجل بطريقة علمية يمكن دراسته وتحليله والإفادة منه.

فترة التفكير اللغوي غير المنظم:

تشمل التفكير اللغوي عند الأمم الآتية:

*** عند المصريين القدماء:**

ورد إلينا عنهم محاولات في التفكير اللغوي، منها محاولة (بسامتيشوس) معرفة أقدم لغة ظهرت مستعملة على الأرض، ومنها معرفتهم نظما للكتابة، الأمر الذي يشير إلى انتباههم إلى الجانب الصوتي في لغتهم القديمة.

*** عند السومريين والأكاديين:**

يتجلى التفكير اللغوي عندهم فيما خلفوه من نظم للخط والكتابة فيما عرف عند المؤرخين بالخط المسماري، وقد استعملوه في الألف الرابع قبل الميلاد.

وقد ألف الأكاديون بعض المعاجم أحادية اللغة أو ثنائية اللغة أشار

الدارسون إلى بقايا أو نماذج منها، ومن ثم كان لديهم تفكير صوتي وتفكير معجمي دلالي.

*** عند الصينيين القدماء:**

وردت عنهم إشارات تدل على تفكيرهم في نشأة اللغة وما إذا كانت من صنع الطبيعة أو من صنع الإنسان الذي استعملها واصطلح عليها، وفكروا – تبعا لذلك – في العلاقة بين الكلمات ومعانيها، وكانوا يميلون إلى كون العلاقة اصطلاحية وليست طبيعية.

ومن المعلوم أنهم اخترعوا نظاما كتابيا يشبه نظام الكتابة المصرية القديمة في الجانب (التصويري) منه، والجانب (المقطعي) كذلك.

ووردت عنهم نصوص تشير إلى وجود ألوان من التفكير الصرفي والنحوي فميزوا بين الكلمات (الممتلئة) والكلمات (الفارغة) أو ما يسمى (المضمونية) كالأسماء والأفعال، و(الوظيفية) كالأدوات والحروف.

وورد عنهم كذلك نشاط معجمي، ويذكر بعض العلماء أن هناك معجما ضخما ظهر في القرن الثاني قبل الميلاد، وآخر في القرن الأول قبل الميلاد.

*** عند الفينيقيين:**

ينسب إليهم أنهم أول أمة طورت الكتابة التصويرية والكتابة المقطعية إلى الكتابة الهجائية الصوتية، وذلك في القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

ويعد صنيعهم هذا عملا لغويا من الطراز الأول أدى إلى ازدهار الكتابة وتطور الحضارة في كثير من البلاد التي أخذت عنهم هذا النظام. ويتضح هذا العمل اللغوي في الجانب الصوتي لإدراكهم قيمة كل صوت، ووضعهم رمزا كتابيا لكل صوت.

فترة التفكير اللغوي المنظم:

وتشمل التفكير اللغوي عند الهنود واليونان والرومان.

١- التفكير اللغوي عند الهنود:

درس الهنود لغتهم السنسكريتية، ولاسيما نصوصها المقدسة تلك النصوص التي كتبت بها (الفيدا) وهي تمثل الكتاب المقدس في العقائد البراهمية الهندية.

إذن كان السبب المباشر عند الهنود في نشأة التفكير اللغوي هو الجانب الديني المتمثل في الخوف على نصوص (الفيدا) من اللحن، والتحريف في النطق؛ فاهتموا بالدراسات الصوتية والصرفية والنحوية التي تعصمهم من اللحن والتحريف.

أ- الجانب الصوتي:

يرى بعض اللغويين المحدثين أن الدراسات الصوتية نشأت وازدهرت في ظل أمتين عظيمتين قديمتين، هما: الهنود والعرب، والسبب في ذلك هو العامل الديني، فكان اتجاههم إلى نصوصهم التي رأوا أنها مقدسة فخافوا عليها من اللحن والتحريف والتغيير وسوء الفهم فهبوا إلى دراستها وحمايتها وكان دافعهم دينيا وقوميا.

ولما كان الهدف الأساسي المحافظة على صحة النطق ازدهرت الدراسات الصوتية عند الهنود، فعالجوا أصوات لغتهم من حيث الهمس والجهر، = (لاحظوا أثر التجويف الحنجري في إحداث عمليتي الهمس والجهر).

كما عرضوا لتقسيم الأصوات من حيث مرور الهواء، فقسموها إلى حركات (علل، أو أصوات علة) وصوامت (أصوات صحيحة) وقسموا الحركات إلى حركات خالصة أو صريحة، مثل الضمة والفتحة والكسرة، وطويلة وقصيرة، وأنصاف حركات، (وهي عندهم الياء، والراء، واللام) والحركات الأنفية = (هي الحركات التي يخرج الهواء في أثناء نطقها من الفم والأنف معا)

وقسموا الصوامت إلى السواكن الانحباسية أي الشديدة أو الانفجارية، والاحتكاكية أو الرخوة، وسواكن الصفير أو الاحتكاكية الصفيرية، كالسين والشين.

وقسموا الأصوات ورتبوها بحسب المخارج وأعضاء النطق وبدأوا بأعمقها مخرجا حتى وصلوا إلى الشفتين.

وتحدثوا عن المقطع الصوتي، والنبر والغنة والأنفية.

ب- الجانب الصرفي:

عرض الهنود للظواهر الصرفية في اللغة السنسكريتية، فدرسوا الاشتقاق، وإمكان رد الكلمات إلى جذور، أو أصول، ولواحق أو زوائد، ورأوا أن الجذور واللواحق لا يستغنى أحدهما عن الآخر؛ فهما غير قابلتين للاستقلال. ونتوصل إلى معرفة الجذور عن طريق التصريف؛ لأنها لا تقبل التقسيم.

وكان الهنود يرون أن الصرف لا يستغني عن النحو لأنه مكمل له.

قسموا الكلام إلى أسماء وأفعال، وحروف ورأوا أن الأفعال أصل بقية الأقسام، فالأسماء كلها تعود إلى أصل فعلي. وكان أساس التقسيم شكليا، وهو ما يلحق الكلمة من زوائد في نهايتها.

وقسموا الأسماء من حيث الجنس إلى مذكر ومؤنث ومحايد = (وهو ما يستوي فيه التذكير والتأنيث)، ولاحظوا ما يشبه في الصرف العربي فكرة الجمود والاشتقاق، وذلك على أساس أن بعض الجذور يتصرف بطريقة واحدة، وبعضها يتصرف تصرفا ناقصا، وبعضها الثالث يتصرف بطريقة كاملة.

وقد عرضنا للتغيرات الصوتية التي قد تصيب بعض الكلمات كالإبدال والإدغام.

ومن أعظم الأفكار اللغوية- صرفية ونحوية- فكرة (الصفر اللغوي) تلك الفكرة التي كان لها أثر بالغ في الدرس اللغوي الحديث والمعاصر.

وقد فهمها العرب قديما، وحللوا على أساسها كثيرا من الظواهر الصرفية والنحوية، وذلك تحت فكرة الأصل والفرع، فالأصل هو التذكير وفرعه التأنيث، والأصل هو التنكير والتعريف فرع عنه، والمفرد أصل والمثنى والجمع فرعان، وهكذا... كل مثال دل على معنى بدون علامة، ودل نفس المثال على معنى آخر مع وجود علامة زائدة لهذا المعنى الآخر فغياب العلامة هو الصفر اللغوي.

ج- الجانب النحوي:

اهتم الهنود بالنحو والظواهر النحوية اهتماما واضحا بدليل ظهور

اثنتي عشرة مدرسة نحوية عندهم، وبدليل (تقديسهم) علم النحو، الذي كان عندهم أكثر قداسة حتى من الكتب المقدسة.

حلل الهنود الجملة إلى كلمات، وعَدُّوا الكلمة المفردة وحدة للمعنى، وقدموا تعريفات دقيقة لأقسام الكلام، كما وضعوا قواعد كثيرة جدا بلغت أربعة آلاف قاعدة نحوية قائمة على الوصف وليس على الحدس والتخمين. وكانت هذه القواعد مختصرة واستخدم في صياغتها مصطلحات فنية محددة، وعولجت بطريقة منطقية مقنعة.

د- الجانب المعجمي الدلالي:

تأخر النشاط المعجمي والدلالي عند الهنود عن النشاط الصوتي والصرفي والنحوي؛ لأسباب عديدة، منها: خوفهم على نطق النصوص المقدسة للفيدا، ومنع تسرب اللحن والتحريف إلى هذه النصوص، وكان هذا الخوف مقدما على محاولات الفهم.

ومن هذه الأسباب انفراد رجال الدين البراهمي بحفظ هذه النصوص وتلاوتها واحتكارهم فهمها وتفسيرها وتحريمهم ذلك الحفظ والفهم على عامة الشعب الهندي. وظل هذا الأمر مدة طويلة جدا إلى أن بدأ عامة الهنود يقتربون من هذه النصوص فاحتاجوا إلى خوض المجال الدلالي والمعجمي فبدأ النشاط في هذا الجانب مهتما بكلمات اللغة السنسكريتية ومعانيها فألفوا في (الغريب) و (معاجم المعاني) أو (معاجم الموضوعات) و (معاجم الألفاظ) بأنواعها المختلفة، ومعاجم (المشترك اللفظي).

واهتم الهنود بموضوعات الدلالة فدرسوا العلاقة بين الكلمة ومعناها وما إذا كانت هذه العلاقة طبيعية لزومية أو عرفة اصطلاحية، وقسموا دلالة الكلمات إلى أربعة أقسام، هي:

- ما يدل على مدلول عام وشامل، مثل: رجل، بقرة، شجرة.
- ما يدل على كيفية، مثل: طويل، ذكي، قوي، جميل.

- ما يدل على حدث، مثل: زراعة، حصاد، طبْخ، كتابة.
- ما يدل على ذات، مثل: زيد، عمرو، زياد، سيف.

ومن الموضوعات الدلالية إشارتهم إلى أهمية السياق ودوره في تحديد المعنى، وتعرضهم لتغير المعنى وأسبابه وصوره، واتجاهاته، وعرضهم كذلك للترادف والمشترك اللفظي والتضاد... الخ.

الدرس اللغوى عند اليونان

اهتم اليونان باللغة اهتماما كبيرا، فدرسوا بنية اللغة ونشأتها، وبحثوا في أصولها وتاريخها، ويعود إليهم الفضل في اطلاعنا على كثير من المعارف اللغوية.

من المعروف أن دراساتهم اللغوية نشأت في أحضان الفلسفة، ولخدمتها، ولذلك ورد إلينا في محاورة من محاورات أفلاطون تسمى محاورة (كراتيلاس)، ورد إلينا فيها نقاش لغوي بين متحاورين – كراتيلاس، وهر موجينس – حول طبيعة العلاقة بين الأشياء والألفاظ التي تدل عليها، وما إذا كانت علاقة طبيعية ضرورية، أو علاقة عرفية اصطلاحية.

يذهب كراتيلاس أن العلاقة بين الاسم والمسمى علاقة طبيعية ضرورية، وأن اسم الشيء نتيجة لطبيعة الشيء المسمى، والأسماء جزء لا يتجزأ من جوهر الشيء.

ويذهب هور موجينس إلى العلاقة العرفية الاصطلاحية بين الاسم والمسمى، ويرى أن الألفاظ رموز نستخدمها في التعبير عن الأشياء.

وقد ذهب أرسطو إلى القول بالعلاقة العرفية بين الألفاظ والأشياء التي تدل عليها هذه الألفاظ. وهذا هو القول الراجح والمعمول به، وهو ما رجحه اللغويون في العصر الحديث من لدن (دي سوسير) حتى الآن.

نشأ عن هذا الحوار الذي استمر حوالي قرن من الزمان ظهور مدرستين يونانيتين هما مدرسة الشذوذيين ومدرسة القياسيين... يتزعم الأولى كراتيس، ويتزعم الثانية أرستراخوس.

يرى كراتيس أن اللغة فطرة إنسانية لا تخضع للقوانين أو القواعد المطردة، ويستدل على هذا بما لاحظه في اليونانية من خروج على القواعد المقررة.

أما أرستراخوس فيرى أن اللغة أمر طبيعي، وهي منتظمة ومنطقية وأنها نظام مترابط تحكمه قواعد وقوانين مطردة.

هذه أول فكرة أسهم بها أفلاطون في الدرس اللغوي، وهناك أفكار أخرى طرحها، منها فكرته عن الجملة التي يعرفها بأنها تعبير عن أفكارنا بواسطة الأسماء والأفعال، وهو يرى أن الاسم والفعل هما العنصران الأساسيان في الجملة ويعرف الاسم بأنه اسم فاعل الحدث، ويعرف الفعل بأنه اسم الحدث.

هذا مجمل ما قدمه أفلاطون للدرس اللغوي اليوناني، ويلاحظ عليه أنه لم ينظر إلى الفروق الشكلية بين الاسم والفعل ولم يضعها في اعتباره عند التعريف؛ لأنه ركز على المعنى والدلالة، فغاب عنه ملاحظة عناصر كلامية معروفة في اللغة اليونانية ليست من الأسماء، ولا من الأفعال.

وأما جهود أرسطو في دراسة اللغة اليونانية فنعرضها في السطور التالية.

كان لدى أرسطو نظرية عامة في اللغة، فقد وضع مستويات مختلفة تدرس اللغة على أساسها، وتتميز أشكال الكلمات والجمل، وتتحدد معاني الكلمات في حال إفرادها أو تركيبها وتذكر الفروق بين أنماط اللغة المنطوقة والمكتوبة.

وعلى الرغم من مزج أرسطو ما هو لغوي بما هو منطقي يعود إليه الفضل في إرساء تحليل النحو على أساس تأليف الجملة من قطبين هما: المسند والمسند إليه.

ويتجلى الجانب الثالث من جهود أرسطو في إرساء مجموعة من التعريفات التي أفدنا منها حتى الآن؛ فقد عَرَّف الاسم بأنه لفظ مفرد يدل على معنى بالاصطلاح، ولا يدل على زمن ولا يفيد أي جزء من أجزائه معنى على انفراد.

وعرف الفعل بأنه لفظ مفيد يدل على حدث، وليس لأي جزء من أجزائه

معنى قط، وهو يدل دائما على معنى يسند إلى شيء ما.

أما الجملة فإنها كلام مفيد قد يدل الجزء من أجزائها على معنى بانفراد.

وجاء الرواقيون وعلماء الإسكندرية فأدلوا بدلوهم في هذه الأبحاث اللغوية، فوضع (ثراكس) أول كتاب في قواعد اللغة اليونانية درس فيه أصوات اليونانية، وتحدث عن أصول كلماتها والأقسام العامة للكلام.

ومن جوانب الدراسة الصوتية عنده التفريق بين الأصوات الانفجارية والاحتكاكية، والأصوات المجهورة والمهموسة.

أما الدراسة النحوية الصرفية فمنها حديثه عن أقسام الكلام التي جعلها ثمانية، وهي:

الاسم والفعل واسم الفاعل وأداة التعريف والضمير وحروف الجر والظرف وأدوات العطف.

وتوسع علماء الإسكندرية في الموضوعات السابقة التي أشار إليها أفلاطون وأرسطو حول تصنيف الأصوات وأقسام الكلام وتحليل حالات الإعراب وبنية العبارة.

الدرس اللغوي عند الرومان

ورثت الامبراطورية الرومانية معظم أملاك الامبراطورية اليونانية، وكانت اللغة اللاتينية أختا شقيقة للغة اليونانية القديمة فنقل الرومان التراث اللغوي الذي تركه اليونان، ولم يزيدوا عليه شيئا مما يتعلق بالابتكار والجدة والسبق.

ألّف (فارّو) = القرن الأول قبل الميلاد كتابا سماه (اللغة اللاتينية) قسم فيه الكلام إلى أربعة أقسام مخالفا بذلك التقسيمات التي كانت سائدة في عصره، وألَّف (كونتيليان) = في القرن الأول الميلادي كتابا في فن الخطابة ضمنه موجزا عن قواعد اللاتينية.

وألف (بريشيان) (ق ٦ق.م) كتابه عن (قواعد اللغة) يقع في ثمانية عشر جزءًا، ذكر فيه تعريفه المشهور للجملة، وهو أنها نظم من الكلام يدل على معنى كامل.

الدرس اللغوي في العصور الوسطى

(من القرن الرابع الميلادي إلى القرن الرابع عشر)

أولا- الدرس اللغوي في أوربا:

حدثت مجموعة من الأمور في هذه الفترة (من القرن الرابع الميلادي إلى القرن الرابع عشر) كانت كفيلة بحدوث تطور كبير في البحث اللغوي في أوربا، ولكن ذلك لم يحدث.

من هذه الأمور انتشار المسيحية بين الشعوب الوثنية في أوربا، وقيام المبشرين بترجمة النصوص الدينية (التوراة والإنجيل) إلى لغات هذه الشعوب.

ولم تكن هذه الشعوب تعرف الكتابة؛ فاستحدث المبشرون أبجديات لها، ومنها الأبجدية الكلتية والجرمانية.

وكان المتوقع أن يؤدي هذا النشاط إلى تقدم حقيقي في مجال الدراسة الصوتية، لكن ذلك لم يحدث.

وظهرت كتيبات تساعد المسافرين والحجاج والجنود على التفاهم مع الأجانب.

تلك كانت العوامل الجديرة بتطور البحث اللغوي في أوربا في العصور الوسطى، لكن هذا التطور لم يحدث، فلم تخرج كتب القواعد في هذه العصور عما تركه دوناتوس، وبريشيان، وكانت كلها تدرَس قواعد اللغة اللاتينية.

وقد تأخر ظهور كتب القواعد التي تدرس اللغات الأوربية الأخرى.

وعلى الرغم من التطور والتغير المستمر في اللغة اللاتينية خلال هذه العصور (أكثر من ألف عام) لم يتنبه العلماء إلى ذلك، وظلوا ملتزمين بتقاليد الكتابة التي تمثل اللاتينية القديمة. وكانوا يرون أن اللاتينية تمثل الشكل الطبيعي المنطقي لكلام البشر، وهي الفكرة التي عرفت بعد ذلك باسم (النحو العالمي) الذي يحاول الكلام عن القواعد العامة التي تحكم اللغات المختلفة.

وشاع في هذه العصور فكرة أن اللغة العبرية هي أم اللغات الإنسانية، وهي فكرة دينية يهودية مسيحية، قائمة على تصور مسيحي يهودي.

ثانيا- البحث اللغوي عند العرب:

كان المفترض ألا نعرض لهذا الموضوع هنا؛ لسببين على الأقل، هما: أننا معنيون في الأساس باستعراض تاريخ البحث اللغوي في الغرب، والسبب الثاني أننا سوف نظلم الفكر اللغوي العربي إذا عرضنا له في هذا الموجز، أو الحيز الضيق؛ لأن ما قدمه العرب المسلمون في هذا المجال أكبر وأعظم وأجل من أن يشرحه مجلد، أو مجلدات ولذلك يقول أحد العلماء – ومعه كل الحق-:

(لا نرى أن الصفحات القليلة التي يقدر لها أن تستغرق الحديث في البحث اللغوي عند العرب تكفي لبيان أصوله وسماته المميزة ومكانه بين البحوث اللغوية للأمم الأخرى، هذا شيء أبعد ما يكون عن الحق والعدل، كما أنه أبعد ما يكون عن الواقع؛ فالبحث اللغوي عند العرب يستغرق مجلدات لا صفحات، وهو عمل ينبغي أن يتوفر له جمع من العلماء، لا هَمَّ لهم غيره، و لا مطمح لهم سواه، لا يدخرون في سبيله وقتا أو مالا أو جهدا) [د. محمد حسن عبد العزيز: مدخل إلى علم اللغة ص٢٥٩].

نشأ البحث اللغوي عند العرب في ظل الإسلام ولخدمته وخدمة القرآن الكريم والسنة الشريفة الطاهرة فلم يكن للعرب قبل الإسلام جهد لغوي معروف اللهم إلا ما ورد إلينا عن العرب البائدة قبل الميلاد من معرفتهم الخط والكتابة، وما ورد كان يتداول فيه من أفكار لغوية.

ظهر البحث اللغوي عند العرب للسبب الديني وللسبب القومي متمثلا في الخوف على القرآن الكريم ومحاولة فهمه ودراسته من جانب ولظهور اللحن في العربية والخوف عليها من جانب آخر.

دعتهم أسباب أخرى بالإضافة إلى ما سبق منها الحاجة الملحة لدى المسلمين من غير العرب إلى تعلم العربية، والاحتكاك بين العربية ولغات الشعوب الداخلة في الإسلام، ونضج العقلية العربية الإسلامية واحتكاكها بالحضارات الأخرى.

وإذا أردنا توضيح الخطوط العامة للدرس اللغوي عندهم واعتمدنا مستويات التحليل وفروع علم اللغة؛ كان التصور العام كالآتي:

جهودهم الصوتية:

عرض العرب لأصوات اللغة العربية في بحوث التجويد ومقدمات المعاجم وكتب النحو والصرف، فعرض الخليل بن أحمد في معجمه (العين) لمسائل صوتية كثيرة من أهمها تحديد مخارج الأصوات وبيان صفاتها وأحوالها، وتشكيلها للكلمات العربية.

وتحدث سيبويه في (الكتاب) عن مسائل صوتية تكاد تغطي مجالات الدراسات الصوتية.

وكان لعلماء التجويد والقراءات القرآنية جهود كبيرة في مجال البحث الصوتي.

ومثلهم كان البلاغيون ونقاد الأدب، وبعض الفلاسفة، وغيرهم من علماء الأمة.

جهودهم النحوية والصرفية:

ينسب التأليف الأوَّلي في النحو إلى أبي الأسود الدؤلي، ثم جاءت أجيال كثيرة من القراء على رأسهم عيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن اسحق وغيرهم كثير كان لكل واحد منهم نظرات وإسهامات في موضوعات صرفية ونحوية كثيرة وقد أفاد منهم سيبويه في تجميع أفكاره ومسائله وموضوعاته التي ضمنها كتابه الأساسي في النحو العربي.

وظهرت عند اللغويين العرب مدارس نحوية متميزة، عرف منها مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ومدرسة بغداد ومدرسة الشام ومدرسة مصر ومدرسة الأندلس.

وأقدم هذه المدارس وأشهرها وأقربها إلى المنهج المعياري التعليمي مدرسة البصرة التي يرى كثير من الباحثين أن مؤسسها الحقيقي هو الخليل بن أحمد. ونقل عنه تلميذه سيبويه كثيرا من آرائه النحوية.

والمدرسة الثانية في الشهرة والنشأة هي مدرسة الكوفة التي أخذ علماؤها

نحوهم عن علماء مدرسة البصرة، فقد أخذ مؤسسها أبو جعفر الرؤاسي نحوه عن عيسى بن عمرو أبي عمرو بن العلاء.

جهودهم المعجمية والدلالية:

ذكر بعض المحدثين أن النشاط المعجمي عند العرب بلغ منزلة لم تبلغها أمة أخرى حتى أمم العصر الحديث سوى الأمة الصينية، وذلك راجع إلى عنايتهم باللغة العربية ومحاولة فهمها والمحافظة عليها، والرغبة في استمرار مدارسة القرآن الكريم والسنة الشريفة وفهمهما حسب العربية في العصر الإسلامي الأول.

تنوعت المعاجم العربية، وتعددت مدارسها، واختلفت أحجامها، وأنواعها، ولا نستطيع في هذا الموجز سرد أسماء هذه المعاجم، ولو أردنا أسماءها وعناوينها لاحتجنا مئات الصفحات. ونذكر للقراء فقط الدراسة القيمة والببليوجرافيا الضخمة التي صنعها الباحث العلامة الأستاذ وجدي رزق غالي، وقدم لها الأستاذ الدكتور حسين نصار.

ترك العرب معاجم الموضوعات، ومعاجم الألفاظ، كما تركوا معاجم متخصصة أو معاجم اصطلاحية.

ودرس العرب الموضوعات الدلالية، واشترك في الدراسة طوائف ضخمة من العلماء، على رأسهم علماء التفسير وشراح الأحاديث النبوية، وعلماء الأصول – أصول الفقه – والنحاة والصرفيون والبلاغيون ونقاد الأدب وأهل الفلسفة وعلماء الكلام وغيرهم كثيرون.

وفي كلمة واحدة: لقد درس هؤلاء جميعا موضوعات دلالية غطت جميع الموضوعات التي درسها المعاصرون، وبنفس الدقة والعمق مع الأخذ في الاعتبار أنهم سبقوا إلى تناول موضوعات لم يعرض لها العلماء في الغرب، ومن يعترض على هذا الراي الخاص بنا فليقرأ – بعمق وتفهم – تراث علماء أصول الفقه في مباحثهم الدلالية.

المرحلة الانتقالية

تبدأ هذه المرحلة من نهاية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر الميلاديين، وتنتهي بنهاية القرن التاسع عشر.

وقد سمى هذه المرحلة كثير من الباحثين (بداية العصر الحديث)، لكننا نسميها (المرحلة الانتقالية)؛ لأن جميع ما تم فيها من اهتمام لغوي كان يمثل انتقالا من بحث إلى بحث آخر، ومن اتجاه إلى اتجاه آخر، ومن فكرة إلى فكرة أخرى في الدرس اللغوي بصفة عامة.

المهم أن الواجب علينا الآن استعراض فترات هذه المرحلة وما تم فيها من دراسات لغوية واضحة ومحددة.

الدرس اللغوي خلال عصر النهضة:

يعد عصر النهضة في أوربا بداية مسيرة طويلة لبناء صرح الحضارة التي يعيش الناس في كنفها حتى الآن. ويبدأ هذا العصر من مطلع القرن الخامس عشر الميلادي وينتهي بنهاية القرن السابع عشر.

حدثت أمور في هذا العصر، وظهرت عوامل كثيرة كانت جديرة بتطور الدراسات اللغوية تطورا ملحوظا، من هذه العوامل:

- بدء نشاط عصر الكشوف الجغرافية، ومعرفة العالم الجديد، واكتشاف العالم القديم لنفسه.
- ازدياد الأطماع الاستعمارية الأوربية في آسيا وأفريقيا.
- محاولة الاطلاع على أحوال الشعوب التي تم استعمارها ومعرفة الكثير عنها.
- اتساع نطاق العلاقات الدولية اتساعا كبيرا.
- ظهور حركة الإصلاح الديني في وربا.
- ظهور المطبعة، وتطور الكتابة.

كانت هذه العوامل جديرة بإحداث تطويرات كثيرة في الدرس اللغوي لكن الذي حدث فقط هو ما يلي:

- إنشاء معاجم لغوية، وكتب مدرسية في اللغات الأجنبية.
- التوجه إلى دراسة اللغة العبرية والآرامية والسوريانية؛ لأنها اللغات التي حفظت كثيرا من النصوص الدينية.
- كثرة البحوث التي تهدف إلى إثبات القرابة اللغوية بين العبرية والآرامية والسوريانية والعربية.
- كان المتوقع أن تزدهر الدراسات الوصفية التي تدرس اللغات في العالم الجديد، وأن توضع لها أبجديات ونظم كتابة ولكن كثيرا من ذلك لم يحدث.
- ولعل السبب الأساسي في عدم حدوث التطور هو سيطرة الأفكار والتقاليد اللغوية في الدرس اللاتيني على أذهان العلماء.

القرن السابع عشر:

استمر النشاط اللغوي الذي كان سائدا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر مع ملاحظة أمرين جديدين في الدرس اللغوي، هما:

- النشاط اللغوي الذي قام به رهبان دير (بور رُوَيَّال) ولاسيما (آرنولد) و (لانسيلو)؛ فقد وضعا الأساس لما سمياه (القواعد اللغوية العامة) والمعللة تعليلا عقليا، وقد أسسا هذه القواعد العامة على مقارنة اللغة الإيطالية والفرنسية وما وجداه من تشابه كبير بين قواعدهما وقواعد اللغة اللاتينية.
- ظهور فكرة اللغة العالمية الاصطناعية التي تجمع مزايا التصنيف المنطقي لجميع المفاهيم مع تعبير مشترك عالمي معتمد على أبجدية صناعية.

البحث اللغوي في القرن الثامن عشر:

استمر النشاط اللغوي للاتجاه العقلاني في دراسة اللغة، وهو الاتجاه الذي أرسته جماعة (بور رويال)، وتتلخص ملامحه فيما يلي:

- اللغات كلها تعبر عن الأفكار.
- هناك علاقة بين الجملة في النحو والقضية في المنطق.
- ينبغي أن تحلل الجملة على أساس واحد بغض النظر عن اللغة المعنية الخاضعة للتحليل.
- كانت البحوث تجرى لوضع القواعد العامة التي تصلح لكل اللغات.

واستمر البحث في اللغات الحية في آسيا وأفريقيا، وقام كثير من الباحثين بوضع قوائم للمفردات، وعقد مقارنات بين اللغات.

واستمر البحث كذلك في أصل اللغات، لكن غلبت عليه النزعة العقلية لأن الذين قاموا به كانوا من الفلاسفة أصلا، مثل (روسو) و(آدم سميث) و(هوبز) و(كوندّياك).

وحدث تطور في الدراسات التاريخية عندما بدأ البحث في تاريخ اللغات يبتعد عن الفروض التخمينية، وخصوصا بعد أن دحض (لايبنتز) النظرية القائلة بأن العبرية هي أم اللغات، وبدأ يؤسس لهذه اللغة الأم أو الأصل بأنها سابقة لكل اللغات المعروفة.

ظهرت بعض النظريات اللغوية، ومنها ذهاب (كوندّياك) إلى ضرورة الاجتماع البشري لكي يتحقق التبادل اللغوي، وأن العلامات اللغوية اصطلاحية عرفية اختارتها الجماعة اللغوية واتفقت على استعمالها.

البحث اللغوي في القرن التاسع عشر:

كان القرن التاسع عشر قرن البحوث اللغوية التاريخية والمقارنة، ولا سيما المقارنات بين اللغات الهندو أوربية؛ فقد شهد هذا القرن تطور المفاهيم الحديثة– النظرية والمنهجية – لعلم اللغة التاريخي والمقارن، وكان الاهتمام الأكبر للباحثين موجها لهذا الجانب أكثر من بقية الجوانب.

ويرجع السبب الأساسي في ازدهار الدراسات التاريخية والمقارنة إلى اكتشاف اللغة السنسكريتية قبيل نهاية القرن الثامن عشر (١٧٨٦م) على يد

السير (وليم جونز)؛ فقد كان اكتشاف هذه اللغة له أثر بالغ في حقل الدراسات اللغوية التاريخية والمقارنة، ويتجلى ذلك فيما يلي:

- اكتشاف القرابة اللغوية الواضحة بين اللغات السنسكريتية واليونانية واللاتينية.
- تأسيس الدراسة المقارنة على القرابة في جذور الأفعال، والتحولات الصوتية والصيغ النحوية.
- الكشف عن وجوه من القرابة اللغوية بين اللغات السابقة ولغات أخرى تمت دراستها، ومنها اللغات الكلتية، والقوطية والفارسية القديمة.
- تعزيز الفكرة القائلة بأن (نحو) اللغات متماثل في جوهره مختلف في مظهره.
- تثبيت الفكرة القائلة بأن تطور اللغات كان تحريفات متعاقبة حدثت بمرور الزمن.

وكما قيل عن القرن التاسع عشر: إنه قرن الدراسات التاريخية والمقارنة يمكن أن يقال عنه بصدق وحق: إنه قرن اللغويين الألمان، فقد بدأ الدرس اللغوي المقارن على يد عدد من العلماء الألمان من أمثال (فرانز بوب = ١٧٩١– ١٨٦٧) و (يعقوب جريم = ١٧٨٥ – ١٨٦٣) وفردزيك بوت = ١٨٠٢ – ١٨٨٧) و (شليجل).

انطلق هؤلاء العلماء يدرسون القرابة بين اللغات ويصنفون هذه اللغات إلى اسر وعائلات وأدى ذلك إلى نضج هذه الدراسات وتبلورها على يد جيل لاحق من أمثال (راسك ١٧٨٧ – ١٨٣٢) و (شليشر) و (ماكس مولر) وغيرهم.

وقد امتدت آفاق علم اللغة المقارن فيما بعد لتشمل فروعا مستقلة للغات الهندية الأوربية (على سبيل المثال: اللغات الرومانثية المتفرعة عن أصل لاتيني مشترك، كالفرنسية والإيطالية والاسبانية والبرتغالية).

وامتدت آفاقه كذلك لتشمل عائلات أخرى مثل عائلة اللغات السامية التي تقع خارج نطاق المجموعة الهندية الأوربية. ومن لغات هذه العائلة: العربية

والأكادية والعبرية والآرامية، والسوريانية والحبشية.

ومع ازدهار المقارنات في هذا القرن ظهرت بحوث لغوية في مجالات أخرى؛ مجال علم اللغة الوصفي، ومجال دراسة اللهجات، ومجال الجغرافيا اللغوية،... الخ.

لكن الحدث الأكبر والأهم هو ظهور جماعة النحاة الشبان وكان نشاطهم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وعلى أيديهم ازدهرت الدراسات اللغوية التاريخية، فقد كان شعارهم – الذي صاغه وعبر عنه بوضوح هرمان بول (١٨٤٦ – ١٩٢١) – لا وجود لبحث لغوي حقيقي بدون النزعة التاريخية.

عُرِف النحاة المحدثون، أو النحاة الشبان في السبعينيات من القرن التاسع عشر في جامعة (لايبزج) بألمانيا، وألفوا مدرسة جادة مجتهدة تستحق مكانا رفيعا في تاريخ علم اللغة.

لقد أضفوا الانضباط التام على المنهج التاريخي المقارن الذي كان حديث التأسيس، وكانت بداية هذا الإنجاز من خلال دراستهم موضوع (التغيرات الصوتية).

وتمت إعادة تركيب أقدم الأطوار والمراحل للغات الهندية الأوربية على نحو أكثر ثباتا وشمولا.

وانكب النحاة الشبان على تاريخ اللغة مقتنعين اقتناعا راسخا بأن المنهج التاريخي في الدراسة هو أنسب معالجة منهجية تحقق الأهداف النبيلة.

كان النحاة الشبان على اقتناع راسخ باتساق القوانين الحاكمة على تطور اللغة.

وكان النحاة المحدثون أول من اهتم اهتماما جادا بقضية اللهجات الحية؛ لأنهم رأوا أن العملية المتواصلة للتطور اللغوي يمكن أن تلحظ على نحو أفضل داخل إطار كيان لغوي حي، وهذا الكيان للغوي الحي يتحقق في استعمال اللهجات الحية.

المرحلة الحديثة

البحث اللغوي في النصف الأول من القرن العشرين

إن القرون – كبدايات، أو نهايات زمنية – لا تتطابق دائما مع نقط التحول في التاريخ، ومن الناحية العملية... فإن القرن التاسع عشر يمتد إلى ما بعد عام ١٩٠٠ حتى نشوب الحرب العالمية الأولى التي غيرت وجه التاريخ، ولم يصبح العالم بعدها كما كان قبلها.

ومعنى ما سبق فيما يتصل بتاريخ الدرس اللغوي أننا سوف نعثر على دراسات ممتدة في أوائل القرن العشرين تنتمي إلى الاتجاهات التي كانت سائدة في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، وعلى رأسها الدراسات التاريخية والمقارنة.

وسوف نعثر كذلك على بحوث تمت في القرن التاسع عشر تنتمي من حيث الموضوع والمنهج والمعالجة إلى القرن العشرين، ومن ذلك ما قام به لغويان بارزان هما: ويتنى، وكورتني.

أما (دوايت ويتني = ١٨٢٧ – ١٨٩٤) فهو لغوي أمريكي في الأصل كان من علماء السنسكريتية اللامعين في عصره، لكن أفكاره في مجملها كانت مما ينتمي إلى القرن العشرين، ومن أهم هذه الأفكار ما يلي:

- اللغة واقعة اجتماعية، ولذلك علم اللغة علم تاريخي.
- ضرورة دراسة اللغة بوصفها نظاما اتصاليا من اختراع الإنسان.
- الكلمات أدوات للفكر، وهي نتاج غير مباشر لهذا الفكر.
- اللغة نظام معقد من الرموز.
- سعى إلى أن يصبح علم اللغة علما مستقلا، ففصل بينه وبين العلوم الطبيعية وعلم النفس.
- حدد اللغة بمجموعة الأصوات المنطوقة بغرض الاتصال، وفصل بينها وبين بقية أشكال الاتصال الأخرى.

وأما (بودوان دي كورتني = ١٨٤٥ – ١٩٢٩) فهو لغوي روسي الصل ولد في بولونيا، والتقى مع دي سوسير واستمع كل منهما للآخر، وشهد له دي سوسير بالأصالة وفهم النظرية اللغوية.

- انطلق كورتني من الفنولوجيا (دراسة وظائف الأصوات) وعَدَّها نقطة البدء في الدراسة اللغوية.
- اكتشف كورتني الطبيعة اللغوية للفونيم (الوحدة الصوتية)، وأدرك أن أصوات اللغة ذات وظيفة تمييزية تفرق بين الكلمات ومعانيها، مثل (آل، بال، جال، حال، دال، زال، سال، ...إلخ).
- أكد ضرورة التمييز بين الصوت المجرد الخام **Phon** والصوت اللغوي ذي الوظيفة اللغوية **Phoneme**.

هذان العالمان ينتميان أساسًا إلى القرن التاسع عشر ولكن أفكارهما تنتمي إلى بدايات القرن العشرين، مع التنبه إلى أن دي سوسير كان من الممكن أن ينضم إليهما لولا (الثورة) التي أحدثها في البحث اللغوي، تلك الثورة التي جعلته رائد الدرس اللغوي الحديث؛ لأنه فرق بين الدراسة العلمية للغة، والممارسات غير العلمية في البحث اللغة. ولن نفهم هذه الحقيقة إلا بعد أن نعرض لمجموع آرائه ونبين أثرها وقيمتها.

الدرس اللغوي عند دي سوسير:

ولد (فرديناند دي سوسير = ١٨٥٧ – ١٩١٣) في جنيف وكان أحد علماء الدرس التاريخي المقارن، وظل ينشر أبحاثه في هذا المجال إلى أن قام بتدريس علم اللغة العام لمدة ثلاث سنوات في شكل محاضرات مملاة جُمِعَتْ بعد وفاته بثلاث سنوات وطبعت عام ١٩١٦ تحت عنوان (محاضرات في علم اللغة العام).

وقد أسس دى سوسير لمجموعة من المبادئ اللغوية كانت منطلقا لظهور علم اللغة الحديث، منها:

(١) اللغة ظاهرة اجتماعية:

وينبغي دراستها بحسب المنهج العلمي الذي يدرس الظواهر الاجتماعية، بمعنى أنها ظاهرة تختلف باختلاف المجتمع الذي تستعمل فيه، وتخضع للقوانين التي تخضع لها الظواهر الاجتماعية الأخرى.

(٢) اللغة نظام من العلامات الوضعية:

وينبغي دراستها بحسب المنهج الذي تدرس به العلامات.. إنها جزء من العلامات الاصطلاحية، ومنهج دراستها هو منهج (السيميوطيقا) أو علم العلامات.

(٣) التفريق بين اللغة والكلام:

فرق دي سوسير بين اللغة بوصفها نظاما من القواعد المخزونة في ذهن المتكلمين يتحدثون بحسب هذه القواعد، وبين الكلام بوصفه نشاطا من المتكلمين بحسب قواعد اللغة.

ومن الجدير بالذكر هنا أن هذه الثنائية ظلت غير مفهومة الفهم الصحيح إلى وقت قريب، وربما إلى وقت كتابة هذه السطور لدى بعض الاتجاهات، ومرفوضة لدى بعض الاتجاهات الأخرى.

لقد قرر دي سوسير وجوب دراسة اللغة في ضوء السيميوطيقا أو بوصفها جزءا من هذا العلم. وهذا العلم نفسه – كما يقرر تشارلز موريس وتشارلز بيرس – يدرس اللغة في ثلاثة مستويات هي:

- النحو.
- الدلالة .
- التداولية.

ويلاحظ عند دي سوسير أنه ضم النحو والدلالة تحت اسم اللغة = القواعد الثابتة المخزونة في أذهان الجماعة اللغوية وجعل الكلام كأنه التداولية، أو الاستعمال الفردي في المواقف الفردية المقامية. وبهذا التقسيم يكون دي سوسير

قد سبق عصره بخمسين عاما على الأقل.

(٤) التمييز بين الدراسة الوصفية والدراسة التاريخية:

فرق دي سوسير تفريقا حاسما في دراسة اللغة بين الطريقة الوصفية التي تدرس الظاهرة اللغوية في مكان محدد وزمان محدد ومستوى لغوي محدد، وبين الطريقة التاريخية التي تدرس الظاهرة اللغوية في مكان محدد ومستوى لغوي محدد، ولكن في فترتين زمنيتين مختلفتين فأكثر.

ولم يسمح بالخلط بين الطريقتين أو المنهجين ضمانا لتحقيق صفة العلمية للدراسة اللغوية وخوفا من الخلط والاضطراب في نتائج الدراسة.

(٥) التمييز بين العلاقات الرأسية والعلاقات الأفقية:

ميز دي سوسير بين هذين النوعين؛ لأنه نظر إلى اللغة بوصفها نظاما قائما على التقابلات والقيم الخلافية، وأساس تحليل هذا النظام هو فهم البنية الداخلية للغة عن طريق فهم العلاقات بين الوحدات الداخلية للغة.

لكل ما سبق ميز بين العلاقات الرأسية والأفقية في دراسة اللغة دراسة علمية مضبوطة.

- العلاقات الرأسية تسمى العلاقات الجدولية، وترتبط باختيار الوحدات والكلمات التي تملأ (خانة) أو تصلح لشغل موقع من المواقع في بناء الجملة، مثل العلاقات التي تربط: ضرب، كتب، لعب، نجح، ذاكر،.. الخ. والعلاقات التي تربط: عمرو، زيد، محمد، علي، سعد.. الخ. والعلاقات التي تربط: مِنْ، إلى، على، في.. الخ.

ويتم الاختيار بين وحدات تنتمي كل منها إلى قائمة من القوائم السابقة وكل واحدة تصلح أن تكون مقابلا استبداليا في الجملة.

- العلاقات الأفقية وتسمى العلاقات التركيبية، وترتبط بالعلاقات النحوية بين عناصر بناء الجملة، مثل العلاقة بين الفعل والفاعل والمفعول به أو بقية المكملات في الجملة الفعلية، ومثل العلاقة بين المبتدأ والخبر

والنواسخ والتوابع في الجملة الاسمية.

تلك أهم المبادئ التي أرسى دعائمها دي سوسير فاستحق بجدارة أن يكون رائد علم اللغة الحديث، واستحق أن يفتح الباب أمام الدراسات العلمية للغة، وأن يؤصل لكثير من مناهج الدراسة، واتجاهات الدراسة أو مدارسها اللغوية.

وقد سبق التعريف بمناهج البحث في علم اللغة، وها نحن أولاء نحاول التعريف باتجاهات البحث أو مدارسه.

مدارس علم اللغة

ظهرت هذه المدارس وتميزت في النصف الأول من القرن العشرين بعد وضوح مفهوم الدراسة العلمية للغة ومن المعروف أن هذه المدارس، أو الاتجاهات أو الآفاق كانت تعمل كلها تحت ما يسمى المدرسة البنيوية، أو الاتجاه البنيوي في دراسة اللغة، وهو الاتجاه الذي أرسى دعائمه فرديناند دي سوسير، وسبق أن عرضناه تحت (العلاقات الرأسية والعلاقات الأفقية).

اشتهر من هذه المدارس ما يلي:

١ – مدرسة براغ، وقد تسمى حلقة براغ:

تأسست عام ١٩٢٦م على يد ثلاثة من كبار اللغويين هم: تروبتسكوي، وجاكوبسون، وكارسفسكي.

وقدموا مشروعهم اللغوي إلى مؤتمر علم اللغة المنعقد بهولندا سنة ١٩٢٨م، واتسم هذا المشروع بأنه بنيوي وكانت لهم مجلة تسمى (مجلة أعمال حلقة براغ اللغوية **T.C.L.P**) ومن أهم منجزاتهم:

– تحديد حقيقة (الفونيم) في أنه الوحدة الفونولوجية التي لا تقبل التحليل أو التجزيء إلى وحدات فونولوجية أكثر صغرا. وقد عرفه تروبتسكوي بأنه – أي الفونيم – كل تعارض بين صوتين يمكن أن يميز – في لغة ما – بين معنيين فكريين. مثل التمييز بين: (زار) و (سار) و (صار)، لما اختلف المعنى كان كل

من (ز) و (س) و (ص) فونيما مستقلا.

- أرسوا دعائم الدراسة الفونولوجية القائمة على دراسة التقابلات، أو القيم الخلافية الاستبدالية في لغة من اللغات.

٢- مدرسة كوبنهاجن، أو حلقة كوبنهاجن:

تاسست في الدنمرك، ومن أبرز أعلامها (أوتوجسبرسن) و(بدرسن) و(هلمسليف).

وقد اهتمت هذه المدرسة بمعظم المبادئ التي أرساها فرديناند دي سوسير، فيما عدا التفريق بين اللغة والكلام الذي اعترض عليه جسبرسن، ورأى أنه غير دقيق.

لكنهم عمقوا بقية مبادئ دي سوسير، وتبنوها، ولاسيما القول بالطبيعة الاجتماعية للغة، وإرساء دعائم المنهج الوصفي.

واشتهر (هلمسليف) من أعضاء هذه المدرسة أكثر من زملائه، ونسبت إليه المدرسة في راي كثيرين؛ لأنه قدم نظرية تسمى (الجلوسماتيك) في تحليل العلاقات بين وحدات التركيب صاغها بطريقة رياضية ظلت صعبة التطبيق لطبيعتها الرياضية، وعدم وضوح التعبير عنها لكنها أفادت فيما بعد في الترجمة الآلية وتشفير اللغة وأنظمة الحاسب الآلي.

ولعل ما يوضح أفكار (هلمسليف) أكثر هو إلقاء الضوء على مصطلحاته ومبادئه، وذلك فيما يلي:

المصطلحات:

تبنى هلمسليف مجموعة من المصطلحات الخاصة به ولكي نفهم المراد منها نضعها بإزاء المصطلحات الشائعة في الدرس اللغوي عند غيره من العلماء.

- التعبير والمحتوى بدلا من: الدال والمدلول عند سوسير.
- النظام والاستعمال بدلا من: اللغة والكلام عند سوسير.
- الغائب والحاضر بدلا من: الرأسي والأفقي عند وسوسير.

- الذاتية بدلا من: دراسة اللغة لذاتها وفي ذاتها عند سوسير.
- الرمز – أو الوحدة المجردة. بدلا من الفونيم عند مدرسة براغ.
- الترابطات بدلا من العلاقة الرأسية عند دي سوسير.
- الوظائف بدلا من العلاقة الأفقية عند دي سوسير.

المبادئ:

أقام هلمسليف نظريته على أساس طريقة علماء المنطق، وحدد مجموعة من المبادئ لهذه النظرية منها:

- **المبدأ التجريبي:** ويقصد به وجود معايير عدم التناقض والشمولية والبساطة.
- **مبدأ الاستقلال:** ويقصد به مبدأ الموضوعية.
- **مبدأ الاعتباطية:** ويقصد به كون النظرية مستقلة في ذاتها عن كل تجربة.
- **مبدأ الانسجام والملاءمة:** ويقصد به إمكان التحقق من النظرية بالتجربة وإمكان القابلية للتطبيق.
- **مبدأ الشمول:** ويقصد به تشابه اللغات كلها في القوانين العامة للبنية فيها.

المدرسة الإنجليزية:

يعد اللغوي الإنجليزي – جون فيرث = ت ١٩٦٠م) رائد هذه المدرسة، على الرغم من وجود من سبقه من اللغويين الانجليز، منهم هنري سويت، ودانييل جونز، وغيرهما.

أقام جون فيرث مدرسته في إطار علم اللغة البنيوي وتحت المنهج الوصفي الذي يتجه إلى اللغة الحية المنطوقة يدرسها ويحللها وفق أسس المنهج الوصفي.

ويركز فيرث على الحدث اللغوي ويدرسه في ضوء السياق اللغوي وغير اللغوي متأثرا في ذلك بفكرة (مالينوفسكي) عن المقام أو سياق الحال.

كما يركز على أهمية الجانب الاجتماعي في تحليل اللغة وفهم ظواهرها والوصول إلى حقيقتها. ويحدد مستويات التحليل للوصول إلى المعنى في الخطوات التالية:

- **المستوى الصوتي:** ويدرس الوحدات الصوتية ودلالاتها.
- **المستوى الصرفي:** ويدرس الوحدات الصرفية ودلالاتها.
- **المستوى النحوي:** ويدرس الوحدات النحوية ودلالاتها.
- **المستوى المعجمي:** ويدرس الوحدات المعجمية ودلالاتها.
- **المستوى السياقي:** ويدرس الحدث المنطوق على مستواه اللغوي السابق، وعلى مستواه الاجتماعي المقامي للوصول إلى المعنى النهائي للحدث المنطوق.

وقد استمرت هذه المدرسة في العطاء على يد (الفيرثيون الجدد) وعلى رأسهم (هاليدي) و (ليونز) و (ميتشيل) و (روبنز) الذين بواصلون بحوثهم في إطار مبادئ المدرسة الاجتماعية.

المدرسة الأمريكية:

أسسها اللغوي الأمريكي (ليونارد بلومفيلد) متأثرا بأستاذه عالم النفس السلوكي (واطسون) وأفكار علم النفس السلوكي.

وقد سادت هذه المدرسة أمريكا وسيطرت على البحث اللغوي فيها في النصف الأول من القرن العشرين وخضعت للاتجاه البنيوي العام في البحث اللغوي، وتميزت مع ذلك بالسمات الآتية:

- **الوصفية:** لأنها تعتمد المنهج الوصفي بشروطه وأسسه.

– **التجريبية:** لأنها تعتمد على التجربة في التحقق من صحة التحليل ونتائجه.

– **السلوكية:** لأنها تأثرت بالمنهج السلوكي الذي يربط الاستجابة بالمثير.

– **التوزيعية:** لأنها تحلل البنية على أساس التوزيع للعناصر والوحدات اللغوية.

ولعل فكرة التوزيعية تحتاج إلى شرح وتوضيح، فاللغة نظام مؤلف من عدة أنظمة داخلية، وكل نظام داخلي مؤلف من وحدات لغوية تؤلف هذا النظام، كالنظام الصوتي الذي يتألف من مجموعة من الفونيمات التي يقع كل فونيم منها في مواضع معينة مسموح بها ولا يقع في مواضع أخرى.

وكل موضع تكون الوحدة فيه لها صفة ولها وظيفة بحسب توزيع محكم.

هذه التوزيعية ساعدت في فهم اللغة وسهولة تحليلها ووصفها ويمكن تطبيقها على الوحدات الصرفية والوحدات النحوية والوحدات المعجمية.

وظلت هذه المدرسة سائدة حتى آخر النصف الأول من القرن العشرين إلى أن ظهرت اتجاهات ومدارس أخرى سوف نعرض لها بإذن الله.

المرحلة المعاصرة

البحث اللغوي في النصف الثاني من القرن العشرين

شهد النصف الثاني من القرن العشرين تطورات كثيرة في علم اللغة، فبدأ الدرس اللغوي يتحول إلى اعتناق مبادئ وأفكار تختلف اختلافا جذريا عن المبادئ والأفكار التي سادت في النصف الأول من القرن نفسه.

ويبدو أن هذه التحولات تمت بعد اطمئنان اللغويين إلى تحقيق علم اللغة صفة العلمية ورسوخ هذه الصفة.

المهم أنه ينبغي علينا استعراض المدارس أو الاتجاهات التي سادت في هذه الفترة، وذلك في السطور التالية.

المدرسة التوليدية التحويلية

تنسب هذه المدرسة إلى اللغوي الأمريكي (نعوم تشومسكي) الذي ولد سنة ١٩٢٨م، ودرس في بنسلفانيا، وتدخلت عوامل كثيرة في تكوينه اللغوي. وأصدر في عام ١٩٥٧ كتابه الذي عنوانه: (التراكيب النحوية) وأصدر بعد ذلك كتابا آخر بعنوان (أوجه النظرية النحوية)، ثم تتابعت كتبه وأبحاثه، وما زالت تتابع حتى الآن.

أسس تشومسكي مدرسته اللغوية على مجموعة من المبادئ أهمها:

- التفريق بين القدرة والأداء.
- اللغة قدرة فطرية وليست ظاهرة سلوكية.
- التفريق بين البنية السطحية والبنية العميقة.
- الاعتماد على التوليد والتحويل في بناء الجمل.
- الاهتمام بالنحو والمعنى أكثر من اهتمام مدرسة بلومفيلد السابقة بهما.
- اشتراك اللغات كلها في (النحو العالمي) أو (القواعد العامة).

وقد قدم تشومسكي للدرس اللغوي مجموعة من الأفكار تكاد تعادل في قيمتها وآثارها في مسار التحليل اللغوي ما قدمه من قبل فرديناند دي سوسير.

من أهم ما قدمه في هذا الشأن ما يلي:

- ربط التحليل اللغوي بالعمل الحاسوبي.
- ربط العمل في مجال اللغة بالعمل في مجال المخ والأعصاب.
- أضاف إلى التحليل اللغوي تحليل النحو وتحليل المعنى.
- فرق بين القدرة أو الكفاءة والأداء.
- جعل هدفه العام الوصول إلى القواعد الشمولية بين كل اللغات، وهو ما عرف بالنحو العالمي.

إلى غير ذلك من الإضافات اللغوية الحقيقية التي غيرت مسار الدرس اللغوي لدرجة جعلت بعض الدارسين يصف ما قدمه بأنه ثورة حقيقية في علم اللغة.

القواعد التوليدية:

هي مجموعة خاصة من القواعد وضعها تشومسكي، مستأنسا بالرياضيات؛ لاكتشاف الطاقة الإبداعية داخل اللغة.

وتمثل هذه القواعد (المحدود) الذي يحدد (اللامحدود) بدقة رياضية فائقة. وبعيدا عن المعادلات الرياضية الدقيقة التي قدمها لشرح فكرته، ولإعداد برنامج حاسوبي دقيق يعمل التحليل اللغوي بمقتضاه، بعيدا عن ذلك نقول:

إن الجملة الصحيحة هي التي يمكن أن تولد منها عدة أشكال تزداد كلما زدنا عنصرا، أو نقصنا عنصرا، وقد انطلقت فكرة التوليد من موضوع تحليل المكونات المباشرة الذي كان سائدا عند مدرسة بلومفليد ولكن تشومسكي طوره بما يناسب نظريته.

مثال: فتح الرجلُ البابَ

يمكن أن يتولد عن المثال السابق أمثلة منها:

فتح البابَ الرجلُ

البابَ فتح الرجلُ

الرجلُ فتح البابَ

وهكذا. ولو زدنا في بناء هذه الجملة عنصرا آخر لحصلنا على توليدات لجمل أكثر عددا.

القواعد التحويلية:

ومعناها أن الجملة الصحيحة التي تم توليدها يمكن تحويلها إلى صيغة أخرى.

مثال: فتح الرجل الباب.

يمكن أن نحول الجملة السابقة إلى المبني للمجهول، أو المطاوعة أو الاستفهام أو النفي، أو الحصر، أو الرجاء... الخ.

- فتح الرجلُ البابَ
- فُتح البابُ
- انفَتح البابُ
- هل فتح الرجلُ البابَ؟
- ما فتح الرجل الباب
- إنما فتح الرجل الباب
- عسى أن يفتح الرجل الباب
- الذي فتح الباب هو الرجل.
- ما فتح الباب إلا الرجل.

وهكذا إلى آخر ما تسمح به قواعد اللغة المعينة من جمل صحيحة تتحول عن جملة أساس مولدة.

نظرية التحليل التكويني:

تأسست هذه النظرية على يد أتباع تشومسكي وتلاميذه وخصوصا (كاتز) و(فودور) اللذين اضطرا إلى إدخال المعنى، أو المكون الدلالي في التحليل اللغوي، بعد أن أخرج لهم الحاسوب جملة صحيحة نحويا ومعجميا لكنها فاسدة المعنى والدلالة، تلك الجملة هي:

الأحلام الخضراء عديمة اللون تنام بعنف.

البناء الصوتي لكل كلمة سليم وصحيح، والصياغة الصرفية صحيحة، والإسناد النحوي صحيح من الناحية الشكلية والمفردات عربية موجودة في المعجم، ولكن أين الخلل؟

يكمن الخلل في الجملة السابقة في نظام المعاني حيث لا تأتلف الوحدات معا لتنتج لنا معنى تركيبيا صحيحا؛ فاقترح أصحاب النظرية حلا يقوم على تحليل معنى كل كلمة إلى عناصره المعنوية الصغرى، أو ما سموه (المكونات الدلالية).

واستندوا إلى أنه إذا تم تحليل المعنى إلى عناصره الصغرى كما تم تحليل أجزاء الجملة إلى عناصرها، وتم إدخال ذلك كله إلى الحاسوب فإنه سوف يخرج لنا جملا صحيحة المعنى والتركيب.

هذا جوهر النظرية التي طرحوها، ويمكن بمقتضاها تحليل جميع مفردات اللغة. واعتمدت النظرية على مجموعة من المحددات، هي:

- المحدد النحوي.
- المحدد الدلالي.
- المميز الدلالي.

فمثلا كلمة (رجل) تتألف مما يلي:

+ اسم + محسوس + حي + بشري + ذكر + بالغ.

وتوزيع هذه المكونات الدلالية كالتالي:

١- محدد نحوي: + اسم.

٢- محدد دلالي: + محسوس + حي + بشري.

٣- مميز دلالي: + ذكر بالغ.

هذا التحليل السابق كفيل بالوصول إلى عناصر المعنى الخاصة بكل كلمة، وكفيل بالتغلب على أسباب الخلل في بناء الجمل، لكنه مازال يواجه صعوبات تحليلية ضخمة يأتي في مقدمتها طريقة التحليل التكويني للأدوات والحروف، والتحليل التكويني لكثير من الأفعال، ولاسيما ما يتعلق باللازم والمتعدي.

وحاول بعضهم التغلب على بعض هذه المشكلات باقتراح ضم نظرية أخرى تسمى نظرية الحقول الدلالية أو المجالات الدلالية إلى هذه النظرية.

مدرسة فلاسفة اللغة والتحليل التداولي

عنى الفلاسفة وعلماء المنطق باللغة من قديم الزمان، فقد فكر في اللغة أفلاطون وأرسطو وغيرهما، وقدموا تحليلات لغوية أفدنا منها حتى الآن، وعنى بها فلاسفة العصور الوسطى وعصر النهضة إلى بداية القرن العشرين.

لكن الجديد هنا في النصف الثاني من القرن العشرين هو اتجاه فلاسفة اللغة وخصوصا مدرسة أوكسفورد إلى دراسة اللغة من زاوية جديدة ردت الاعتبار إلى شق كبير من اللغة هو جانب الاستعمال الحي في المقام المعين أو الموقف المعين.

نتذكر الآن تفريق دي سوسير بين (اللغة) و (الكلام) ونتذكر اهتمامه باللغة لأنها نظام من القواعد المخزونة في ذهن الجماعة اللغوية، ولأنها عامة، ومنضبطة، ويسهل دراستها. أما الكلام فيصعب دراسته دراسة علمية لأنه فردي، ومتغير، ومختلف باختلاف الأفراد المستعملين، وباختلاف المواقف والمقامات.

جاء فلاسفة اللغة المعاصرون ورأوا أن هذا الجانب جدير بالدراسة والاهتمام والتحليل؛ لأنه يتعلق باستعمال اللغة استعمالا حيا وواقعيا، ويتعلق بالهدف من استعمال اللغة.

نظر هؤلاء الفلاسفة إلى اللغة فوجدوا قسما منها يؤدي وظيفة لغوية لم يلتفت إليها اللغويون بما هي جديرة به.. إنها وظيفة اللغة = العمل، أو اللغة = الفعل، أو اللغة = الأداء بمعنى أن الكلام نفسه عمل من الأعمال؛ ولذلك سماه الفيلسوف الانجليزي (جون أوستن) الأفعال الكلامية **Speech Act**، ويطلق عليها كذلك الأفعال الإنجازية؛ لأن المتكلم يؤدي بها عملا، أو ينجز بها عملا أو يفعل بها فعلا.

ولعل أشهر مثال لهذا النوع من الاستعمال اللغوي هو أفعال البيع والشراء والعقود والزواج والطلاق، ومعظم الأدعية التي تمثل أركانا في العبادات الإسلامية، مثل تكبيرة الإحرام، وقراءة الفاتحة في الصلاة فهذه أقوال أفعال، أو أعمال.

هكذا بدأ (جون أوستن) عمله في الأفعال الكلامية أو التداولية. وبالطبع له في هذه النظرية تفصيلات وتحديدات كثيرة لا داعي للخوض فيها في هذا المقام.

ثم جاء تلميذه وزميله (جون سيرل) وطور كلام أستاذه، ووسع في النظرية، ودقق في شروطها ومن بعدهما جاء (بول جرايس) وعمق النظرية وأضاف ما يسمى بمبدأ التعاون الذي وضح فيه المبادئ الفرعية، والشروط والخطوات.

إن فكرة التداولية قائمة على دراسة الجانب الاستعمالي للغة وربطها بوظيفتها التي تؤديها في الموقف المعين، وهي بذلك أحيت فكرة (الاستعمال) عند اللغويين العرب القدماء وأحيت فكرة (الكلام) عند دي سوسير، وفرقت بين ما يمكن تسميته الوضع، والتداول أو التخاطب.

ملخص الوحدة الرابعة

تناولت هذه الوحدة أهداف التعرض لتاريخ البحث اللغوي، وهي أهداف يتصل بعضها بالماضي، وبعضها بالحاضر وبعضها بالمستقبل، فعرضت للتفكير اللغوي عند الأمم القديمة (المصريين والصينيين والأكاديين والهنود واليونان والرومان) وألمت بالتفكير اللغوي في العصور الوسطى في أوربا وعند العرب ثم عرضت لألوان هذا التفكير عند مطلع العصر الحديث في عصر النهضة والقرنين الثامن عشر والتاسع عشر معرَّفةً بالدرس اللغوي التاريخي والمقارن.

وتناولت بالتعريف الموجز البحث اللغوي في القرن العشرين، في نصفه الأول وجهود فرديناند دي سوسير والمدارس اللغوية البنيوية، وفي نصفه الثاني وجهود تشومكسي وفلاسفة اللغة والمدرستين التوليدية التحويلية والتداولية.

أسئلة على الوحدة الرابعة

المجموعة الأولى:

أجب عن الأسئلة الآتية:

س١: لماذا نعرض لتاريخ الدرس اللغوي؟

س٢: متى بدأ التفكير في اللغة؟ وما المراحل الأساسية التي مر بها هذا التفكير؟

س٣: ما الأمم التي ورد عنها تفكير لغوي غير منظم؟

س٤: ما السبب المباشر في التفكير اللغوي عند الهنود؟ وما أثره فيهم؟

س٥: تحدث عن جوانب التفكير اللغوي عند الهنود؟

س٦: ما أهم الأفكار اللغوية عند اليونان؟

س٧: تتبع جوانب التفكير اللغوي عند العرب.

س٨: ما العوامل التي ظهرت في عصر النهضة؟ ولماذا لم يحدث التطور المطلوب؟

س٩: ما الجهود اللغوية في القرن الثامن عشر؟

س١٠: يعد القرن التاسع عشر قرن الدراسات المقارنة.. اشرح هذه العبارة.

س١١: ما أثر اكتشاف اللغة السنسكريتية في الدرس اللغوي الأوربي؟

س١٢: اكتب ما تعرفه عن جهود (النحاة الشبان) في الدرس اللغوي.

س١٣: وازن بين جهود (ويتني) وجهود (كورتني) في الدرس اللغوي.

س١٤: لماذا يعد (فرديناند دي سوسير) رائدا لعلم اللغة الحديث؟

س١٥: اشرح أهم المبادئ اللغوية التي أرساها دي سوسير.

س١٦: تحدث عن الجهود اللغوية لمدرسة (براغ).

س١٧: تحدث عن الجهود اللغوية لمدرسة (كوبنهاجن).

س١٨: تحدث عن الجهود اللغوية لمدرسة الانجليزية.

س١٩: تحدث عن الجهود اللغوية للمدرسة الأمريكية.

س٢٠: تحدث عن الجهود اللغوية للمدرسة التوليدية التحويلية.

س٢١: تحدث عن الجهود اللغوية للمدرسة التداولية (فلاسفة اللغة).

المجموعة الثانية:

أكمل الجمل الآتية بكلمة أو عبارة مناسبة:

١- طور الفينيقيون الكتابة التصويرية والمقطعية إلى الكتابة.............

٢- ازدهرت الدراسات الصوتية في ظل أمتين هما: ....، ....

٣- أنصاف الحركات عند الهنود هي: ....، ....، ....

٤- كان عند الهنود..................... مدرسة نحوية.

٥- بلغت القواعد النحوية عند الهنود.....................قاعدة نحوية.

٦- قدم أفلاطون آراءه اللغوية في محاورة.....................

٧- ذهب أرسطو إلى القول بالعلاقة.................بين الألفاظ والأشياء.

٨- ظهرت عند اليونان مدرستان هما مدرسة........... ومدرسة.........

٩- قدم ثراكس أقسام الكلام في .... أقسام.

١٠- قدم فارو أقسام الكلام في .... أقسام.

١١- اشتهر عند العرب مدرستان نحويتان، هما: ....، ....

١٢- يذهب كونديَّاك إلى أن العلامات اللغوية.....................

١٣- تم اكتشاف اللغة السنسكريتية على يد السير....................

١٤- القرن التاسع عشر قرن البحوث اللغوية.....................

١٥- اكتشف (دي كورتني) الطبيعة.................... للفونيم.

١٦- فرق دي سوسير بين اللغة و....................

١٧- فرق دي سوسير بين الدراسة الوصفية و....................

١٨- ميز دي سوسير بين العلاقات الرأسية و....................

١٩- اهتمت مدرسة براغ بدراسة....................

٢٠- من مبادئ هلمسليف مبدأ................، ومبدأ................

٢١- تنسب المدرسة الانجليزية إلى....................

٢٢- تنسب المدرسة الأمريكية إلى....................

٢٣- فرق تسومسكي بين القدرة و....................

٢٤- فرق تشومسكي بين البنية السطحية والبنية....................

المجموعة الثالثة:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

١- اخترع الصينيون نظاما للكتابة يشبه نظام الكتابة المصرية.

٢- الكتابة الفينيقية كتابة تصويرية.

٣- الكتابة الفينيقية كتابة هجائية صوتية.

٤- لم يعرف الهنود شيئا عن تقسيم الأصوات بحسب المخارج.

٥- يرى الهنود أن الأفعال أصل للأسماء وبقية أقسام الكلام.

٦- من أعظم الأفكار اللغوية عند الهنود فكرة (الصفر اللغوي).

٧- تزامن النشاط المعجمي والدلالي مع النشاط النحوي والصوتي عند الهنود.

٨- كان اهتمام اليونان بدراسة اللغة ضعيفا.

٩- يرى كراتيس أن اللغة فطرة إنسانية لا تخضع للقوانين المطردة.

١٠- أرسى أرسطو مجموعة من التعريفات المفيدة.

١١- وضع ثراكس أول كتاب في قواعد اللغة اليونانية.

١٢- قسم ثراكس الكلام في اليونانية إلى خمسة أقسام.

١٣- قسم فارو الكلام في اللاتينية إلى ثمانية أقسام.

١٤- زاد الرومان على اليونان في البحث اللغوي أمورا كثيرة جدا.

١٥- عرض الخليل بن احمد في معجمه (العين) مسائل صوتية كثيرة.

١٦- ينتمي (دويت ويتني) للقرن التاسع عشر لكن أفكاره تنتمي إلى القرن العشرين.

١٧- ظهر الفرق واضحا بين دي سوسير وهلمسليف في المصطلحات والمبادئ.

١٨- تنسب المدرسة الانجليزية إلى اللغوي (ليونارد بلومفيلد).

١٩- تنسب المدرسة الأمريكية إلى اللغوي (يعقوب جريم).

٢٠- تنسب السلوكية والتوزيعية إلى المدرسة الفرنسية.

٢١- نشأت المدرسة التوليدية التحويلية على يد نعوم تشومسكي.

٢٢- من أشهر فلاسفة اللغة (جون أوستن).

٢٣- أضاف (جون سيرل) إلى التداولية مبدأ التعاون.

المجموعة الرابعة:

اذكر فرقا واحدا بين كل ثنائيتين مما يأتي:

١- فترة التفكير اللغوي المنظم وفترة التفكير اللغوي غير المنظم.

٢- الكتابة المصرية القديمة والكتابة الفينيقية.

٣- ما قدمه أفلاطون وما قدمه أرسطو للدرس اللغوي اليوناني.

٤- تقسيم (ثراكس) وتقسيم (فارو) للكلام.

٥- نشأة التفكير اللغوي عند اليونان ونشأته عند العرب.

٦- التفكير اللغوي عند النحاة الشبان وعند من سبقهم من علماء القرن التاسع عشر.

٧- التفكير اللغوي في القرن التاسع عشر والقرن العشرين.

٨- طبيعة التفكير اللغوي عند (كورتني) وطبيعته عند (دي سوسير).

٩- اللغة والكلام في مفهوم دي سوسير.

١٠- الدراسة الوصفية والدراسة التاريخية.

١١- العلاقات الرأسية والعلاقات الأفقية.

١٢- طبيعة التفكير اللغوي عند دي سوسير وعند تشومسكي.

١٣- طبيعة التفكير اللغوي عند بلومفيلد وعند تشومسكي.

١٤- القواعد التوليدية والقواعد التحويلية.